العائلة المقدّسة

أو نقد النقد النقدي

كارل ماركس

فريديريك انجلز

ترجمة
حنا عبود

مراجعة
الدكتور فؤاد أيوب

مصادر الاشتراكية العلمية

دار دمشق
للطباعة والنشر

كارل ماركس

فريديريك انجلز

العائلة المقدّسة
أو
نقد النقد النقدي

1

ترجمة
حنا عبود

مراجعة
الدكتور فؤاد أيوب





تمهيـــد

ليس لمذهب **الانسانية الحقيقية** عدو اشد خطراً في المانيا من مذهب **الروحانية** او **المثالية التاملية** الذي يضع **« الوعي الذاتي »** او **« الروح »** موضع **الانسان الفردي الحقيقي** ويعلم بلهجة انجيلية ان «الروح تحيي كل شيء ، والجسد لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى القول ان هذه الروح اللاجسدية هي روحانية فقط في تخيله وان ما نحاربه في نقد بوير هو **التامل** الذي يتجدد في شكل صورة كاريكاتورية، ونرى فيه التعبير الاكثر كمالاً لمبدأ المسيحية الالمانية الذي يحول النقد في النهاية الى قوة فائقة

ويعالج عرضنا اولا وقبل كل شيء صحيفة برونو بوير «Alegemeine literature Zeitung» **الصحيفة الادبية العامة** ، واعدادها الثمانية الاولى أمامنا **لأن** نقد بوير موجود فيها ، وبها بلغ هراء **التامل الالماني العام** ذروته والنقد النقدي الأكثر كمالاً – نقد – **الصحيفة الادبية** – بقدر ما شوّه الواقع كلياً وحوله في الفلسفة الى ملهاة بقدر ما غدا تعليمياً وكأمثلة على ذلك انظر **فوشر وزيليجا** وتقدم **الصحيفه الادبية** مادة يمكن عن طريقها حتى للجمهور العريض أن يستنير حول أوهام الفلسفة التأملية وذاك هو هدف هذا الكتاب

ومن الطبيعي أن عرضنا منوط **بموضوعه** فالنقد النقدي في كل المجالات **دون** المستوى السابق الذي وصله التطور النظري الالماني **ولذلك فإن** طبيعة موضوعاتنا تبرر لنا احجامنا عن التوغل في **مناقشة** ذلك التطور نفسه هنا .

ومن جهة أخرى يجعل مذهب النقد النقدي من الضروري التأكيد بصورة متعارضة معه ، على النتائج المحققة في حد ذاتها

ولذلك نقدم هذه المناظرة كتمهيد للمؤلفات المستقلة التي سوف نقدم فيها – كل واحد على حدة طبعاً – نظرتنا الايجابية وبالتالي موقفنا الايجابي بالنسبة لاحدث المذاهب الفلسفية والاجتماعية

باريس أيلول ١٨٤٤
انجلز – ماركس

الفصل الأول
مذهب النقد النقدي باعتباره مجلد كتب *
أو
النقد النقدي في شخص الهر تشارد

مهما اعتبر النقد النقدي نفسه متفوقا بالنسبة للجمهور فإنه نكن عطفا لا نحد للجمهور ولهذا فإن النقد أحب الجمهور حتى أرسل اليه ابنه الوحيد بحيث ان كل من يؤمن به لا يمكن أن نضل بل تكون له حياة نقدية لقد جعل النقد جمهور وحل بيننا وعاينا مجده مجد المولود الوحيد من الآب وبكلمة أخرى نصبح مذهب النقد اشتراكيا ونتحدث عن كتب حول الفاقة ، ويعتبر أن ليس الجريمة في شيء أن نكون مساو للرب ولكنه نفرغ نفسه ويتخذ شكل مجلد كتب ونتواضع حتى درجة التفاهة نعم حتى التفاهة المعدنة في اللغات الاجنبيه إنه وهو الذي نفر صفاؤه العذري السماوي من ملامسة الجمهور الأبرص الخاطىء أرغم نفسه الى حد ملاحظة بوز و كل الكتاب الأصليين عن الفاقة وقد تتبع لسنوات داء القرن خطوة خطوة إنه يحتقر الكتابة للاخصصيين إنه نكتب للجمهور العا كل المميزات الاجنبية كل التعقيدات اللاتينية كل الرياء المحترف انه يلعن كل ذلك في مؤلفات الآخرين لأنه من الصعب أن نوقع خضوع مذهب النقد نفسه ذاك التنظيم ومع ذلك نفعل

---

* Bookbinder هو الذي يجمع أجزاء الكتاب ويجعل منه مجلدا وهي الصناعه التي كان يمارسها الهر رتشارد المترجم)

دلك جزئياً معلناً استنكاره بسهولة مذهلة ان لم يكن للكلمات نفسهـــ فعلى الاقل لمضمونها ومن يلومه لاستخدام عدد ضخم من المفردات الإجنبية غير المفهومة » ، عندما يثبتمراراً أنه لا يفهمهو نفسههذهالكلمات؟ وفيما يلي بعض الأمثلة

ذلك هو السبب في أن مؤسسات التسول تملؤهم رعباً

مبدأ المسؤولية الذي فيه تصبح كـــل حركـة من حركات الفكر البشري صورة لزوجة لوط » .

على حجر العقد لهذا الصرح الفني العبقري حقاً » .

« هذا هو المضمون الرئيسي لتراث شتاين السياسي ، الذي سلمه رجا الدولة العظيم قبل ان يتقاعد من خدمة الدولة ومن كل اعمالها

« هذا الشعب ما ملك بعد أي أبطال في ذلك الزمن من اجـل هـــذه الحرية الشاملة »

ويتداول بيقين واضـــح في ختام عملــه كناشر بأن الشيء الـــذى لا يزال مفقودا هو الثقة

لعقل جدير برجل يرفع الدولة فوقالرتابةوالخوفالمثبط،عقلشب على التاريخ وتهذب بالمفهوم الحيوي لنظام الدولة السياسي الاجنبي

ثقافة الرفاه القومي العام

الحرية تضطجع ميتة في حضن الرسالة القومية البروسية في ظـل سيطرة السلطات

الدعاية العضوية الشعبية »

الشعبالذييسلمه حتىالهر\برو غمان شهادة معمودية للأكثرية ».

«بصورةمتعارضةبحدة مع التوكيدات الاخرىالتيجرى التعبير عنهافي كتاب عن الطاقات المهنية للشعب

المصلحه الـــذاتية البغيضة سرعـــان ما تبدد كـــل **الخرافات** عن **الإرادة** القومية

« كان هوى المكاسب الكبرى الـــخ ، الروح التـــي هيمنت على كل عصر عودة الملكية والذي **التصق بالعصر الحديث بقدر كبير مـــن اللامبالاة** » .

الفكرة الغامضة للأهمية السياسية الملحوظة في **القومية الريفيـــة البروسيه تعتمد على ذكرى تاريخ عظيم** » .

اختفى النفور وتحول الى حالة من التمجيد **المطلق** »

« **في** هذا **الانتقال المدهش** لا يزال كل واحد ، بطريقته الخاصة ، **يعلن** عن **رغبة** خاصة به

كتاب تعليمي مبني على طريقة السؤال والجواب (Catechism) بلغة شبيهة بلغة سليمان المنافقة ، وتنهض الكلمات ــ زق ، زق * ــ بلطف مثل حمامة تعود الى أقاليم العاطفة **والظاهر الشبيهة بالرعد** »

« **كل الهواية الفنية لخمس وعشرين سنة من الاهمال** » .

ان التهجم الراعد جدا على المواطنين من قبل أحـــد المسؤولين البلديين السابقين كان يمكن تحمله بذلك الهدوء المميز لممثلينا لو ان نظرة بندا (Benda) لميثاق المدينة عام ۱۸۰۸ لم تقع **تحت التأثير الاســـلامي لمفهوم الجوهر** وتطبيق الميثاق

عندالهر ريتشارد سير الاسلوب الجريء يدا بيد مع التفكير الجريء. **إنه** نقوم بانتقالات من هذا النمط

هر بروغمان ... ۱۸٤٣ نظرية الدولة كـــل امرئ مفوه التواضع العظيم لاشتراكيينا العجائب الطبيعية ، المطالب التي يجب أن تقدم الى المانيا... العجائب فوق الطبيعية ابراهيم... فيلادليفيا المسن الخباز .ولكن بينما كنا نتحدث عـــن العجائب ظهر نابليون الخ

لا عجب بعد هذه النماذج أن نقدم لنا النقد النقدي شرحاً آخر

★ زق ــ زق ــ Chirp Chirp من أصوات الطيور . (المترجم)

للاسلوب الذي يصفه الطريقة الشعبية في التكلم لأنه « سلاح عينيه بقوة عضوية لاختراق العماء » وهنا يجب أن يقال إنه حتى « الطريقة الشعبية في التكلم لايمكن ان تظل غير واضحة بالنسبة للنقد النقدي انها تقبل بأن طريقة الكاتب يجب بالضرورة أن تكون طريقة غير مستقيمة اذا كان الفرد الذي يستخدمها ليس قويا بما فيه الكفاية ليجعلها قويمة ولذلك من الطبيعي أن توصف بأنها عمليات رياضية للمؤلف

ومن الواضح وضوحا ذاتيا ـ والتاريخ الذي يثبت كل شيء واضح ذاتيا يثبت هذا ايضا ـ ان النقد لم يصبح جمهورا ليبقى جمهورا بل ليعتق الجمهور من كثافته الضخمة اي ليرتفع بالطريقة الشعبية في التكلم الى اللغة النقدية للنقد النقدي إنها أدنى درجة من درجات التواضع بالنسبة للنقد ان يتعلم اللغة الشعبية للجمهور ويحول تلك الرطانة المبتذلة الى تعقيد فائق من ديالكتيك النقد النقدي

الفصل الثاني
النقد النقدي باعتباره صاحب مصنع
أو
النقد النقدي في شخص الهرجول فوشر

ـنقد النقدي قد أذل نفسه الى حد التفاهة في اللغات الأجنبية
ولذا أرجع معظم الخدمات الجوهرية الى الوعي الذاتي وتحرر
في الوقت نفسه من الفاقة ان النقد يبذل نفسه الى حد
التفاهة في **الممارسة التاريخ** إنه يضطلع **المسائل الانجليزية العصر »**
ويقدم لنا بأصالة **موجزا نقديا لتاريخ الصناعة** الانجليزيه

من الطبيعي ان النقد المكتفي ذاتيا الكامل والتام في ذاته لا يعترف
التاريخ في مجراه الحقيقي لأن ذلك يعني اعتراف الجمهور الوضيع بكل
كثافته الضخمة حيث ان القضية هي تحرير الجمهور من الكثافة
ولذلك تحرر التاريخ من كثافته والنقد الذي له وضع **حر** بالنسبة
موضوعه. يخاطب التاريخ قائلا «**كان عليك** أن **تجري بالطريقة كذا وكذا**» .
لكل قوانين النقد قوة **المفعول الرجعي** فقد كان سلوك التاريخ قبل مراسيم
النقد يختلف تماما عن سلوكه **بعدها** ولذا فالتاريخ الجماهيري أو ما يسمى
التاريخ الحقيقي ينحرف بشكل ملحوظ عن التاريخ **النقدي** كما هي
الحالة في العدد السابع من **الصحيفة الادبية** في الصفحة الرابعة وما بعد

★ (Mill - Owner) يستخدم انجلزهذا المصطلح ليهزأ من فوشر الذي يستخدم الطرائق الانجليزية في تكوين الكلمات بالالمانيـة (المترجم)

في التاريخ الجماهيري لا وجود **لمدن صناعية** قبل وجود **المصانع** ولكن في التاريخ النقدي ، الذي فيه ينجب الابن الاب ، كما سبق عند **هيغل** ، كانت **مانشستر** و **بولتون** و **بريستون** مدنا صناعية منتعشة حتى قبل التفكير بالمصانع في التاريخ الحقيقي قامت **صناعة القطن** على دولاب **هالفريفز ومغزل اركرايت ، واما مغزل كرمتون الآلي** فليس سوى تحسين على دولاب الغـزل وفقاً لمبـدأ جـديد اكتشفـه اركرايت ولكـن التاريخ النقدي يعرف كيف يميز بين الاشياء إنه يحتقر أحادية الجانب في الدولاب والمغزل ، ويقدم التاج للمغزل الآلي باعتباره توحيدا تأمليـا للاطراف والواقع ان اختراع المغزل والمغزل الآلي مكنا مـن **التطبيق العاجل لقوة الماء** على تلك الآلات ، ولكن النقد النقدي يفرز المبادىء المختلطة في التاريخ الغامض ويجعل هذا التطبيق يأتي متأخرا ، كشيء خاص تماما في الواقع **سبق** اختراع الآلة البخارية كل المخترعات المشار اليها سابقا ولكن الآلة البخارية طبقا للنقد النقدي تأتي تتويجا للمخترعات السابقة وآخر هذه المخترعات

الواقع أن **روابط العمل** بين ليفربول ومانشستر في شكلها الحالي كانت نتيجة تصدير البضائع الانجليزية ، اما بالنسبة للنقد فانها سبب التصدير ، وكلاهما نتيجة تجاور المدينتين . في **الواقع** كل البضائع تقريبا تذهب الى القارة عن طريق **هال**، أما بالنسبة للنقد فانها تذهب عن طريق ليفربول.

في الواقع وجدت كل **درجات الأجور** في المصانع الانجليزية من شلن ونصف الى الاربعين شلناً فما فوق ، أما بالنسبة للنقد فهناك **معـدل واحد** فقط هو احد عشر شلناً في الواقـع حلت **الآلة** محل **العمـل اليدوي** اما بالنسبة للنقد فانها حلت محل **الفكر** في الواقع سمح **لاتحاد** العمال بالمطالبة برفع الاجور في **انكلترا** ، اما بالنسبة للنقـد فهو محظور لأن الجمهور اذا أراد ان يسمح له بأي شيء فعليه اولا ان يسأل النقـد في الواقع **العمل في المصنع** منهك للغاية وهيأ لظهور امراض خاصة ـ هناك اعمال طبية خاصة حولها ؛ امابالنسبةللنقد فان «الاجهاد المضني لايستطيع

يعوق العمل لأن القوة منوطة بالآلة في الواقع الآلة هي آلة ، اما بالنسبة للنقد فانها ذات ارادة ، فما دامت لا تتوقف ، فان العامل لا يتوقف ايضاً إنه تابع لارادة غريبة

ولكن كل ذلك ليس شيئاً فلا يستطيع النقد أن يكتفي بالأحزاب **الجماهيرية** في انكلترا إنه يخلق أحزابا جديدة من بينها « حزب المصنع » **الذي** يمكن أن يكون التاريخ شاكرا له من اجله. ومن جهة اخرى فان النقد يجعل في حزمة جماهيرية **واحدة** المانيفاكتوريين وعمال المصنع – ولماذا يعنى **بمثل** هذه التفصيلات – ويرسم أن عمال المصنع رفضوا المساهمة في العصبة المعادية لقانون القمح ليس بدافع الضغينة أو لأنهم يؤيدون الميثاقية كما يزعم أصحاب المصنع الأغبياء وإنما فقط لانهم فقراء ويرسم أكثر من ذلك وهو انه مع الغاء قوانين القمح الانكليزية تنخفض أجور العمال الزراعيين الأمر الذي نرد عليه بكل تواضع بأن تلك الطبقة المحرومة لا يمكن ان تجرد من فلس واحد آخر دون خطر الموت جوعاً. ويرسم أن يوم العمل في المصانع الانكليزية هو ست عشرة ساعة مع أن القانون الانكليزي العبي وغير النقدي حددها باثنتي عشرة ساعة انه يرسم أن انكلترا مصنع ضخم للعالم ، مع أن الاميركان والالمان والبلجيكيين الجماهيريين وغير النقديين ينتزعون سوقا بعد سوق من الانكليز خلال المنافسة واخيرا يرسم النقد ان لا الطبقات المالكة ولا الطبقات غير المالكة في انكلترا تدرك مغزى **تمركز الملكية** وعواقبه على الطبقات العاملة ، مع ان الميثاقيين الأغبياء يعتقدون أنهم يدركون جيداً نتائج هذا التمركز والاشتراكيين يزعمون بأنهم فضحوا هذه النتائج بتفصيل منذ امد طويل ، وقد اثبت جماعة من التوري والهويغ مثل كارليل واليسون وغاسكل معرفتهم لذلك في كتبهم

★ **التوريون (Tories)** هم حزب مؤيد للحكومة، انقلب فيما بعد الى حزب المحافظين. أما الهويغ فهو الحزب المعارض وقد تحول الى حزب العمال . (المترجم

ويثبت النقد ان لائحه **اللورد أشلي عن الساعات العشر** هي مقياس وسط عادل (Juste milieu) واللورد اشلي نفسه مثل واضح حقيقي للعمل الدستوري بينما أصحاب المصنع والميثاقيون والملاكون العقاريون الكبار – وباختصار كل ثقل انكلترا – اعتبروا حتى الآن هذا المقياس لتعبير اللطيف قدر الامكان عن مبدا جذري صريح بما **يضع الفأس على جذر التجارة الخارجية** ، وبذلك على جذر نظام المصنع حتى انه ليثلمه ثلماً عميقاً إن النقد النقدي يعرف شكل أفضل إنه يعرف أن مسألة الساعات العشر نوقشت أمام « لجنة من المجلس الادنى مع ان الصحف غير النقدية تحاول ان تجعلنا نؤمن ان للجنة كانت هي **المجلس نفسه** لجنة المجلس كله ولكن النقد مضطر الى الغاء ذلك الشذوذ في القانون الانكليزي

إن النقد النقدي الذي **يولد** بنفسه نقيضه وهو غباء الجمهور ينتج أيضا غباء السير جيمس غراهام فعن طريق الفهم النقدي للغة الانكليزية يضع في فمه أشياء لم يقلها قط وزير الداخلية غير النقدي ، ليتاح المجال للحكمة النقدية أن تسطع وضاءة بالمقارنة مع غبائه إن غراهام يقول طبقاً للنقد النقدي إن الآلات في المصانع تتلف في مدة اثنتي عشرة سنة ، سواء عملت عشر ساعات او اثنتي عشرة ساعة في اليوم ولذلك فان لائحة الساعات العشر ستجعل من المحال بالنسبة للرأسماليين أن يجددوا في اثنتي عشرة سنة ، من عمل آلاتهم الراسمال الذي انفقوه عليها في تلك المدة ويثبت النقد أنه بهذا يضع نتيجة زائفة في شدق السير جيمس غراهام لأن الآلة التي تعمل اقل بسدس المدة طوال المدة كلها من الطبيعي تبقى مدة أطول في الاستعمال

ومهما صحت هذه الملاحظة للنقد النقدي ضد نتيجته الزائفة يجب التسليم من جهة اخرى أن السير جيمس غراهام قال انه في ظل لائحة الساعات العشر لابد للآلة ان تعمل بسرعة اعظم بصورة مطردة مع زمن العمل المخفض (والنقد النقدي نفسه يستشهد بهذا في العدد رقم ٨ صفحة ٣٢) وانه في تلك الحالة

بقي زمـــن الاستهلاك هو نفسه ـ اثنتي عشرة سنة وبجب أن نعرف هذا جيدا بما ان المعرفة تعزى لمجد النقد واطرائه لأن النقد وحده هو الذي صنع النتيجة الزائفة وتفنيدها على حد سواء والنقد النقدي رحب الصدر تجاه اللورد جون رسل الذي يعزو اليه رغبته تغيير نظـام الدولة والنظام الانتخابي علينا أن نستنتج من ذلك ان النقد النقدي يملك دافعا قويا غير عادي لانتاج الغباوات أو أن اللورد جون رسل أصبح ناقدا نقديا خلال الاسبوع المنصرم

ولكن النقد النقدي لم يصبح عظيما حقاً في فبركته الغباوات ما لم يكتشف ان العمال الانكليز ـ الذين عقدوا في نيسان وأيار اجتماعا بعـــد احتماع وقدموا عريضة بعد عريضة وذلك كله من اجل لائحة الساعات العشر، الذين اظهروا هنا وهناك تحريضا في الاقليم الصناعي اكثر من العامين المنصرمين ـ ان هؤلاء العمال شاركوا في هذه المسالة اهتمام جزئي مع أنه من الواضح أن «التشريع الذي ينقص يوم العمل قد استحوذ ايضا على اهتمامهم إن النقد عظيم عندما يحقق نهائيا اكتشافا عظيما رائعا لـــم يسمع به من قبل وهو ان «المساعدة العاجلة المنتظرة من الغاء قوانين القمح امتصت معظم رغبات العمال وسوف تظل تقوم بذلك ما لم يثبت التحقيق المؤكد لهذه الرغبات اثباتا عملياً عبث هذا الالغاء* ـ نسبته للعمـــال الذين انزلوا المحرضين المعادين لقانون القمح من على منصة الخطابة في كل اجتماع عام ، الذين عملوا على ان العصبة المعادية لقانون القمح لم تجرؤ على عقد اجتماع عام في اي مدينة صناعية ، الذين اعتبروا العصبة عدوهـــم الوحيد والذين نالوا اثناء مناقشة لائحة الساعات العشر ـ كما هـــو الامر من قبل في كل القضايا المشابهة تقريبا ـ تأييد التوريين إن النقد النقدي فائق للغاية ايضا عندما يكتشف ان العمال زالوا يخدعون بالوعود الكاذبة **للحركة الميثاقية** التي ليست سوى التعبير السياسي عن الراي العام بين أوساط العمال وعندما يتحقق في اعماق روحه المطلقة، ان المجموعتين الحزبيتين الحزب السياسي وذاك الذي يمثله أصحاب

★ للاطلاع على هذه النقطة راجع كتاب **بؤس الفلسفة** لماركس في خطابه عن التجارة الحرة في ملاحق الكتـــاب . (المترجم)

الاراضي والطواحين لا تنصهران بعد الآن او ترغبان في أن تغطي الواحدة الأخرى ولم يكن من المعروف أن المجموعة الحزبية لأصحاب الاراضي والطواحين كانت بسبب ضآلة عدد اعضائها في كل طبقة من طبقات الملاك والحقوق السياسية المتساوية لكل طبقة (مع استثناء بعض الانداد) تدرك انها مندمجة كليا بالمجموعات الحزبية السياسية ، وليست التعبير الثابت عنهم كما لا تمثل ذروتهم إن النقد النقدي رائع عندما يرتئي ان اعضاء اللجنة المعادية لقانون القمح لا يعرفون أن انخفاضا يطرأ على سعر الخبز يجب ان يتبعه انخفاض في الاجور اذا ظلت الاشياء الاخرى من غير تعديل (Caeteris paribus) بحيث أن كل شيء يبقى كما كان ، بينما يتوقع هؤلاء الناس ، مع التسليم ان انخفاض الاجور سيتلوه انخفاض في تكاليف الانتاج ، ان النتيجة ستكون امتدادا للسوق ويتوقعون ان هذا سوف يؤدي الى التخفيف من المنافسة بين العمال ، وبالتالي سوف تحافظ الاجور على ارتفاع اعلى قليلا مما هي عليه الآن ، بالمقارنة مع سعر الخبز

وهذا النقد النقدي ، الذي يخلق نقيضه ـ الهراء ـ وينتشي في غبطة فتية ، والذي كان منذ سنتين فقط يصرخ « النقد يتكلم الالمانية واللاهوت يتكلم اللاتينية تتعلم الآن الانكليزية ويدعو اصحاب الاقطاعيات «Landeigner» واصحاب المصانع «Muhleigner» والعمال «Hande» وبدل «Einmischung» يقول «Interferance» وفي إشفاقه اللامتناهي على اللغة الانكليزية ، الحبلى بالكثافة الآثمة ، يتنازل ويعزم على تحسينها بابطال الحذلقة حيث تضع الانكليزية لقب « سير » قبل الاسم المسيحي للفرسان والبارونات ، وحيث يقول الجمهور السير جيمس غراهام يقول النقد « السير غراهام

اما أن النقد يصلح التاريخ الانكليزي واللغة الانكليزية بدافع من المبدأ ، ولكن ليس بدافع الرعونة ، فهذا ما يدل عليها الشمول الذي به يعالج تاريخ الهر نوويرك .

الفصل الثالث
شمول النقد النقدي
أو
النقد النقدي في شخص الهر ج (جفلنتز)

لا يستطيع النقد النقدي أن يتجاهل النزاع الهام الدائم القائم بين الهر نوويرك وقسم الفلسفة في برلين فله تجارب مماثلة وعليه أن يأخذ مصير الهر نوويرك كخلفية يبرز عليها بصورة اشد عزله الخاص من جامعة بون*، والنقد لأنه اعتاد ان يعتبر قضية بون الحدث الهام في القرن بكامله، ولأنه كتب من قبل **فلسفة عزل النقد**، نتوقع أن نقدم بناء فلسفيا مفصلا ومشابها لـ صدام برلين إنه يثبت مسبقا أن كل شيء يحدث بهذه الطريقة، وليس بطريقة أخرى انه يثبت

١ – **لماذا** كان قسم الفلسفة مضطرا للنزول في صدام » مع فيلسوف الدولة وليس مع منطقي أو ميتافيزيائي

٢ – **لماذا** لم يكن ذاك الصدام حادا وحاسما كما كان صراع النقد مع اللاهوت في بون

★ يشير انجلز هنا الى اقالة برونو بوير من قبل الحكومة البروسية ومنعه من المحاضرة في جامعة بون بسبب انتقاداته للكتاب المقدس (المترجم)

٣ ـ لماذا كان ذلك الصدام ، اذا ما تحدثنا بشكل خاص عملا عبيا ، مادام النقد قد استنفد كل المبادىء المحتملة وركز كل مضمونه في صدام بون ، بحيث لم يبق شيء للتاريخ العالمـــي الا أن يصبح منتحلاً لاراء النقد

٤ ـ لماذا اعتبر قسم الفلسفة أن الهجمات التي شنت على مؤلفات الهر نوويرك هي هجمات تشن عليه بالذات

٥ ـ لماذا لم يستطع الهر ن أن يفعــل شيئا سوى أن ينسحب طواعيــــة

٦ ـ لماذا تبنى قسم الفلسفة دفاع الهر ن » مادام لا يريـــد ان يدين نفسه

٧ ـ لماذا مثل الانشقاق الداخلي في القسم بهذه الطريقة حيث اعلن القسم ان كلاً من الهر «ن» والحكومةعلىخطأ وصواب فيالوقتنفسه.

٨ ـ لماذا لا يجد القسم في مؤلفات الهر ن اي سبب لاقالته

٩ ـ في اي مجال يكون غموض كل الفتوى مشروطا

١٠ ـ لماذا « يعتبر القسم نفسه (!) مفوضا (!) كسلطة علمية (!) للقيام بتحرٍ كامل عن القضية واخيرا

١١ ـ لماذا ، مع ذلك ، لن يكتب القسم على غرار الهر ن

إن النقد النقدي ينتهي من هذه المسائل المهمة بشمول نادر في أربع صفحات، مظهرا عن طريق منطق هيغل لماذا ان كل شيء يحدث كما حدث ، وليس ثمة إله يمكن أن يمنع حدوثه ويقول النقد النقدي ، في مكان آخر ، إن اي مرحلة في التاريخ لم تعرف حتى الآن ، ويمنعه التواضع من القول انه يعرف معرفة تامة صدامه الخاص وصدام الهر نوويرك ، وهذان الصدامان مع انهما ليسا مرحلتين من مراحل التاريخ ، الا آنهما يبدوان للنقد النقدي مدويين .

وبعد أن « ابطل » النقد النقدي مظهر **الشمول** في ذاته ، يصل الى « المعرفة الهادئة » .

الفصل الرابع
النقد النقدي باعتباره معرفة هادئة
أو
النقد النقدي في شخص الهر ادغار

١ ــ اتحاد عمال فلورا تريستان

يعتقد الاشتراكيون الفرنسيون ان العامل يصنع كل شيء ، ينتج كل شيء ومع ذلك لا يملك حقوقا ، ولا ممتلكات ، وباختصار انه لا يملك شيئا . [illegible] ويجيب النقد النقدي بكلمات الهر ادغار ، المجسد للمعرفة الهادئة : « حتى تكون قادرا على خلق كل شيء تحتاج الى وعي أقوى بكثير من ذلك الذي يملكه العامل » ونقيض الفرضية المشار اليها سابقا هو الصحيح فالعامل لا يصنع شيئا ، ولذلك لا يملك شيئا ولكن السبب في انه لا يصنع شيئا يرجع الى ان عمله فردي دائما اذ ان غرضه حاجاته الاكثر شخصية اليومية بصورة خالصة

يصل النقد النقدي هنا الى ذروة التجريد الذي فيه يعتبر ابداعات افكاره الخاصة وتعميماته التي تناقض كل حقيقة شيئا بل يعتبرها كل شيء فالعامل لا يخلق شيئا لأنه لا يخلق سوى فردية يعني محسوسة ، ملموسة لا روح فيها ولا نقدية ، رؤيتها ترعب النقد الخالص فكل ما هو حقيقي وحي يعتبر كثافة غير نقدية ولذلك فهو ليس شيئا ، بل المخلوقات الوهمية والمثالية للنقد النقدي هي وحدها كل شيء

فلورا تريستان . اشتراكية فرنسية كان حلمها يتحقق منظمة [illegible] كبرى يدفع كل منتسب اليها اشتراكا من أجل بناء قصر للعمل وتعيين محام [illegible] العمال

لا يخلق العامل شيئا ، لأن عمله يبقى فرديا فليس له من موضوع سوى حاجاته الفردية ، ذلك لأن الفروع الفردية المتداخلة للعمل في النظام العالمي الحالي ، لا ينفصل كل فرع عـــن الآخر فقط ، بـــل يناقضه ؛ وباختصار لأن العمل غير منظم . فان الفرضية الخاصة بالنقد ، اذا ما اخذناها فقط بالمعنى المعقول الذي يحتمل ان تتصف به ، تتطلب تنظيم العمل وفلورا تريستان، التي تظهر هذه الفرضية الكبرى للمرة الاولى في تقدير لكتابها، تبرز الطلب نفسه وقد عوملت وكأنها نذلة **Canaille** لوقاحتها في سبق النقد النقدي الى هذا الطلب وعلى اي حال فان الفرضية القائلة إن العامـــل لا يخلق شيئا هي جنون مطبق ــ الا اذا اخذت بمعنى ان العامل **الفردي** لا ينتج شيئا **كاملا** وهذا هو الحشو الذي لا طائـــل منه إن النقـــد النقدي لا يخلق شيئا والعامل يخلق كل شيء ، الى حد انه حتى ابداعاته الروحية تضع كل النقد النقدي وجها لوجه أمام العار ؛ ويقدم العمـــال الانكليز والعمال الفرنسيون الدليل على هذا إن العامل يخلق حتـــى **الانسان ؛** ولن يكون الناقد اي شيء سوى بشري ثانوي (Ein Unmensch) ولكن من جهة اخرى سيحوز على رضا كونه ناقدا نقديا

« إن فلورا تريستان مثال للدغماطية الانثوية التي يجب ان يكون لها صيغة وتنشىء هذه الصيغة من المقولات الموجودة

إن النقد النقدي لا يفعل شيئا سوى « انشاء الصيغ مـــن المقولات الموجودة وبدقة اكثر ، من الفلسفة **الهيغلية** الموجودة ، ومن المطامح الاجتماعية الموجودة الصيغ ولا شيء آخر سوى الصيغ ورغم كـــل الشتائم ضد الدغماطية ، فانه يدين نفسه بالدغماطية ، بل حتى بالدغماطية **الانثوية** إن النقد النقدي كان وسيبقى فلسفة **هيغلية** مترملة شاحبة شمطاء، تطلي وتزين جسدها الكريه والمتغضن الذي بات تجريدا، وتبصبص في كل المانيا بحثا عمن يغازلها

٢ ـ بيرود وكتابه عن البغايا .

إن الهر ادغار ، وقد تملكته الشفقة على المسائل الاجتماعية ، يتدخل ايضا في مقاله علاقات البغاء العدد الخامس الصفحة السادسة والعشرون من الصحيفة الادبية)

ينتقد بيرود ، مفوض شرطة باريس في كتابه عن البغاء لانه قلق حول وجهة النظر التي منها يأخذ بيرود بعين الاعتبار وضع البغايا في المجتمع إن المعرفة الهادئة تعتريها الدهشة اذ ترى ان شرطيا يتبنى وجهة نظر الشرطة ، وتوحي للجمهور أن وجهة النظر تلك خاطئة تماما ولكن النقد لا يفصح عن وجهة نظره الخاصة وبالطبع لن يفصح عندما يهتم النقد بالبغايا فلا يمكن أن نتوقع منه أن يفعل ذلك جهارة

٣ ـ الحب .

وحتى يتم النقد النقدي تحوله الى المعرفة الهادئة عليه اولا ان يجد طريقة للتخلص من **الحب** فالحب هوى ولا شيء اشد خطرا على المعرفة الهادئة من الهوى وهذا هو السبب ، اذا ما تحدثنا بلسان قصص مدام فون بالزوف التي يؤكد لنا الهر ادغار انه **« درسها دراسة كاملة »** في ان الهر ادغار يعتريه العجب من **«صبيانية يطلق عليها اسم الحب»** إن الحب شيء مرعب بغيض يجعل النقد النقدي غاضبا ويثير حنقه ويدفعه الى الجنون

الحب الاهة ظالمة ومثل اي إله يرغب في الاستيلاء على الانسان بكليته ولا يرتاح حتى يذعن له لا بروحه فقط بل بكيانه المادي ، وعبادة الحب الم وذروة هذا الالم هو التضحية بالذات والانتحار

وحتى يحول الهر ادغار الحب الى مولوح* الى تجسيد شيطاني

★ اله من آلهة الساميين كانوا يذبحون الاطفال تضحية لـه . (المترجم)

فانه يحوله اولا الى إلاهة (Goddess) وعندما يصبح الحب إلاهة ، اي شيئا لاهوتيا ، فانه من الطبيعي آن يصبح موضوعا من ضمن موضوعات **النقد اللاهوتي** ؛ وفوق ذلك ، نحن نعرف أن الاله والشيطان لا يبعد الواحد عن الآخر كثيرا يحول الهر ادغار الحب الى « إلاهة » ، الى « إلاهة ظالمة »
فضلا عن ذلك ، بأن يحول الانسان الذي يحب ، حب الانسان ، الى انسان الحب ، بأن يجعل « الحب » كائنا منفصلا عن الانسان ويمنحه كينونة مستقلة وبهذه العملية البسيطة ، بتحويل الموضوع الى ذات ، يمكن لسمات الطبيعـــة البشرية وظواهرها ان تتحول نقديا الى عكسها (Urwesen) ونقائضها وهكذا ، مثلاً ، نجد النقد النقدي يجعل من النقد جوهراً ، كمحمول وفعالية للانسان ، على حدة ، فيرجع النقـد نفسه الى نفسه ولذلـك يغـدو **نقدا نقديا : يغدو** « مولوخ » الذي تقوم عبادته على التضحية بالذات ونحر الانسان ، وعلى الاخص نحر **قدرته على التفكير** .

تصرخ المعرفة الهادئة الموضوع ، الموضوع هو التعبير الصحيح لان المحبوب لا يهمه المحب (لا اشارة هنا للمؤنث الا باعتبـــاره الموضوع الخارجي لهيجان روحـه ، باعتباره الموضوع الـــذي فيه يرغب في ارواء شعوره الاناني

الموضوع يا للهول ، فلا شيء اكثر ادانة واكثر دنساً ، واكثر كثافة من الموضوع ـ فليسقط الموضوع ! كيف لا ترى الذاتية المطلقة اي العمل الخالص (Actus purus) او النقد « الخالص » في الحب وحشها الاسود (bête noire) ، ذلك الشيطان المتجسد في الحب الذي من تعاليمـــه الاولى للانسان أن يؤمن بالعالم الموضوعي الموجود خارج ذاته ، في الحب الذي لا يجعل الانسان موضوعا بل يجعل الموضوع انسانا

وتستطرد المعرفة الهادئة أن الحب لا يكتفي بتحويل الانسان الى مقولة « موضوع » من اجل انسان آخر ، بل أكثر من ذلك أنه يجعـــل منه موضوعا **حقيقيا محددا** ، هذا الموضوع **الخارجي** (انظر **فينومينولوجيا**

هيعل حول معولتي هذا و ذاك حيث توجد نضا مناظرة ضـــد هذا الشرير الفرد الشرير الذي لا يبقى موضوعا داخليا كامنا في الدماغ بـل يظهر ظهورا حسيا

الحـب

لا يعيش فقط حبيسا في الدماغ

لا ، فالمحبوب **موضوع حسي** ، واذا كان النقدالنقدي يتنازل فيتعرف على موضوع ما ، فانه يطلب على الاقـــل موضوعا غير حســـي ولـكن **الحب مادي غير مسيحي** وغير نقدي

وأخيرا ان الحب يجعل حتى الانسان « **هـــذا الموضـوع الخارجي لهيجان النفس**» لانسانآخر،الموضوعالذيتجد فيه الشعور الأنانيلانسان آخر رضاه ، شعور **أناني** لأنه يبحث عن جوهره الخاص في الانسانالآخر وذلك ما يجب الا يكون والنقد النقدي متحرر من كل انانيه فبالنسبة له كل مجال الجوهر البشري يتحقق في **أناه الخاصة** •

وطبيعي ان الهر ادغار لا يحررنا بأي طريقة تميز المحبوب مـــن الموضوعات الخارجية الاخرى لهيجان النفس الذي تجد فيه المشـــاعر الأنانية للبشر رضاها انموضوعالحبالحسيالعميقالاكثر تعبيرا لايعني شيئا بالنسبة للمعرفة الهادئة الا الصيغة المجردة هـــذا الموضـــوع الخارجي لهيجان النفس لا يعني شيئا كما أن المذنب لا يعني للفيلسوف الطبيعي المتأمل سوى السلبية وحين يجعل الانسان موضوعا خارجيا لهيجان نفسه فان الانسان في الواقع يولي الاهمية لنفسه والنقـد النقدي نفسه يوافق على ذلك لكنها **الاهمية الموضوعيه** فقط بينمـــا الاهمية التي يوليها النقد للموضوعات ليست شيئا آخر غير تلك الاهمية التي يوليها لنفسه ولذا فان هذه الاهمية لا تكمن في الكائن الخـــارجي الشرير بل في عدمية الموضوع الهام نقديا

واذا كانت المعرفة الهادئة لا تملك موضوعا في الانسان الحقيقي فانها ، من ناحية اخرى ، تملك **قضية في البشرية** الحب النقدي « يهتم قبل كل شيء بعدم نسيان **القضية** وراء المصلحة الشخصية لان تلك القضية ليست شيئا آخر غير قضية البشرية أما الحب غير النقدي فلا يفرّق البشرية عن الانسان الفردي الذاتي

الحب نفسه ، باعتباره هوى **مجردا** ، لانعرف متى يأتي ولا نعرف اين يذهب ، عاجز عن الاهتمام بالتطور **الداخلي** » .

والحب ، في نظر المعرفة الهادئة ، هوى مجرد طبقا لمصطلح اللغة التأملية التي يدعى فيها المحسوس مجردا والمجرد محسوسا

لم تولد الفتاة في ذاك الوادي
فلا احد يدري من أين أتت
ولا تبقى ذكراها طويلا
عندما تقول وداعا*

والحب بالنسبة للتجريد فتاة من خارج الحدود لا تملك جواز مرور ديالكتيكي ولذلك يطردها البوليس النقدي من البلاد

وهوى الحب عاجز عن الاهتمام بالتطور **الداخلي** لأنه لا يمكن أن يفسر مسبقا ، لأن تطوره تطور حقيقي يجري في عالم الحواس وبين الافراد الحقيقيين ان الاهتمام الرئيسي للبناء التأملي ينصب ، من جهة اخرى على « من أين و الى أين وال « من أين » هي « ضرورة المفهوم وإثباته واستنتاجه هيغل وال الى اين هي تحديد بواسطته تكون كل حلقة منفصلة عن الحركة الدائرية التأملية ، باعتبار ان المنهج ينفخ فيها الحياة ، بداية لحلقة جديدة في الوقت نفسه »

★ الشعر لشللر من قصيدته فتاة من وراء الحدود » . (المترجم)

(هيغل   ولذلك فقط عندما من أين و الى أين الخاصتان به **تفسران مسبقا** عندئذٍ ستحق الحب اهمام النقد التاملي

لا تقف النقد النقدي هنا ضد الحب وحده ، بل ضد كل شيء حي ، فوري ، ضد أي تجربة حسية ، واي تجربة **حقيقية** لا تعرف مسبقا من اين سها و الى اين سها

وبتغلب الهر ادغار على الحب يحقق **توكيد** ذاته باعتباره معرفة هادئة وبتناوله برودون تمكنه أن تظهر الآن فضيلة عظمى في المعرفة التي لم يعد « **موضوعها** » بعد الآن « **هذا الموضوع الخارجي** » ، و يظهر مزيدا من **نقص الحب** للغة الفرنسية

٤ - برودون

ليس برودون نفسه ، بل وجهة نظر برودون كما يخبرنا النقد النقدي هي التي كتبت كتابه ما هي الملكية ؟

أبدا عرضي لوجهة نظر برودون بتشخيص كتابها اي كتاب وجهة نظر برودون ما هي الملكية ؟

بما أن **مؤلفات** وجهة النظر النقدية فقط تملك شخصيتها ، فان الضرورة التشخيصية النقدية تبدأ بتقديم تشخيص كتاب برودون ويقدم الهر ادغار تشخيصا لهذا الكتاب **بترجمته** ومن الطبيعي ان يعطيه تشخيصا **رديئا** ، لانه يحوله الى **موضوع** للنقد

ولذا فان كتاب برودون تعرض لهجوم مزدوج من قبل الهر ادغار ـ هجوم **صامت** في ترجمته التشخيصية وهجوم **صريح** في حواشيه النقدية وسوف نرى أن الهر ادغار أشد تدميرا عندما يترجم منه عندما يكتب الحواشي

الترجمة التشخيصية رقم (١)

« لا ارغب (يقول برودون المترجم نقديا) في تقديم اي نظام جديد ، كل ما أريده هو إلغاء الامتياز والغاء العبودية العدالة ، ولا شيء غير العدالة ، ذاك هو ما افكر فيه

يقتصر برودون المشخص على الرغبة والتفكير ، لأن الارادة الطيبة » و « التفكير » غير العلمي هما الصفتان المشخصتان للجمهور غير النقدي. ويتخذ برودون المشخص موقفا تواضعا يلائم الجمهور ، ويخضع ما يرغب لما لا يرغب وهو لا يزعم أنه يرغب في تقديم نظام جديد ؛ أنه يرغب في اقل من ذلك ، انه لا يرغب بشيء قط سوى إلغاء الامتياز الخ وانى جانب هذا الخضوع النقدي من جانب الارادة التي يملكها للارادة التي لا يملكها ، فان كلمته الاولى تتصف بافتقار تشخيصي الى المنطق فالكاتب الذي يبدأ كتابه بالقول بأنه لا يريد ان يعطي اي نظام من الافكار الجديدة يجب ان يخبرنا اذن ما الذي يرغب في اعطائه ، رأي بأفكار قديمة منهجة ام افكار جديدة غير منهجة ولكن هل يرغب برودون المشخص ، الذي لا يرغب في **تقديم** اي نظام جديد ، أن يقدم الغاء للامتياز ؟ لا انه يرغب في ذلك رغبة فقط

يقول برودون الحقيقي (Je ne fais pas de système. je demande la fin du privilege etc) « انا لا اصنع اي نظام ؛ انا أطلب وضع نهاية للامتياز الخ وهذا يعني ان برودون الحقيقي يصرح بأنه لا يلاحق اي اهدافا علمية مجردة ، بل يقدم مطالب عاجلة الى المجتمع وليس المطلب الذي يقدمه اعتباطيا ، بل يملك بواعثه ومبرراته في مناقشته ، لأن «Justice, rien que justice ; tel est le resumé de mon discours» (العدالة ، ولا شيء غير العدالة تلك هي خلاصة بحثي) و بـ عدالته ، ولا شيء غير العدالة ذاك ما اقصده يضع برودون المشخص نفسه في موقف يضاعف ارتباكه بقدر ما ينطوي على معان اعظم وطبقا للهر اذغار مثلا ،

«يعتقد» برودون ان الفلسفه لم تكن عمليه بما فيه الكفايه، انه **يفكر** في دحض **شارلز كومت** ، وهكذا دواليك

يسأل برودون النقدي هل يفرض على **الانسان** ان يكون شقيا دائما ؟ » وبكلمات اخرى يتساءل عما اذا كان الشقاء مصيرا أخلاقيا للانسان اما برودون الحقيقي فهو رجل فرنسي مستنير ، ويسأل فيما اذا كان الشقاء ضرورة مادية وامرا حتميا

I'homme doit-il être éternellement malheureux ?

يقول برودون الجماهيري

Et, sans m'arrêter aux explications à toute fin des entrepreneurs de reformes, accusant de la détresse général, ceux-ci la lâcheté et l'impéritie du pouvoir, ceux-la les conspirateurs et les émeutes. d'autres l'ignorance et la corruption générale « etc »*

ان تعبير « à toute fin » ليس موجودا في المعجمات الالمانية الجماهيرية لكونه تعبيرا جماهيريا رديئا ومن الطبيعي ان يحذف برودون النقدي هذا التعريف الاكثر دقة من الشروح هذا المصطلح مأخوذ من الحذلقة الفرنسية الكثيفة وقوله (Explications à toute fin) يعني الشروح التي تقطع الطريق على اي اعتراض برودون النقدي يهاجم الاصلاحيين «Reformists» * وهم حزب اشتراكي فرنسي وبرودون الجماهيري يهاجم رواد الاصلاح برودون الجماهيري يميز بين الطبقات المختلفة لبناة الاصلاح (Entrepreneurs de reformes), هؤلاء (Ceux - ci) يقولون شيئا وأولئك (Ceux - là) يقولون شيئا آخر ، وآخرون (d'autres) يقولون شيئا ثالثا وبرودون

★ لا حاجة للتوقف عند الشروح التي تعوق كل الاعتراضات المقدمة من قبل رواد الاصلاح: بعضهم يوقع اللوم على جبن الحكومة العام وعجزها وبعضهم ـ المتآمرون والمتمردون ، الآخرون مرة أخرى ـ يوقع اللوم على الجهل والفساد العام الخ

★ يقصد ماركس بالاصلاحيين القائمين على جريدة الاصلاح الباريسية وانصارهم (المترجم)

النقدي يجعل من جهة **نفس الاصلاحيين** يتهمون الآن فلاناً ، وبعدهـا آخر ، وبعدها ثالثا » ممـا يثبت في كـل الاحــوال تقلبهـم وبرودون الحقيقـي الــذي تتبــع العمــل الفــرنسي الجمـاهـيري يتحدث عــن (les conspriraterurs et les émeutes) ، أي أولا عــن المتآمرين ، وبعدئذٍ عن نشاطهم ، أي العصيانات ومن جهة اخرى نجـد برودون النقدي يكدس الطبقات المختلفــة من الاصلاحيين مـع بعض ويصنف العصاة ولذلك يقول المتــآمرون فالعصاة ويتحدث برودون الجماهيري عن « **الجهل** » و « **الفساد العام** » أما برودون النقدي فيغير **الجهل** الى غباء ويحول الفساد الى فجور ، وأخيرا ، بوصفه ناقدا نقديا ، **يجعل** الغباء **عاما** وهــو نفسه يقدم مثالا عاجلا عنه بوضــع كلمــة générale بصيغة المفرد بدلا مـن صيغة الجمع ، إنه يكتب « **الجهــل والفساد العام** بدل" الغباء والفجور العامين وطبقا لقواعد اللغة الفرنسية غير النقدية فان هذه الجملة يجب ان تكون

L'ignorance et corruption générales

وبرودون المشخص ، الذي يتحدث ويفكر بطريقة تختلف عن طريقة برودون الجماهيري ، قد اجتاز بالضرورة **مرحلة من الثقافة** مختلفة عنه فقد ناقش جهابذة العلم ، وقرأ مئات المجلــدات في الفلسفة والقــانون الخ الخ واخيراً إنه « أدرك أننا لـم نستوعب معنــى الكلمات التالية عدالة ، مساواة ، حرية » ويعتقد برودون الحقيقي انه ادرك **أولا** ، Je crus d'abord reconnaitre مـا أدركــه برودون النقدي « أخيرا » ، والتحول النقدي من **أولا** (d'abord) الى **اخــيراً** (**enfin**) إنمــا يتــم بالضـرورة لأن الجمهــور لا يعتقــد انــه يــدرك اي شــيء **أولا** ويخبــرنا بــرودون الجمــاهــيري بوضوح كيف أنه صعق للنتيجــة المفاجئــة لــدراساته وانــه كـان مرتاباً فيهــا ولكنــه قــرر ان يقــوم بـ دليل مضــاد وأن سأل نفســه هل يحتمل أن الانسانية ظلت طويلا تخطىء بوجه عام في تطبيق مبادىء الاخلاق ؟ كيف ولماذا كانت مخطئة ؟ الخ وجعــل صحة ملاحظاته تقوم على حل هذه المسائل ووجد أن الاخطاء في الاخلاق

كما في غيرها من فروع المعرفة « **عبارة عن درجات في العلم** » وعلى نقيضه كان برودون النقدي يثق بالانطباع الاول الـــذي عليه يقـــوم اقتصاده اسياسي ، وقانونه والدراسات المشابهة ولا حاجةالى القول انالجمهور فد لا يتقدم **بصورة جامعة** ؛ يجب أن يرفع النتائج الاولى لاستقراءاته الى مستوى الحقائق التي لا جدال فيها وقد وصل الى النهاية قبل أن يبدأ، قبل أن يقيس نفسه مع نقيضه ولذا يظهر » اخيرا انه لم يبدأ بعد عندما يعتقد أنه وصل الى النهاية

ولذلك فإن برودون النقدي يتابع تعليله بطريقـــة مفككة ولا أساس لهـــــــا

« معرفتنا لقوانين الاخلاق غير كاملة منذ البداية ؛ ولـــذا فهي تفي لبعض الوقت من اجل التقدم الاجتماعي ، ولكنها علىالمدىالطويلتقودنا في الطرق الخاطئة »

ولا يقدم لنا برودون النقدي اي تعليل عن لماذا تفي معرفتنا غـــير انكاملة لقوانين الاخلاق بالتقدم الاجتماعي حتى ليوم واحد أما برودون الحقيقي ، وقد طرح المسألة على النحو التالي لماذا أخطأت البشريـــة بشكل عام لفترة طويلة ، فيجد الحل في أن كل الاخطـــاء هي درجات في العلم ، في أن معظم محاكماتنا تتضمن مجموعة من الحقائق التي تكفي عددا منالاستدلالات ولدورةمعينةمنالحياةالعملية،وهيتؤدي ما وراء هذا العدد وتلك الدورة نظريا الى العبث وعمليا الى الانحطاط وهكذا نجـــده في وضع يخوله القول انه حتى المعرفة غير الكاملة للقوانين الاخلاقية يمكن أن تفي بالتقدم الاجتماعي لفترة من الوقت

يقول برودون النقدي

حالما تصبح المعرفة الجديدة ضرورية فان صراعا مريرا ينشب بين الاهواء القديمة والفكرة الجديدة

فكيف يمكن أن ينشب صراع ضد عدو **لم يوجد بعـد** ؟ ولنوافق على ذلك ، وبرودون النقدي يخبرنا أن الفكرة الجديدة تصبح ضرورية ، بيد أنه لم يقل إن هذه الفكرة **جاءت الى الوجود مسبقاً** .

ويقول برودون الجماهيري

عندما تصبح المعرفة العليا لا غنى عنها فلن تكون **ناقصة أبدا** » ، ولذلك تعدو جاهزة للاستخدام عندئذ يحدث ان يبدأ الصراع

ويؤكد برودون النقدي مقدر على الانسان ن يتعلم خطوة خطوة»، وكأن ليس للانسان قدر مختلف كل الاختلاف وكأنه لو تعلم خطـــوة خطوة » فسوف يدفعه ذلك بالضرورة الى الامام خطوة ولكن في مقدوري ان اسير خطوة خطوة وان اصل الى النقطة التي انطلقت منها ويتحدث بـــرودون الـــلانقدي ليس عـــن القـــدر وانمـــا عـــن الظـرف (Condition) الذي يتوفر للانسان حتـى يتعلم ليس **خطـــوة خطـــوة** (pas à pas) بل على درجات (par degrés)

ويقول برودون النقدي في نفسه

من بين المبادىء التي يستقر عليها المجتمع ثمة مبـدأ لا يفهمه المجتمع ، وهذا المبدأ يفسده جهل المجتمع وهو سبب كل الشرور » ولكن كل البشر يجهلون **هذا** المبدأ ويرغبون فيه ، ومن دون ذلـك لن يكون له تاثير والآن هذا المبدأ الحقيقي في الجوهر والزائف في الطريقـة التي ندركه فيها ما هو

في الجملة الاولى يقول برودون النقدي أن المبدأ افســده المجتمع ، ولم يدركه ، ولذلك فهو صحيح في حد ذاته. وفي الجملة الثانية يتورط في تكرار ما قرره من أن المبدأ حقيقي في جوهره وهو يلوم المجتمع في الرغبة في هذا المبدأ واجلاله ولكن برودون الجماهيري من ناحية أخرى يلــوم المجتمع لاجلاله ورغبته ليس في هـــذا المبـــدأ ، بل في المبدأ الـــذي

زيفـــة جهلنـــا (Ce principe tel que notre ignorance l'a fait, est honoré) ويجد برودون النقدي **جوهر** هـــذا المبـــدأ في شكله غير الحقيقي حقيقيا ويجد برودون الجماهيري أن جوهر المبدأ **المزيف** إنما هو فهمنا غير الصحيح، ولكنه حقيقي في **موضوعه** (Objet) ، **تماما** كما أن جؤهر الكيمياء القديمة* والتنجيم هو مخيلتنا ولكن موضوعاتهما ـ حركة الاجرام السماوية ، والخصائص الكيميائية للاجسام ـ حقيقية

ويتابع برودون النقدي مناجاته

إن موضوع بحثنا هو القانون ، هو تحديد المبدأ الاجتماعي والآن يعع السياسيون، أي رجال العلم الاجتماعي، فريسة الغموض التام، ولكن بما أن ثمة حقيقة في أساس كـل خطأ فسوف نجد الحقيقة في كتبهم ، التـي قدموها للعالم دون معرفة منهم

ولبرودون النقدي طريقة وهمية في المحاكمة وينطلق بشكل تعسفي من واقع أن السياسيين جاهلون الى القول إن الحقيقة تكمن في أساس كل خطأ ، مما يجعلهم شكون في وجود الحقيقة في أساس كل خطأ ـ في شخص مؤلفه ومن واقع ان الحقيقة تكمن في **أساس** كل خطـــأ ، ينطلـــق الى استنتاج ان الحقيقة توجد في كتب السياسيين. وأخيرا يجعل السياسيين يظهرون هذه الحقيقة في **العالم** وبما انهم اظهروها في **العالم** فلا حاجة بنـــا للبحث عنها في كتبهم

يقول برودون الجماهيري لا يتفق السياسيون فيمـــا بينهـــم (ne s'entendent pas) ولذلك فان خطأهم خطـــأ ذاتي له منشؤه فيهم (donc c'est en eux qu' est L'erreur) ان اختلافهم يثبت نظرتهم الاحادية الجانب إنهم يخلطون رأيهم الخاص بالحس العـــام وطبقا للاستنتاج السابق بما ان لكل خطأ واقع حقيقي كموضوع ، فان

---

* Alchemy

نسبهم يجب أن تتضمن الحقيقة التي يظهرونها من دون وعي ـ أي في كتبهم ـ ولكنها لا تظهر في العالم

(dans leurs livres doit se trouver la vérité qu' à leur insu ils y auront mis)

ويسأل برودون النقدي نفسه ما العدالة ، وما جوهرها ، وما كيانها ، وما معناها ؟ وكأن لها معنى منفصلا عن جوهرها وكيانها وسأل برودون غير النقدي ما هو المبدأ وما كيانه وصيغته « Formule » ؟ والصيغة هي المبدأ باعتباره مبدأ تعليل علمي وهناك في اللغة الفرنسية الجماهيرية اختلاف جوهري بين « Formule » و « Signification » اما في اللغة الفرنسية النقدية فلا وجود لهذا الاختلاف

ويستجمع برودون النقدي قواه بعد ابحاثه غير المناسبة ويصرخ «دعنا نقترب من موضوعنا اكثر فأكثر

اما برودون غير النقدي الذي وصل الى الموضوع منذ أمد طويل ، فحاول من جهة ثانية ، ان يحصل على تعريفات ايجابية لموضوعه

(d'arriver à quelque chose de plus précis et de plus positif)

القانون بالنسبة لبرودون النقدي هو تحديد ما هو حق اما بالنسبة لبرودون غير النقدي فالقانون تصريح عن الحق » déclaration ويخاصم برودون غير النقدي النظرة القائلة ان الحق يصنعه القانون ولكن تحديد القانون يمكن ان يعني ان القانون محدد تماما بقدر ما يعني انه يحدد وبرودون النقدي نفسه تحدث عن تحديد المبدأ الاجتماعي بالمعنى الاخير وبالمناسبة ، فانه لا يناسب برودون الجماهيري أن يصنع هذه التمييزات الجميلة

واذا اخذنا بعين الاعتبار هذه الاختلافات بين برودون المشخص نقديا وبرودون الحقيقي ، فليس من العجب أن برودون رقم واحد يسعى

لإثبات اشياء تختلف تمام الاختلاف عن الاشياء التي يسعى لاثباتهـــــــا برودون رقم اثنين

برودون النقـــدي « **يسعى لان يثبت بتجربة التاريخ** » ان « لو كانت الفكرة التي لدينا عن العدل والحق زائفة فمن الواضح (يحـاول أن يثبتها رغم وضوحها) ان كل تطبيقات هذه الفكرة في القانون يجب ان تكون سيئة ، كما يجب ان تكون كل مؤسساتنا قاصرة »

إن برودون الجماهيري ابعد من ان يرغب في اثبات ما هـو واضح يقول اذا كانت الفكرة التي لدينا عما هو عدل وحق محددة تحديـدا سيئا ؛ اذا كانت ناقصة او حتى زائفة ، فمن **الواضح** ان كل تطبيقاتنــــا التشريعية ستكون سيئة الخ »

اذن ما الذي يرغب برودون غير النقدي في اثباته ؟

ويتابع هذه الفرضية لتحريف العدالة في فهمنا ، وكنتيجة لازبة في أعمالنا ، ستكون حقيقة وطيدة لو ان آراء الناس بخصوص مفهـوم العدالة وتطبيقاته لم تبق هي نفسها باستمرار لو أنها في أحقاب مختلفة خضعت لتغيرات ، وباختصار ، لو ان التقدم تحقق في الافكار »

ذاك التقلب وذاك التغير وذاك التقدم بالضبط « ما يثبته **التاريـــخ** بأسطع الادلة وضوحا ، وبرودون غير النقـدي يستشهد بهذه الادلـة الساطعة للتاريخ اما نسخته النقدية الثانية ، فانها تثبت فرضية مخالفة كليا عن طريق التجربة التاريخية ، فانها تقدم تلك التجربة بطريقة مختلفة تماما

بالنسبة لبرودون الحقيقي تنبأ « الحكماء » les sages بسقوط الامبراطورية الرومانية ، أما بالنسبة لبرودون النقدي ، فالفلاسفـة هم الذين تنبأوا بذلك وبامكان برودون النقدي بالطبع ان يعتبر الفلاسفة وحدهم رجالا حكماء بالنسبة لبرودون الحقيقي كـان الحق الروماني مكرساً

بعشرة قرون مـــن التطبيق القانوني للعـــدالة أو ادارة العـــدالـة
(ces droits consacrés par une justice dix fois séculaire) وبالنسبة
لبرودون النقدي كرست روما الحق بعشرة قرون من العدالة

بالنسبة لبرودون نفسه رقم واحد يبرر الرومان كما يلي روما... كانت منتصرة بفعل سياسها وآلهتها وأي اصلاح في العبادة أو الروح العامة سيكون غباء وانتهاكا (بالنسبة لبرودون النقـــدي لا تعني كلمـة Sacrilège انتهاكـــا أو تدنيسا لشيء مقدس ، كما في اللغـة الفرنسية الجماهيرية ، وإنما تعني انتهاكا فقط ولو أنها ارادت تحرير الشعوب فقد كان عليها بذلك ان تتخلى عن حقها ويضيف برودون رقم واحد هكذا كان الواقع والحق في صالح روما

بالنسبة لبرودون غير النقدي نفكر الرومان تفكيرا منطقيا اكثر **الواقع** كان اكثر تحديدا لديه

كان العبيد من أخصب المصادر لثروة رومـا ، فاعتاق العبيـــد سيكون بالتالي **دمارا لخزينتها** » .

ويضيف برودون الجماهيري مستشهـدا بالقانون كانت مطالب روما لها ما يبررها في قانون الامم (droit des gens) هذه الطريقة في اثبات حق الخضوع ، كانت متفقة كليا مع النظرة الرومانية في القانون (نظر مجموعةالقوانينالجماهيرية .Fr » jure gentiums servitus invasit)
4. D. 1.1 »

بالنسبة لبرودون النقدي كانت الوطنية والعبودية والليونة اساس المؤسسات الرومانية كل المؤسسات ولا استثناء ويقول برودون الحقيقي الوثنية في الدين ، والعبودية في الدولة والابيقورية (إن كلمة épicurisme في اللغة الفرنسية البذئة ليست مرادفة لكلمـــة ليونـــة mollesse) في الحياة الخاصة ، كانت أساس المؤسسات » .

يقول برودون الصوفي انه داخل ذلك الوضع الروماني « ظهرت كلمة الرب » ولكن بالنسبة لبرودون العقلي الحقيقي ظهر « رجل سمي نفسه كلمة الرب » في كتاب برودون الحقيقي نجد ذلك الرجل يدعو الكهان بالأفاعي الخبيثة (vipères) في برودون النقدي يتحدث ذلك الرجل بشكل اكثر كياسة فيدعوهم بالأفاعي (Serpents) في برودون السابق يتكلم هذا الرجل بالطريقة الرومانية للمدافعين Advocates (Advokàten) وفي برودون الاخير يتحدث بالطريقة الالمانية للمحامين lawyers (Rechtsgelehrte)

برودون النقدي يدعو روح الثورة الفرنسية روح التناقض وبعدها يضيف : « وذلك يكفي للتأكيد أن الجديد الذي حل محل القديم لا يملك في ذاته شيئا منهجيا معتبرا » ولا يستطيع ان يحجم عن تكرار المقولات المحببة للنقد النقدي ، « القديمة » و « الجديدة » . لا يستطيع أن يحجم عن الطلب البليد أن « الجديد يجب أن » يملك على ذاته (an sich) شيئا منهجيا ومعتبرا ، كما يملك المرء صباغا على نفسه (on sich) يقول برودون الحقيقي

وذلك يكفي لاثبات ان النظام الجديد الذي استبدل بالنظام القديم كان في ذاته (in sich) بلا منهج أو اعتبار »

وبرودون النقدي ، محمولا على اجنحة ذكرى الثورة الفرنسية ، يقوم بتثوير اللغة الفرنسية بحيث أنه يترجم (un fait physique) «حادثة فيزيائية» الى «حادثة من الفيزياء» ويترجم (un fait intellectuel) « حادثة عقلية » الى « حادثة من العقل » . وبهذه الثورة في اللغة الفرنسية يتدبر برودون النقدي امره كي يجعل الفيزياء في حالة تملك لجميع الاحداث الموجودة في الطبيعة وبينما يمتدح العلم الطبيعي بشكل غير لائق من جهة ، فانه يزيفه تماما من جهة اخرى بحرمانه من العقل والتمييز بين حادثة من الفيزياء ، وحادثة من العقل والى هذا الحد نفسه يفعل بكل بحث

منطقي أو سيكولوجي دون ضرورة برفع الحادثة العقلية مباشرة الى مستوى حادثة من العقل

وبما أن برودون النقدي ، برودون رقم واحد ، لا يملك ادنى فكرة عما يرغب برودون الحقيقي ، برودون رقم اثنين ، أن يثبت باستقرائه التاريخي ، كما ان المضمون الحقيقي لذلك الاستقراء لا وجود له بالنسبة اليه ، اعني اثبات التغير في الآراء حول الحق والانجاز المستمر للعدالة عن طريق نفي القانون التاريخي الايجابي

يقول برودون الحقيقي « جرى خلاص المجتمع عن طريق نفي مبادئه وخرق معظم الحقوق المقدسة »

وهكذا يثبت كيف أن نفي الحق الروماني قاد إلى توسيع الحق في المفهوم المسيحي ، وقاد نفي الحق الغالب الى حق الكوميونات ونفي كل النظام الاقطاعي عن طريق الثورة الفرنسية قاد إلى النظام الشامل الحالي للقانون

النقد النقدي لا يترك لبرودون مجد اكتشاف قانون انجاز المبدأ عن طريق نفيه . وفي هذا المفهوم الواعي كان ذاك التفكير انكشافا حقيقيا للفرنسيين

الحاشية النقدية رقم (١)

وكما أن النقد الاول لاي علم يجد نفسه بالضرورة تحت تأثير فروض العلم الذي يحارب ضده كذلك مبحث برودون **ما هي الملكية ؟** هو نقد **الاقتصاد السياسي** من موقف الاقتصاد السياسي — ولا حاجة بنا الى التعمق أكثر في الجزء القضائي للكتاب ، الذي ينتقد القانون من موقف القانون لأن اهتمامنا الرئيسي ينصب على نقد الاقتصاد السياسي — ولذا فان مبحث برودون قد تجاوزه نقد **الاقتصاد السياسي** ، بما فيه

مفهوم برودون عن الاقتصاد السياسي وهذا العمل أصبح ممكنا بعد عمل برودون الخاص ، تماما كما أن نقدبرودونيفترضنقد الفيزوقراطيين للنظام الميركانتيلي ونقد آدم سميث للفيزوقراطيين ونقد ريكاردو لآدم سميث ، ومؤلفات فوربيه وسان سيمون

كل المباحث حول الاقتصاد السياسي تنطلق من الملكية الخاصة كأمر مسلم به هذه الفرضية الاساسية بالنسبة اليهم واقع لا جدال فيه ، لا تفسح المجال لبحث ضاف ، واكثر من ذلك ، واقع يتناولونه بالحديث « مصادفة » ، كما يسلم بذلك ساي بسذاجة ولكن برودون يضع بحثا نقديا — اول بحث حازم لا هوادة فيه ، وهو في الوقت نفسه بحث علمي — لاساس الاقتصاد السياسي وهو الملكية الخاصة وهذا هو اعظم تقدم علمي حققه انه تقدم ثوّر الاقتصاد السياسي ، وكان سباقا الى جعل علم حقيقي للاقتصاد السياسي امرا ممكنا أن مبحث برودون ما هي الملكية ؟ عمل هام للاقتصاد السياسي المعاصر تماما كما هو هام كتاب سايس « ما هي الطبقة الثالثة ؟ بالنسبة للسياسة المعاصرة

لم يأخذ برودون بعين الاعتبار الاشكال الاخرى للملكية الخاصة مثل الاجور والتجارة والقيمة والسعر والنقد الخ ، على أنها أشكال للملكية الخاصة في ذاتها ، كما اخذت بعين الاعتبار مثلا في « الحوليات الالمانية الفرنسية* » (انظر ملاحظات في نقد الاقتصاد السياسي بقلم فريدريك انجلز) ، ولكنه يستخدم تلك الفرضيات الاقتصادية كحجة ضد الاقتصاديين ؛ وهذا منسجم تماما مع موقفه الذي يبرره تاريخيا ، والذي أشرنا اليه من قبل

وإذ يوافق الاقتصاد السياسي على أن علاقات الملكية الخاصة هي

★ صدر من هذه المجلة عدد واحد مزدوج ، فيه بعض المقالات لماركس وانجلز تتناول أمورا اقتصادية وسياسية هامة (المترجم)

علاقات انسانية ومعقولة ، يتحرك في تناقص دائم مع فرضيته الاساسية ، الملكية الخاصة ، في تناقض مماثل للتناقضات الموجودة في اللاهوت ، الذي يقدم باستمرار تفسيرا بشريا لمفاهيم دينية ، وهو من جراء هذه الحقيقة بالذات في صراع مستمر مع فرضيته الاساسية التي هي الطابع فوق البشري للدين وهكذا تظهر الاجور في الاقتصاد السياسي منذ البداية على انها الحصة النسبية العائدة الى العمل من المنتج فالأجور والربح على رأس المال يقفان في علاقة ودية ، متعاطفة بصورة متبادلة ، في الظاهر على قدر كبير من الانسانية بين الواحد والآخر وفيما بعد تنقلب هذه العلاقة فيقفان في علاقة هي أشد ما تكون من العداء ، في نسبة متعاكسة بين الواحد والآخر وتحدد القيمة بادىء الامر بطريقة معقولة ظاهريا ، بكلفة انتاج شيء ما وفائدته الاجتماعية وفيما بعد يتبين أن تلك القيمة تتحدد بشكل اعتباطي تماما ، وانها لا تحتاج الى أن تحمل أي علاقة بكلفة الانتاج أو الفائدة الاجتماعية إن حجم الاجور يحدده في البداية الاتفاق **الحر** بين العامل الحر والراسمالي الحر وفيما بعد ينقلب الامر بحيث أن العامل مضطر أن يسمح للراسمالي أن يحدد أجره تماما كما أن الراسمالي مضطر الى أن يثبت هذا الاجر في أدنى ما يمكن فحرية الطرفين المتعاقدين حلّ محلها **الالزام** والوضع نفسه نجده في التجارة وكل علاقات الاقتصاد السياسي وأحيانا يشعر الاقتصاديون بتلك التناقضات التي تشكل مناقشتها المضمون الرئيسي للصراع بينهم وعلى أي حال ، عندما يصبح الاقتصاديون واعين لتلك التناقضات ، فانهم انفسهم يهاجمون **الملكية الخاصة** في احد اشكالها المعينة على انها مزورة لما هو في حد ذاته (اي في تصورهم) أجور معقولة ، قيمة معقولة في حد ذاتها تجارة معقولة في حد ذاتها. فآدم سميث مثلا يجادل احيانا ضد الراسماليين، ودستوث دي تراسي ضد المصرفيين ، وسيمون دي سيسموندي ضد نظام المعمل وريكاردو ضد الملكية العقارية ، وكل الاقتصاديين المحدثين تقريبا يجادلون ضد الراسماليين غير الصناعيين ، الذين ظهرت فيهم الملكية على انها **مستهلك** فقط .

وهكذا كاستثناء – عندما يهاجم الاقتصاديون بعض المفاسد الخاصة – يلحون احيانا على تشابه البشرية في العلاقات الاقتصادية ، بينما في أحيان أخرى ، وهذا قليل ، يأخذون تلك العلاقات في **اختلافها** الواضح عن الانساني ، بمعناها الاقتصادي الدقيق انهم يترنحون داخل ذلك التناقض غير واعين له نهائيا

يضع **برودون** حدا لهذا اللا وعي ، **مرة والى الابد** انه يعالج **التشابه الانساني** للعلاقات الاقتصادية بجدية ، ويعارضه بحدة **بالواقع غير الانساني** لهذه العلاقات انه يجبرها ان تكون في الواقع ما تتخيل نفسها انها كائنة او اذا اردنا الدقة اكثر ، ان تتخلى عن فكرتها الخاصة عن نفسها وتعترف بلا انسانيتها الحقيقية وهكذا فهو منطقي مع نفسه عندما يباين انه ليس هذا النوع او ذاك من الملكية الخاصة هو الذي يزور العلاقات الاقتصادية ، كما يفعل الاقتصاديون الآخرون ، بل الملكية الخاصة بمجموعها انه يفعل كل ما يستطيع ان يفعله نقد الاقتصاد السياسي من موقف الاقتصاد السياسي

من الطبيعي ان الهر ادغار الذي يرغب في **تشخيص موقف** مبحث **ما هي الملكية ؟** لا يقول كلمة واحدة عن الاقتصاد السياسي ، او عن السمة المميزة لذلك المبحث الذي جعل **جوهر الملكية الخاصة** المسألة الحيوية للاقتصاد السياسي والتشريع وهذا واضح وضوحا ذاتيا بالنسبة للنقد النقدي ويقال ان برودون لم يصنع شيئا جديدا بنفيه الملكية الخاصة انه فقط قام بافشاء سر من أسرار النقد النقدي الكتومة

وبعد ترجمة الهر ادغار التشخيصية يتابع على الفور قائلا « لذلك يجد برودون شيئا مطلقا ، اساسا ابديا في التاريخ ، الها يرشد الجنس البشري – الا وهو العدالة »

لا يتفق مبحث برودون ، المكتوب بالفرنسية عام ١٨٤٠ ، مع موقف

التطور الالماني في عام ١٨٤٤ انه موقف برودون ، وهو موقف يتقاسمه كتاب فرنسيون لاحصر لهم تتعارض افكارهم معه تعارضا صارخا ، وبذلك يقدم للنقد النقدي ، فرصة تشخيص معظم المواقف المتناقضة بجرة قلم واحد واذا اراد المرء صدفة تصفية الحساب مع هذا المطلق في التاريخ ، فما عليه الا أن يطبق تطبيقا منطقيا القانون الذي صاغه برودون نفسه ، وهو انجاز العدالة بنفيها واذا كان برودون لم يذهب بالمنطق الى هذا الحد ، فلأن سوء حظه جعله يولد فرنسيا وليس المانيا

بالنسبة للهر ادغار نغدو برودون موضوعــا لاهوتيـا عن طريق « مطلقه » في التاريخ وايمانه بالعدالة ؛ والنقــد النقــدي الذي هــو (ex professo) نقد متقن للاهوت ، بامكانه ان يبدأ العمل معه للاطناب بـ « المفاهيم الدينية

انه لما يميز كل مفهوم ديني انه يجعل عقيدة من الوضع الذي يخرج فيه اخيرا احد الاضداد منتصراً على انه الحقيقة الوحيدة

وسوف نرى كيف ان النقد النقدي الديني ينصب كعقيدة الوضع الذي يخرج في نهايته أحد الاضداد وهو « النقد » منتصرا على الآخر ، وهــو الجمهور » ، باعتباره الحقيقة الوحيدة ولكن برودون يقترف جــورا عظيما عندما يرى في العدالة الجماهيرية شيئا مطلقا ، إلهاً للتاريخ ، تماماً كما احتفظ النقد لنفسه بدور ذلك المطلق ، ذلك الاله في التاريخ

الحاشية النقديــة رقم (٢)

إن واقع الفقر ، والبؤس ، يجعـــل برودون احـادي الجانب في اعتباراته ، فيرى فيه **تناقضا** للمساواة والعدالة ؛ أنه يمده بالسلاح ولذا فان هذا الواقع يصبح بالنسبة اليه مطلقا ومسوغا بينما واقع الملكية غير مســـوغ

تخبرنا المعرفة الهادئة ان برودون يرى فعلا في واقع الفقر تناقضـــا

مع العدالة ولذلك يجده غير مسوغ ، وتؤكد لنا بالطريقةذاتهاانهذا الواقع يصبح بالنسبة اليه مطلقا ومسوغا

حتى الآن انطلق الاقتصاد السياسي من **الثروة** التي يفترض ان حركة الملكية الخاصة تخلقها من اجل **الأمم** ، وانتهتالىالاعتباراتالتيتسوغالملكية الخاصة اما برودون فينطلق من الجهة المقابلة ، التي يخفيها الاقتصاد السياسي بصورة مضللة ، ينطلق من البؤس الذي تنتجه حركة الملكية الخاصة ، الى اعتباراته التي هي نفي للملكية الخاصة ومن الطبيعي أن ينطلق نقد الملكية الخاصة أولا من الواقع الذي فيه يظهر جوهرها المتناقض في شكل ملموس جدا وصارخ جداً ومثير بصورة مباشرة لسخط الانسان ـ ينطلق من واقع البؤس والفقر

« النقد ، من جهة اخرى ، يجمع بين الواقعين ، واقع الفقر وواقع الملكية في وحدة مفردة ؛ ويستوعب الرابط الداخلي بينهما ، ويجعلهـا كلا واحدا يتحراه **بصفته هذه** ليجد شروط وجوده »

إن النقد ، الذي لم يفهم شيئا حتى الآن عن واقعي الملكية والفقر ، يستخدم « من جهة اخرى » واقعه التام في تصوره كحجة ضد واقـع برودون الحقيقي فالنقد يوحد واقعين في واقع **واحد** ، وبعد ان يجعـل **واحدا** عن **اثنيـن** ، يستوعب الرابط الداخلـي بيـن **الاثنين** ان النقد لا يستطيع أن ينـكر ان برودون يستوعب الرابط الداخلي بيـن الواقعين ، واقع الفقر وواقع الملكية ، ما دام برودون يريد بهذا الرابط ان يلغي الملكية من أجل الغاء الفقر وبرودون فعل اكثر من ذلك فقد اثبت بالتفصيل كيف ان حركة رأس المـال تنتج الفقر ولكن النقـد النقدي لا يزعج نفسه بمثل هـذه التفاهـات انه يسلم بأن الفقر والملكيـة الخاصة نقيضان ـ وهذا تسليم شائع جدا ان النقد يجعل الفقر والملكية في **كل واحد** « يتحراه **بصفته هذه** ليجد شروط وجوده » ، وهـو تحر

لا لزوم له ما دام النقد هو الذي **صنع** ذلك « الكل بصفته هذه » ولذلك فان صنعه هو بنفسه شرط وجوده

ويتحرى النقد النقدي «الكل بصفته هذه ليجد شروط وجوده يبحث بطريقة لاهوتية **خارج** هذا الكل ، عن شروط وجوده ويتحرك التأمل النقدي خارج الموضوع الذي يزعم انه يعالجه **والتناقض الكلي** ليس شيئا آخر سوى **حركة كلا الجانبين** ، وشرط وجود الكل يكمن في طبيعة الجانبين النقد النقدي يستغني عن دراسة هذه الحركة الحقيقية التي تؤلف الكل كي يكون مخولا على المناداة بأنه هو النقد النقدي بصفته المعرفة ادئة فوق طرفي التناقض وان فعاليته التي صنعت الكل بصفته هي الآن وحدها في وضع يلغي التجريد الذي هو صانعه

البروليتاريا والثروة نقيضان وبهذه الصفة يشكلان كلا واحدا ان كليهما شكلان من عالم الملكية الخاصة والمسألة هي ما المكان الذي يشغله **كل واحد في الطباق فلا يكفي** التصريح بأنهما جانبان لكل واحد

الملكية الخاصة ، كملكية خاصـــة ، كثروة مضطـرة للحفاظ على **ذاتها** ، وبالتالي للحفاظ على نقيضها في الوجود وهـو البروليتاريا ذاكـم هو الجانب **الايجابي** للتناقض ، الملكية الخاصة الراضية ذاتيا

والبروليتاريا من جهة اخرى ، مضطرة كبروليتاريا ان تلغي نفسها وبالتالي ان تلغي نقيضهـــا ، تلغي شرط وجودهـــا مـا جعلهـــا بروليتاريا ، اي الملكيـــة الخــــاصة وذاكـــم هو الجـــانب السلبي للتناقض ، انه قلق الملكية الخاصـــة في ذاتها الفعلية لتحـــل نفسها حلا ذاتيـــا

الطبقة المالكة والطبقة البروليتارية تمثلان الاغتراب الذاتي الانساني نفسه ولكن الطبقة الاولى تجد في هذا الاغتراب الذاتي ثباتها وازدهارها **وقوتها الخاصة** : انها تجد فيـــه مظهر للوجود الانساني اما طبقـــة

البروليتاريا فانها تشعر بالانسحاق في اغترابها الذاتي ، انها ترى فيه ضعفها الخاص وحقيقة الوجود اللاإنساني والطبقة البروليتارية،على حد تعبير هيغل ، هي في المذلة ثورة على هذه المذلة يدفعها اليها التناقض بين طبيعتها الانسانية وظروف حياتها التي هي نفي شامل وحاسم وفوري لتلك الطبيعة

في هذا الطباق يمثل المالك الخاص الجانب المحافظ ، ويمثل البروليتاري الجانب الهدام وبينما يقوم الاول بالمحافظة على الطباق ، يقوم الثاني بسحقه

في الحقيقة الملكية الخاصة تندفع ايضا بنفسها في حركتها الاقتصادية نحو انحلالها الخاص ، لكن على اية حال من خلال تطور لايتوقف عليها ، وهي غير واعية له ، وهذا التطور يجري ضد ارادتها ، من خلال الطبيعة الحقيقية للاشياء ، فقط لان الملكية الخاصة تنتج البروليتاريا كبروليتاريا ، ذلك البؤس الواعي لبؤسه الروحي والمادي ، ذاك التجريد الانساني الواعي لتجريده الانساني ، وبالتالي العامل على الغاء ذاته ان البروليتاريا تنفذ الحكم الذي اصدرته الملكية الخاصة على نفسها بانجابها البروليتاريا ، كما انها تنفذ الحكم الذي اصدره العمل المأجور على نفسه بانتاجه الثروة للآخرين والبؤس لنفسه وعندما تنتصر البروليتاريا لا تصبح في حال من الاحوال الجانب المسيطر في المجتمع لأنها انتصرت فقط بالقضاء على نفسها وعلى نقيضها وعندئذ تختفي البروليتاريا كما يختفي نقيضها الذي يحددها وهو الملكية الخاصة

عندما ينسب الكتاب الاشتراكيون هذا الدور البطولي الى البروليتاريا فلا يعني هذا ، كما يزعم النقد النقدي ، أنهم يعتبرون البروليتاريين آلهة . بل العكس ، فما دام التجرد من كل انسانية، وحتى من المظهر الانساني قد تمّ عمليا في البروليتاريا الناضجة ، ما دامت شروط حياة البروليتاريا تلخص كل شروط الحياة في المجتمع المعاصر بكل حدتها غير الانسانية ،

ما دام الانسان قد فقد نفسه في البروليتاريا ، ولكنه في الوقت نفسه ، لم يحصل على الوعي النظري لذلك الضياع فقط ، بل من خلال **العوز** الملح الفادح المطلق – وهو التعبير العملي عن **الضرورة** – نجده مندفعا مباشرة للثورة ضد هذه اللا انسانية ؛ وينتج عن ذلك أن البروليتاريا تستطيع أن تحرر نفسها ، ويجب أن تحرر نفسها ولكنها لا تستطيع أن تحرر نفسها دون القضاء على شروط حياتها الخاصة ، دون القضاء على **كل** الشروط غير الانسانية لحياة المجتمع المعاصر التي يلخصها وضع البروليتاريا تلخيصا مكثفا .وليس عبثا ان تجتاز البروليتاريا مدرسة **العمل** القاسية ولكنها مدرسة عمل تزيدها قوة والمسألة ليست مسألة ماذا يتبنى هذا أو ذاك البروليتاري او كل البروليتاريا من اهداف مؤقتة ولكن المسألة هي مم تتكون البروليتاريا ؟ وما الذي ، نتيجة هذا **التكوين** ، تضطر ان تفعله ان هدفها وعملها التاريخي يظهران بشكل حتمي وواضح في وضع حياتها الخاصة كما يظهران في كل تنظيم المجتمع البورجوازي المعاصر ولا حاجة ان نقف هنا عند واقع أن قطاعا كبيرا من البروليتاريا الانكليزية والفرنسية قد وعى مهمته التاريخية ويعمل باستمرار على تطور ذلك الوعي الى وضوح تام

« النقد النقدي » يمكنه في أضعف الايمان ان يوافق على هذا ما دام اعلن عن نفسه انه العنصر الخلاق المطلق في التاريخ فاليه تعود التناقضات التاريخية ، واليه ترجع مهمة القضاء عليها وهذا هو السبب في أن النقد النقدي أصدر الاشعار التالي من خلال تجسده في الهر ادغار

الثقافة ونقص الثقافة ، الملكية وغياب الملكية ، هذه المتعارضات يجب ان تعود ما لم تتعرض للتدنيس ، **كليا وبشكل كامل** للنقد

لقد نالت الملكية وفقدان الملكية تكريسا ميتافيزيكيا باعتبارهما متعارضين تأمليين نقديين وهذا هو السبب في أن يد النقد النقدي وحدها تستطيع ان تلمسهما دون ان تعرف دنسا . وعلى

ارأسماليين والعمال الا يتدخلوا في علاقاتهم المتبادلة

والهر ادغار ، بعيدا عن فكرة أن مفهومه النقدي للمتعارضات يمكن ان يمس ، أن هذا المقدس يمكن ان يدنس ، يبيح لخصمه أن يتقدم باعتراض ولكنه اعتراض يقدمه هو وحده لنفسه

سأل الخصم الموهوم للنقد النقدي إذن هل يمكن أن نستخدم مفاهيم اخرى غير مفاهيم الحرية والمساواة الخ ، هذه المفاهيم الموجودة سابقا ؟ وأنا اجيب (لاحظ أن الاجابة للهر ادغار) ان اليونان واللاتين انقرضوا حالما نفذت الافكار التي إسعفتهم على التعبير

واتضح الآن لماذا لم يقدم النقد النقدي فكرة واحدة **بالألمانية** إن لغة افكاره لم تأت بعد، بالرغم من كل ما فعله الهر ريشارد بمعالجته الاجنبية معالجة نقدية والهر فوشر بمعالجته للانكليزية والهر ادغار بمعالجته للغة الفرنسية ، من اجل التمهيد للغة نقدية جديدة

الترجمة التشخيصية رقم (٢)

يقول برودون النقدي قسم الزارعون الارض فيما بينهم ؛ فالمساواة تقدس الحيازة فقط وبهذه المناسبة فانها تقدس الملكية » ان برودون النقدي يجعل الملكية العقارية تظهر في الوقت نفسه مع ظهور تقسيم الارض ويحقق الانتقال من الحيازة الى الملكية بقوله « بهذه المناسبة

يقول برودون الحقيقي «كانت الزراعة اساس **حيازة الارض**... ولكنه لم يكن يكفي ان يضمن للفلاح ثمار عمله دون أن تضمن له ادوات الانتاج في الوقت نفسه ولحماية الضعيف من اعتداءات القوي كان لا بد من اقامة خطوط تخوم دائمة بين المالكين

بهذه المناسبة » تكون اذن **الحيازة** التي تقدسها المساواة في الدرجه الاولى .

ولوحظ تزايد السكان ونمو جشع المستوطنين في كل عام فجرى التفكير بأن يكبح الجشع بحدود مصونة جديدة يتحطم هذا الجشع عليها وهكذا جعلت الارض ملكية بدافع الحاجة الى المساواة ولا شك ان التقسيم لم يكن متساويا جغرافيا ولكن المبدأ بقي هو نفسه لقد كرست المساواة الحيازة ، فالمساواة تكرس الملكية

بالنسبة لبرودون النقدي المؤسسون القدامى للملكية انهمكوا في متطلبات حاجاتهم فتغاضوا عن واقع انه الى جانب حق الملكية كان يسير جنبا الى جنب حق نزع الملكية البيع ، الهبة ، الكسب، الخسارة ، مما حطم المساواة التي انطلقوا منها

بالنسبة لبرودون الحقيقي ، لم يكن المؤسسون القدامى للملكية هم الذين تغاضوا عن هذا المجرى لتطورها من جراء انصرافهم الى حاجاتهم الخاصة انهم بالاحرى لم يتنبأوا به ، وحتى لو كان في مقدرتهم التنبؤ به ، فان حاجاتهم الواقعية تحتل المكانة الاولى والى جانب ذلك فآن برودون الحقيقي جماهيري الى درجة انه يعارض حق التنازل عن الملكية والبيع الخ « **حق الملكية** » **اي يعارض** بين الاجناس والانواع انه يعارض « **حق الاحتفاظ بالارث** » بـ حق التنازل عنه الذي يؤلف معارضة حقيقية وخطوة حقيقية الى الامام

الحاشية النقدية رقم (٣)

على اي اساس اقام برودون برهانه عن تعذر الملكية ؟ مهما يكن من الصعب تصديق ذلك ـ على أساس مبدأ المساواة نفسه

وتكفي نظرة عابرة لايقاظ ايمان الهر ادغار . عليه انيعلمأنالهر برونو بوير اقام كلمحاكماته على «الوعي الذاتي **اللامتناهي** «وانه راىفيهذا المبدأ أيضا المبدأ الخلاق للاناجيل ، التي ، بعدم وعيها المطلق ، تبدو في تناقض مباشر مع الوعي الذاتي اللامتناهي.وبالطريقة نفسها يعتبر برودونالمساواة

مبدأ خلاقا للملكية الخاصة ، التي تبدو في تناقض مباشر مع المساواة ولو أن الهر ادغار يقارن **المساواة** الفرنسية مع « الوعي الذاتي » الالماني مثلا ، لرأى المبدأ الاخير يعبر **بالالمانية** اي بالفكر المجرد عما يقوله الاول **بالفرنسية** اي بلغة السياسة والرؤيا الفكرية الوعي الذاتي هو مساواة الانسان مع نفسه في الفكر الخالص ، والمساواة هي وعي الانسان لذاته في عنصر الممارسة اي وعي الانسان للناس الآخرين كمساوين له ، وعلاقة الانسان مع الناس الآخرين كمساوين له المساواة هي التعبير الفرنسي عن وحدة الجوهر الانساني ، عن وعي الانسان لنوعه وموقفه تجاه نوعه ، عن الهوية العملية للانسان مع الانسان ، أي عن العلاقات الاجتماعية او الانسائية بين الانسان والانسان ولذلك حاول النقد الهدام في المانيا ، قبل ان يتقدم في فيورباخ الى اعتبار الانسان الحقيقي ، أن يحل كل شيء محدود موجود عن طريق **الوعي الذاتي** ، وحاول النقد الهدام في فرنسا أن يفعل الشيء نفسه عن طريق المساواة

« برودون غاضب من الفلسفة ، ولا نستطيع ان نلومه من اجل ذلك في حد ذاته ولكن لم هو غاضب ؟ إنه يعتقد أن الفلسفة لم تظهر نفسها عملية بشكل كاف ؛ لقد امتطت الحصان العالي **التامل** ، ومن هذا العلو ظهر لها **الكائن البشري** ضئيلا جدا اظن أن الفلسفة تجاوز للممارسة أي انها لم تكن حتى الآن شيئا سوى التعبير المجرد عن الانظمة القائمة ؛ أنها دائما سجينة فرضيات الانظمة التي اتفق على انها مطلقة »

إن الراي القائل ان الفلسفة هي التعبير المجرد عن الاوضاع القائمة لا ينسب للهر ادغار ، انما ينسب الى **فيورباخ** الذي كان أول من وصف الفلسفة انها تجارب تأملية وصوفية وبرهن انها كذلك ولكن الهر ادغار تدبر امره كي يعطي هذا الرأي مظهرا اصيلا نقديا وبينما أستنتج فيورباخ أن على الفلسفة أن تهبط من سماء التأمل الى أعماق البؤس البشري ، نجد الهر ادغار على العكس يعظنا ان الفلسفة تجاوز للممارسة . ويبدو ، على أي حال ، ان الفلسفة ، بالضبط لانها التعبير

المجرد المتسامي الوحيد عن الوضع الحقيقي ، يجب من جراء تساميهـــا وتجريدها، من جراء **تمايزها الموهوم** عن العالم، ان تكون تخيلت انها تركت بعيدا تحتها الوضع الحقيقي والكائنات البشرية ومن جهة اخـــرى ، يبدو ان الفلسفة بسبب عدم تمايزها الحقيقي عن العالم ، فانها لا تقـــدم **أي رأي واقعي** عنه ، فلا تأتي بأي قوة ممايزة حقيقية لتؤثر فيه ولذلك فانها لاتتدخل **عمليا** ، بل تقنع في احسن الاحوال بالممارسة في التجريد (in abstracto) والفلسفة كانت تجاوزا للممارسة فقط بمعنى انها فوق الممارسة ويقدم النقـــد النقدي ابرز برهان على ان الكائنـــات الانسانية الحقيقيـــة تبـــدو للمتأمـــل ضئيلـــة بصـــورة لا متـــاهيـــة بعـــ التأمل القديم في هذا مع النقد النقدي ، كمـــا يظهر ذلك المقطـــع التالي المأخوذ من كتاب هيغل (Rechtsphilo sophy)

إن محسوس الفكرة من وجهة نظر الحاجات هو ما يدعى **الانسان** ؛ المسألة هنا ، وهنا **فقط** اذا تحدثنا بشكل دقيق هي الانســـان بهـــذا المعنـــى

في الحالات الاخرى التي فيها يتحدث التأمل عن الانســـان ، لا يعني الانسان **المحسوس** ، بل المجرد ، الفكرة ، الروح الخ ، والطريقة التي تعبر فيها الفلسفة عن الوضع الحقيقي ، يعطينا الهر فوشر امثلة رائعة عنها فيمـــا يخص الوضع الانكليزي الحقيقي ، والهـــر ادغار فيمـــا يخص الوضع الحقيقي للغة الفرنسية

وهكذا فان برودون أيضا عملي عندما نجد ان مفهوم المساواة هـــو اساس برهان الملكية ، ويستند الى المفهوم نفسه في صراعه ضد الملكية »

برودون يفعل بالضبط الشيء نفسه كما يفعل النقاد الالمان الذين اذ يبنون براهين وجود الله على الانسان ، ينطلقون من فكرة الانسان كي يعارضوا وجود الله

اذا كانت نتائج مبدأ المساواة اكثر قوة من المساواة نفسها فكيف نعمد برودون لمساعدة ذلك المبدأ في حيازة قوته الفجائية ؟ »

الوعي الذاتي بالنسبة للهر بوير ، هو أساس كل الافكار الدينية انه ، على حد قوله ، المبدأ الخلاق للأناجيل لماذا ، إذن ، كانت نتائج مبدأ الوعي الذاتي أشد قوة من المبدأ نفسه ؟ لان الوعي الذاتي ، والجواب يحتذي النمط الالماني ، هو في الحقيقة المبدأ الخلاق للافكار الدينية ، ولكن اذا ما اخذ خارج نفسه فقط ، في تناقض مع نفسه ، منتزعا من نفسه وغريبا عنها أما الوعي الذاتي الذي يثوب الى نفسه ، الذي يفهم نفسه ، الذي يفهم جوهره ، فانه بذلك يسيطر على مخلوقات اغترابه الذاتي ويجد برودون نفسه في الحالةذاتها ، طبعاً مع فارق هو انه يتكلم الفرنسية بينما نتكلم نحن الالمانية ، وهو لذلك يعبر بطريقة فرنسية عما نعبر عنه نحن بطريقة المانية

يسأل برودون نفسه لماذا لا توجد المساواة ، مع انها كمبدأ خلاق للفكر أساس وضع الملكية ، وأساس معقول نهائي يخضع كل مجادلة لصالح الملكية ، بينما يوجد نفيها ، وهو الملكية الخاصة ، ويعتبر نسبيا واقع الملكية في ذاتها ويثبت « أن الملكية ، كمؤسسة ومبدأ ، **مستحيلة في** الحقيقة (ص ٣٤) أي انها **تناقض نفسها** ، وتلغي نفسها في كل المجالات ، انها ولنصفها على الطريقة الالمانية ، وجود لمساواة مغتربة ذاتيا ، متناقضة ، منزوعة الحيازة انالشروط الواقعية في فرنسا، كمعرفة هذا الاغتراب ، تفرض بدقة على برودون ضرورة القضاء على هذا الاغتراب

وبينما ينفي برودون الملكية الخاصة ، يشعر بالحاجة الى تبرير وجود الملكية الخاصة **تاريخيا** ومجادلته ككل المجادلات الاولى من هذا النوع هي مجادلة ذرائعية أي تفترض ان الاجيال السابقة رغبت بوعي وبعقل منعكس ان تحقق في مؤسساتها تلك المساواة التي تمثل بالنسبة اليه الجوهر الانساني .

« دائما نرجع الى الشيء نفسه يكتب برودون في صالح البروليتاريين »

ان برودون لم يكتب في مصلحة النقد المكتفي ذاتيا ، وهي مصلحة مجردة وهمية بل كتب بدافع الصالح التاريخي الحقيقي الجماهيري ، كتب لصالح يتخطى **النقد** ، وينتهي آخر الامر الى **الازمة** . لم يكتب برودون في صالح البروليتاريين فقط ، فهو نفسه بروليتاري أي شغيل (un ouvrier) ان كتابه بيان علمي للبروليتاريا الفرنسية، ولذا يكتسب اهمية تاريخية تختلف تماما عن تلك التي تتمتع بها الهلهلة الادبية للنقد النقدي

« يكتب برودون في صالح أولئك الذين لا يملكون شيئا أن تملك وأن لا تملك هما بالنسبة اليه مقولتان مطلقتان ان تملك بالنسبة اليه هي المقولة العليا ، لأن « لا تملك » في الوقت نفسه هي بالنسبة اليه الموضوع الاسمى للفكر فبرودون يعتقد ان كل فرد يجب ان يملك ، ولكن ليس اكثر ولا أقل من الآخر ولكن من بين كل ملكيتي يكون ما املكه بشكل مطلق فقط ، اي ما املكه اكثر من الآخر ، هو المفيد لي في المساواة ، كل من **الملكية والمساواة نفسها سيان عندي** »

بالنسبة للهر ادغار تعتبر الملكية (**ان تملك**) واللا ملكية (**أن لا تملك**) عند برودون مقولتين مطلقتين ولا يرى النقد النقدي شيئا سوى المقولات مبثوثة في كل مكان وهكذا بالنسبة للهر ادغار الملكية واللا ملكية (ان تملك وان لا تملك) ، الاجور والرواتب ، الرغبة والحاجة والعمل لتلبية تلك الحاجة كل هذا ليس شيئا سوى مقولات

لو أن المجتمع حرر نفسه فقط من مقولتي الملكية واللا ملكية (ان تملك وان لا تملك فكم يسهل على كل ديالكتيكي ، وان كان اضعف من الهر ادغار ان يثير المناقشة لـ تخطي و الغاء » تلك المقولات '

يعتبر الهر ادغار هذا تفاهة ايضا حيث انه لا يظن انها تستحق **الازعـــاج** لتقديم حتى **شرح** للمقولتين الملكية واللا ملكية (ان تملك وان لا تملك) كمناقشة ضد برودون ولكن اللا ملكية (آن لا تملك) ليست مقولة **فقط**، انها واقع مـفـم فالرجل الذي لا يملك اليوم شيئا لا يساوي شيئا ، **لانه** منخلع عن الوجود بشكل عام ولا يزال بعيدا عن الواقع الانساني ، **لان** حالة عدم تملك شيء هي حالة انفصال الانسان عن موضوعيتـــه **انفصالا** تاما ولذلك فان « **اللاملكية** » تبدو مسوغة تماما لتكون بالنسبة لبرودون الموضوع الاعلى للتفكير ؛ وقد أولى الكتاب الاشتراكيون قبل برودون هذا الموضوع تفكيرا متفاوتا ان اللا ملكية (ان لا تملك) **هي روحانية** يائســـة جدا ، انها لا واقعية تامة للانساني ، انها واقعية تامة للتدني الانساني ، انها موقف ايجابي جدا ملكية الجوع والبرد والمرض والجريمة والنذالة وكل ما هو مرعب ولا انساني ولكن كل موضوع يكون للمرة الاولى موضوعـا للفكر بوعي تام لاهميته ، هو **الموضوع الاعلى للفكر** .

إن رغبة برودون في الغاء اللا ملكية (ان لا تملك) والغاء الطريقـــة القديمة للملكية (آن تملك) تنسجم كليا مع الرغبة النزاعة الى الالغـــاء عمليا لعلاقة اغتراب الانسان عن **جوهره الانساني** ، والتعبير **الاقتصادي ــ السياسي** للاغتراب الذاتي الانساني ولكن بما أن نقده للاقتصـــــــاد السياسي سجين فرضيات الاقتصاد السياسي ، فانه لا يزال يفهم اعادة استملاك العالم الموضوعي على انها الشكل الاقتصادي ــ السياسي **للحيازة**.

لا يعارض برودون بين الملكية (ان تملك) واللاملكية (ان لا تملك) كما يجعله النقد النقدي يفعل ذلك ؛ انه يعارض **الحيازة** بالطريقة القديمـــة للملكية « ان تملك » ، اي « الملكيـــة الخاصة انـــه ينـــادي بـأن الحيازة « وظيفة اجتماعية و المفيد » في وظيفة ، على أي حال ، لا يستقيم في « استبعاد » الآخر ، بل في اشغال وتحقيق قوى كينونتي الخاصة.

لم يفلح برودون في ان يقدم لهذا الفكر التطور المناسب ان فـــكرة

الحيازة **المتساوية** هي فكرة اقتصادية ـ سياسية ، ولـذلـك لا تزال **نفسها تعبيرا غريباً** للمبدأ القائل ان **الموضوع** باعتباره كائنا للانسان ، **كائناً موضوعياً للانسان** هو في الوقت نفسه **وجود الانسان من اجل الناس الآخرين ، علاقته الانسانية بالآخرين ، العلاقة الاجتماعية بين الانسان والانسان** ان برودون يلغي الاغتراب الاقتصادي السياسي **ضمن** الاغتراب الاقتصادي السياسي

الترجمة التشخيصية رقم (٣)

لبرودون النقدي **مالك** نقدي ايضا ، باعترافه الخاص اولئك الذين اضطروا ان يعملوا من اجله فقدوا ما قد تملكه

يقول برودون الجماهيري للمالك الجماهيري لقد عملت فهل تمنع الآخرين من العمل لك ؟ كيف يمكنهم ، اذن ، أن يفقدوا بعملهم لك ، ما كنت قادرا على تحصيله من غير ان تعمل لهم

ويجعـل برودون النقدي **ساي** يفهـم من الثروة الطبيعية « **الحيازات** الطبيعية مع ان ساي ، ليتجنب كل خطـأ ، بيّن بجلاء في **خلاصة اقتصاده السياسي** انه لا يفهم من الغنى (Richesse) ملكيـة **ولا حيـازة** ، بـل مجموع قيم وطبيعي ان برودون النقـدي يصحح ساي كما يصححه هو نفسه الهر ادغار. انه يجعل ساي « يستنتج حالا الحق في اتخاذ حقل كملكية خاصة له » لان الارض **أيسر للتملك من الهـواء والماء** ولكن ساي وهو ابعد عن الاستدلال من الاحتمال الاكبر لتملك الارض **وحق** الملكية فيها فيقول بوضوح تام «ان حقوق الملاكين العقاريين ترجع الى اغتصاب **(مبحث الاقتصاد السياسي** ، ص ١٣٦ الملاحظة) **وهذا** هو السبب في راي ساي لوجوب قيام « **انسجام بيـن التشريع** » **و** « **الحق الايجابي** لتبرير **حق** الملكية العقارية **وبرودون الحقيقي لايجعل** ساي يستنتج فورا » حق الملكية العقارية من التملك الايسر للارض .

وهو يلومه لأنه يأخذ الامكانية على انها **الحق** ، **ويخلط** مسألة الامكانية بمسألة الحـــق

يأخـــذ ساي الامكانية **على انها** الحق المسألة ليست **لمـــاذا** استملكت الارض بالاحرى من البحر والهواء ، ولكن المسألة هي بأي **حق** استملك الانسان تلك الثروة

ويتابع برودون النقدي « **الملاحظة الوحيدة على هـــذه المسألة هي** انه مع امتلاك قطعة الارض استملكت ايضا العناصر الاخرى كالماء والهواء والنــار (terra, aqua, aera et igne interdicti sumus)

وبعد تقديم هذه الملاحظة ((الوحيدة)) يقول برودون الحقيقي انه ، على العكس ، يولي اهتماما » لاستملاك الهواء والماء بطريق المصادفـــة (en passant) ويستخدم برودون النقـــدي استخـــداما مبهمـــا الصيغة الرومانية للابعاد (exile) انه ينسى أن يقول من هم **هؤلاء** الـ نحن الذين نفوا ويخاطب برودون الحقيقي المحرومين **من الملكيه** ايها البروليتاريون الملكية تنفينا (terra etc interdicti sumus)

ويجادل برودون النقدي ضد تشارلز كومت كالتالي

يظن تشارلز كومت انه من أجل ان يحيا الانسان يحتاج الى هواء وغذاء ورداء بعض هذه الاشياء كالماء والهواء **موفورة لا تنفد ولذا تبقى** ملكية عامة ؛ **ولكن الاشياء الاخرى** متوفرة بكميات صغيرة فتصبح ملكيـــة خاصة ولذلك يقيم تشارلز كومت برهانه على مفهومي المحدود واللامحدود؛ ويمكن ان **يصل الى** نتيجة مختلفة لو انه جعل مفهومي اللزوم والاستغناء **مقولاته الرئيسيـــة** »

كم هي طفولية مجادلة برودون النقدي انه **يتوقـــع من تشارلز** كومت ان يتخلى عن المقولات التي يستخدمها لبرهانه، وأن يقفز من فوقها الى

مقولات اخرى بحيث يصل ، لا الى نتائجه ، بل « ربما » الى نتائج برودون النقـــدي

ان برودون الحقيقي لا نقدم مثل هذا المطلب الى تشارلز كومت ، **فهو لا يهدئه بـ** « ربما » **وإنما يدمره بمقولاته الخاصة**

يقول برودون ان تشارلز كومت ينطلق من ضرورة الهواء والغــذاء وضرورة الملبس في طقس معين ، ليس من اجل أن نحيا ، بل من أجل الا تتوقف الحياة وبغية الحفاظ على النفس ، يحتاج الانســان باستمرار (حسب رأي تشارلز كومت) الى استملاك الاشياء من شتى الانواع **تلك الاشياء لا توجد كلها بالنسبة نفسها**

أشعة النجوم ، والهواء ، والمـاء موجودة بكميـــات وفيرة حيث لا يستطيع الانسان أن يزيد او ينقص منها بشــكل ملحوظ ؛ فكل امرىء ستطيع ان يستملك منها حسب متطلبات حاجاته **من دون الاضرار بتمتع الآخرين »** .

ينطلق برودون من تعريفات كومت الخاصة أولا وقبل أي شيء ، يبرهن له أن الارض هي الاخرى موضوع ضرورة أولية ، وحق الانتفـــاع يجب أن يظل حرا لاي انسان بحيث أنه ، حسب عبارة كومت ، « لا يضر بتمتع الآخرين » اذن لماذا تغدو الارض ملكية خاصـــة ؟ يجيب تشارلز كومت لانها ليست غير محدودة ولقد كان عليه ان يستنتج، على العكس، ان الارض ، بسبب محدوديتها ، يمكن الا تستملك أن استملاك الهواء والماء **لا** يسبب أي ضرر لاي انسان **لانهما ما داما غير محدودين ، فثمة دائمـــا** وفرة منهما والاستملاك الاستبدادي للارض ، من جهة اخرى ، يضر بتمتع الآخرين فقط لان الارض **محدودة لذا فان استخدام الارض يجب أن** يكون منظما لصالح **الجميع. ان طريقة تشارلز كومت في الاثبات تدحض** اطروحته الخاصة .

ويعلل برودون (برودون النقدي اذا أردنا الدقة) قائلا « ينطلق تشارلز كومت من الراي القائل ان امة ما يمكن ان تكون مالكة للارض ؛ ومهما يكن من امر ، فاذا كانت الملكية تشتمل على حق الاستعمال » واساءة الاستعمال- jus utendi et abutendi re sua -فانه لا يمكن الاعتراف حتى للامة بحق استعمال الارض واساءة استعمالها

ولا يتكلم برودون الحقيقي عن (jus utendi et alutendi) الذي « يشتمل » عليه حق الملكية انه اكثر جماهيرية من ان يتحدث عن حق الملكية الذي يشمله « حق الملكية » ان الاستعمال واساءة الاستعمال (jus utendi et alutendi) هما في الحقيقة حق الملكية نفسه ولذا فان برودون يرفض مباشرة حق ملكية شعب على أرضه ويرد على أولئك الذين يتهمونه بالمبالغة بأنه في كل العصور سمح حق الملكية القومية الموهوم بقيام التسلط ، والجزية ، والامتياز الملكي والسخرة الخ

ويجادل برودون الحقيقي كما يلي ضد تشارلز كومت يرغب كومت في تبيان كيف تظهر الملكية فيبدأ بفرضية الامة كمالك وهكذا يقع في مغالطة منطقية (petitio prinipu) فهو يجعل الدولة تبيع الارض ، ويجعل الصناعيين يشترون هذه الاراضي ، أي يفترض مسبقا علاقة الملكية التي يرغب في اثباتها ان برودون النقدي يهشم النظام العشري الفرنسي . يحتفظ بالفرنك ولكنه يحل محل السنتيم (centime) الدراير (Dreier) ويتابع برودون (برودون النقدي) اذا تخليت عن قطعة أرض فلا اكون قد سرقت من نفسي الحصاد فقط ، وانما انتزعت من اولادي واولاد أولادي خيرا دائما فالارض لا تملك قيمة اليوم فقط ، وانما لها أيضا قيمة طاقتها ومستقبلها

وبرودون الحقيقي لا يتحدث عن واقع أن الارض تملك قيمة ليس اليوم فقط ، وانما في المستقبل أيضا انه يعارض القيمة الحالية بقيمة

طاقتها ومستقبلها ، التي تقوم على مهارتي في استغلال الارض يقـول خرّب الارض ، او بعها ـ الامر الذي يؤدي الى النتيجة نفسها بالنسبة لك وعندئذٍ فانك لم تعد ملكيه حصاد او اكثر بل تبيد كل انتاجك الذي يمكن ان تحصل عليه منها انت واطفالك واطفال اطفالك

ليست المسألة بالنسبة لبرودون كشف التناقض بين الحصـــاد والخير الدائم ـ فالمال الذي احصل عليه لقاء الحقل يمكن كرأسمال ان يصبح خيرا دائما ايضا ـ ولكن التباين قائم بين القيمة الحاليـــة والقيمة التي يمكن أن تحققها الارض خلال زراعة طويلة الامد

يقول تشارلز كومت « القيمة الجديدة التي أقدمها لشيء ما بعملي هي ملكيتي ، ويعتقد برودون (النقدي) انه يستطيع دحضه بالطريقـــة التالية **اذن** يجب أن يكف الانسان عن أن يكون مالكا في اللحظة التي يكف فيها عن العمل ن تملك المنتوج يمكن في حال من الاحوال ان « شتمل على تملك المادة التي صنع منها المنتوج

يقول برودون الحقيقي

دع العامل يقتسم منتوجه ، ولكني لا أفهم كيف يشتمل تملـــك المنتوج على تملك المادة هل السماك الذي يسعى لاصطياد السمك اكثر من الآخرين على الرصيف نفسه يصبح بمهارته مالكا للمكان الذي يصطاد فيه ؟ هل تعتبر مهارة الصياد حقا في امتلاك حيوانات الصيد في المقاطعة ؟ والشيء نفسه ينطبق على الزراعه ولتحويل **الحيازة** إلى **ملكية** لابد من **شرط آخر** الى جانب العمل او ان الانسان يكف عن أن يكون مالكا حالمـا يكف عن كونه عاملا

Cessamte causa, cessate affectus وعنـــدمـــا يكـــون المالك مالكـــا **فقط** كعامل فانه يكف عن ان يكون مالكا حالما يكف عـــن ان يكون عاملا . بالنسبة **للقانون** فان **حق التقادم** هو الذي يخلق الملكية؛

العمل دليل حسي فقط ، فعل مادي بواسطته **يظهر** الاستيلاء

ويتابع برودون ولذا فان نظام الاستملاك من خلال العمل **مناقض للقانون** ، وانصار هذا المذهب عندما يعلنونه شرحا لقوانينهم يناقضون انفسهم

والاكثر من ذلك ، فان القول بأن زراعة الارض مثلاً ، وفقا لهذا الرأي، «تخلق ملكية كاملة من النوع ذاته» هو **مغالطة منطقية (petitio principii)** الواقع ان قدرة انتاجية جديدة للمادة قد خلقت ولكن ما كان يجب اتباعه هو ان **تملك المادة نفسها قد خلق بهذه الطريقة.** فالانسان لم يخلق المادة نفسها ، ولا يستطيع حتى خلق اي قدرة انتاجية ان لم تكن المادة موجودة بين يديه

ان برودون النقدي يجعل **كراشوس بابوف** نصيرا **للحرية** ، ولكنه عند برودون الجماهيري نصير للمساواة (partisan de l'égalité)

يقول برودون النقدي الذي يريد ان يقدر اجور هوميروس لقاء الالياذة الاجور التي ادفعها لهوميروس يجب ان تكون مساوية لما **يعطيني اياه** ولكن كيف يمكن ان نحدد قيمة ما يمنحني ؟

وبرودون النقدي ايضا يترفع عن توافه الاقتصاد السياسي ليعرف **ان قيمة** موضوع ما وما يقدمه ذلك الموضوع هما شيئان مختلفان يقول برودون الحقيقي اجور الشاعر يجب ان تكون مساوية **لانتاجه** فما هي – اذن – قيمة ذلك الانتاج ؟ » برودون الحقيقي يفترض ان **الالياذة** تملك **ثمنا** لا محدودا او قيمة تبادلية) Prix ✶ بينما يفترض برودون النقدي انها تملك **قيمة** لا محدودة برودون الحقيقي يعارض قيمة **الالياذة** ،

★ يجدر بالقارىء ان ينتبه الى الفرق بين الثمن والقيمة وما المقصود بكل كلمة. حتى يتضح له هذا المقطع . (المترجم)

قيمتها بالمعنى الاقتصادي (Valeur intrinsêque) بقيمتها التبادليـــة (Valeur exchangeable) ؛ وبرودون النقدي يعارض « قيمتها التبادلية » بقيمتها الاصلية اي قيمتها كشعر

يقول برودون الحقيقي بين المكافأة المادية والموهبة لا يوجـــد مقياس مشترك وبهذا المعنى فان وضع المنتجين جميعا هو ذاته. وبالتالي **فان اي** مقارنة بينهم اي تصنيف طبقا للثروة يعتبر مستحيلا

« Entre une récompense materielle et le talent il n'existe pas de commune mesure; sous ce rapport la condition de tous les producteurs est ègale; conséquemment toute comparison entre eux et toute distinction de fortunes est impossible »★

بينما يقول برودون النقدي وضع كل المنتجين نسبيا هو نفسه لا يمكن للموهبة ان توزن ماديا أي مقارنة للمنتجين بين انفسهم. اي **تمييز خارجي** هو محال »

ونقرأ في برودون النقدي رجل العلـــم يجب ان يملك **شعور المساواة** في المجتمع ، لأن موهبته وبصيرته هما من انتاج بصيرة المجتمـــع فقط » أما برودون الحقيقي فلا يتكلم في اي مكان عن الشعور بالموهبة. يقول ان الموهبة يجب أن تتدنى بنفسها الى مستوى المجتمع ولا **شدد ابدا** على ان الانسان الموهوب هو نتاج المجتمع **فقط** إنه ، على العكس ، **يقول** الانسان الموهوب قد اسهم في انتاج اداة مفيدة في ذاته اذ تكون **فيه** ، في آن واحد ، عامل حر ورأسمال اجتماعي متراكم »

ويتابع برودون النقدي الى ان يقول الى جانب ذلـــك يجب ان **يكون** شاكراً للمجتمع لاعتاقه من كل عمل آخر حيث انه يستطيع تفريغ نفسه للعلم

★ بالفرنسية أصلا . (المترجم)

إن برودون الحقيقي لا يلجأ ، في اي مكان من كتبه الى الامتنان للانسان الموهوب يقول « الفنان والعالم والشاعر يتلقون مكافآتهم العادلة من واقع ان المجتمع يسمح لهم بالتفرغ للعلم والفن

واخيرا يدهشنا برودون النقدي اذ يجعل مجتمعاً مؤلفا من مئة وخمسين عاملاً قادرين على إعالة **مارشال** ، وبالتالي اعالة **جيش** على الأرجح اما **المارشال** Marshal عند برودون الحقيقي فهو (Maréshal) اي **الطبيب البيطري** .

الحاشية النقدية رقم (٤)

اذا كان (أي برودون) يتمسك بمفهوم الراتب، اذا كان يرى في المجتمع مؤسسة تقدم لنا العمل ، وتدفع لنا مقابله ، اذن كان حقه اقل في ان يقر بالزمن كمقياس للدفع كما فعل آنفا ، متفقا مع **هيغو كروتيوس** الذي يعترف ان الزمن لا يختلف بالنسبة لصلاحية شيء ما

هذه هي النقطة الوحيدة التي يحاول فيها النقد النقدي ان يحل مشكلته ، ويثبت لبرودون انه يجادل من موقف الاقتصاد السياسي مجادلة خاطئة ضد الاقتصاد السياسي وهنا يلحق النقد النقدي العار بنفسه بشكل نقدي حقا

يتفق برودون مع هيغو كروتيوس ويجادل ان **حق التقادم** ليس حقا يحول **الحيازة** الى **ملكية** ، او يحول « المبدأ الشرعي » الى مبدأ آخر ولا اكثر مما يستطيع الزمن ان يغير حقيقة ان مجموع زوايا المثلث يساوي مجموع زاويتين قائمتين الى حقيقة ان مجموع زوايا المثلث يساوي مجموع ثلاث زوايا قائمة يصرخ برودون لن تنجح ابدا في جعل طول الزمن ، الذي لا يخلق شيئا بحد ذاته ، ولا يغير شيئا ولا يبدل شيئا ، قادرا على **تغيير المتمتع بحق الاستعمال الى مالك** » .

وخلاصة الهر ادغار هي : ما دام برودون قد قال ان الزمن لا يستطيع تغيير مبدأ شرعي الى مبدأ آخر ، **ان الزمن بحد ذاته لا يستطيع ان يغير او**

بدل أيّ شيء ، فانه يناقض نفسه عندما يجعل **زمن العمل** مقياس القيمة **الاقتصادية ـ السياسية لمنتوج العمل ويتدبر الهر ادغار هـذه الملاحظة الانتقادية** النقدية بترجمة كلمة قيمة « **Valeur** » بكلمـــة « **Geltung** » **اي صلاحية** بحيث يمكنه استخدام عبارة صلاحية المبدا الشرعي بمعنى القيمة **التجارية لمنتوج العمل** انه يتدبرها بتوحيده الزمن الفارغ مع الزمن **المفعم عملا وعدم** التفرقة بينهما لو ان برودون قال إن الزمن لا يستطيع ان يحول **الدبابة الى** فيل فانه يمكن للنقد النقدي ان يقول بالتبرير نفسه: لذلك **ليس له الحق أن** يجعل زمن **العمل** مقياسا للاجور

وحتى النقد النقدي يجب ان نكون قادرا ان يدرك ان « **زمن العمل** الذي **انفق** على انتاج شيء ما يدخل ضمن **كلفة انتاج** ذلـك الشيء وأن **كلفة انتاج** شيء ما هي ما يكلف وما يمكـــن ان **يباع** لقاءه ، هي كائــن مجرد يخلقه تأثير **المنافسة** والى جانب زمن العمل ومادة العمل يدخل الاقتصاديون ضمن كلفة الانتاج الريع الذي يدفع الى صاحب الارض والفائدة وربح الراسمالي. وتختفي هذه العناصر الاخيرة عند برودون لانه يستثني الملكية الخاصة. ولذلك لا يبقى الا زمن العمل والنفقات. وحين يجعل من زمن العمل، **وهو الوجود** العيني للفعالية الانسانية كفعالية، مقياس الاجور **وتحديد قيمة المنتوج ، يجعل** برودون الجانب الانساني **هو العامـــل الحاسم أمـا في الاقتصاد** السياسي القديم **من جهة أخرى ، فقد كان العامل الحاسم هو القوة المادية** لراس المال والملكية العمارية وبكلمة اخرى ، **يعيد برودون الانسان** الى حقوقه ، لكن بطريقة اقتصادية سياسية بعد. وبالتالي متناقضة. **اما انه** على حق من وجهة نظر الاقتصاد السياسي فهذا ما نتبين مـن حقيقة ان **آدم سميث مؤسس** علـم الاقتصـــاد السياسي ، **يشرح في الصفحات الاولى** من كتابه « **بحث في طبيعة ثروة الامم وأسبابها** » **الفكرة القائلة** بأنه قبل ابتداء الملكية الخاصة ، يعني مع افتراض **عدم وجود الملكية الخاصة**،كان **زمن العمل** مقياس **الاجور** ومقياس **قيمة منتوج العمل** ، الذي **لم يكن قد تميز بعد عن الاجور**

ولكن دع النقد النقدي يفترض مثلا ان برودون لم ينطلق من فرضية الاجور فهل يؤمن ان **الزمن** الذي يتطلبه انتـــاج شيء ما لم يكن عامــلا جوهريا في تحديد قيمة هذا الشيء ؟ هل تعتقد ان الزمن سوف يفقـــد **قيمته الثمينة ؟**

اما بالنسبة للانتاج المادي الصريح ، فان البت فيما اذا كان شيء ما يجب ان ينتج او لا ينتج اي البت في **قيمة** هذا الشيء سوف تتوقف اساسا على زمن العمل المطلوب لانتاجه اذ انه يتوقف على ذلك الزمــن ما اذا كان امام المجتمع ليتطور انسانيا

وحتى في حالة انتاج الفكر ، أليس علي ، اذا انطلقت انطلاقا معقولا من اعتبارات أخرى ، ان اعتبر الزمن ضروريا لانتاج العمل الذهني عندما أحدد مجاله وسمته وخطته الخاصة ؟ والا فأنا أجازف على الاقل بأن الشيءالذي في فكرتي لن يصبح موضوعا في الواقع ، وعندئذٍ لن يكتسب اكثر من القيمة المنسوبة لشيء متخيل أي قيمة **تخيلية** .

ان نقد الاقتصاد السياسي انطلاقا من موقف الاقتصاد السياسي يعترف بكـــل خصـــائص الفعـــالية البشريـــة ، ولكـــن في حالـــة الاغتراب والضياع هنا ، مثلا ، يحول اهمية زمن العمل بالنسبة **للعمل البشري** الى اهمية هذا الزمن بالنسبة **للاجور** ، بالنسبة للعمل المأجور

ويتابع الهر ادغار « وفي سبيل اجبار الموهبة على الخضـــوع لذلك المقياس ، يسيء برودون استعمال مفهوم العقد الحر ، ويؤكد أن المجتمع ، واعضاءه الفرديين ، يملكون حق رفض منتجات الموهبة »

تقوم الموهبة عند أتباع فوريه وسان سيمون على المبادىء الاقتصادية السياسية ، وتطالب **باجور** مبالغ فيها ، معطيةتخيلها عن قيمتها اللامحدودة كمقياس **القيمة التبادلية** لمنتوجاتها ؛ ويجيب برودون عن هذا الادعـــاء بالطريقة نفسها التي يجيب بها الاقتصاد السياسي على المطالبة بثمن أعلى

مما يدعى الثمن الطبيعي ، أي أعلى من كلفة انتاج الشيء المعطى انــه يجيب بالعقد الحر ولكن برودن لا يسيء استعمال هــذه العــلاقــة حسب مفهوم الاقتصاد السياسي ، والواقع أن ما يراه الاقتصاديون وهميا عميقا البروليتاريا الفرنسية كما حول البورجوازية الفرنسية

الترجمة التشخيصيــة رقم (٤)

واخيرا يصلح برودون النقدي المجتمـــع الفرنسي بتحويله تحويــلا عميقا البروليتاريا الفرنسية كما حول البورجوازية الفرنسية

انه ينكر على البروليتاريين الفرنسيين «القوة» لأنبرودون الحقيقي يلومهم لنقص الفضيلة فيهم (Vertu). يجعل مهارتهم في العمل إشكالا ـ « ربما تكونون ماهرين في العمل» ـ لان برودون الحقيقييعترف بمهارتهم دون قيــــد ولا شــرط (Prompts au travail vous êtes etc انـــــه يجعل من البورجوازيين الفرنسيين بورجوازيين حمقىحيث يعارضبرودون الحقيقي البورجوازيين الاخســـاء (bourgeois ignoblus) بالنبـــلاء المعيبين (nobles ftéris) انه يغير المواطنيـــن نصفـ السعـــداء (bourgeois juste - milieu) الـــى مــواطنينـــا الصالحيـــن ، وهذا ما يجب ان تشكره عليه البورجوازيةالفرنسية ولذلك فحيث يقول برودون الحقيقـــي أن ضغينـــة البورجـــوازيين الفرنسيين تنمو (la malveillance de nos bourgeois) يصر برودون النقـــدي علـــى إنماء خلو بال مواطنينا بورجوازي برودون الحقيقي ابعـــد من ان يكون خالي البال حيث يصرخ لنفسه دعنا من الخوف ! دعنـــا مـــن الخوف وهذه الكلمات هي كلمات من يرغب في أن يقنع نفسه بعـــدم الخوف والقلق

ان النقد النقدي اذ يخلق برودون النقـــدي بترجمته النقديـــة لبرودون الحقيقي يبين للجمهور ما هي الترجمة النقدية الكاملة . لقد

اصدر تعليماته عن التـرجمة كما يجب ان تكون ولذلك فهو ضـــد الترجمات الجماهيرية الرديئة

« الجمهور الالماني يريد بضاعة الكتبي رخيصة رخصا مضحكا ، ولهذا يحتاج الناشر الى ترجمة رخيصة ، ولا يريد المترجم ان يموت جوعا في عمله ، انه لا يستطيع حتى ان ينجزها بتأمل ناضج » (مع كل المعرفةالهادئة) « لان الناشر مضطر ان يسبق منافسيه بالتوزيع السريع ، وحتى المترجم يخشى المنافسة ، يخشى أن ينتـــج عمله شخص آخر ، ويقدمــه أسرع وارخص ، فهو لذلك يملي مخطوطته بشكل ارتجالي على أحد النساخ الفقراء بأسرع ما يستطيع حتى لا يدفع للكاتب أجرة ساعة لم ينجز فيها عملا انه اكثر من سعيد عندما يستطيع في اليوم التالي أن يرضي مرتب الاحـــرف المزعج وبهذه الطريقة ليست الترجمات التي تغرقنا سوى دليل على عجز الادب الالماني المعاصر الخ (**الصحيفة الادبية العامة** العدد ٨ ، الصفحـــة ٤٥)

الحـاشية النقدية رقـــم (٥)

« ان دليل استحالة الملكية الذي ينتزعه برودون من واقع أن البشرية يستهلكها بشكل خاص نظام الفائدة والربح والتفاوت بين الاستهلاك والانتاج، هذا الدليل ينقصه جزؤه المقابل اي ينقصه بالضبط الدليل على أن الملكية الخاصة ممكنة تاريخيا »

ان للنقد النقدي الغريزة السعيدة التي تمنعه من التغلغل في محاكمة برودون عن نظام الربح والفائدة الخ ، اي اهم جزء من مناقشته والسبب هو انه لا يمكن حول هذه النقطة ان يطرح حتى ادنى مظهر لنقد برودون دون معرفة ايجابية مطلقة بحركة الملكية الخاصة. يحاول النقد النقدي ان يعطي عجزه بملاحظة ان برودون لم يثبت الاحتمال التاريخي للملكية . والنقد النقدي

الذي ليس في وفاضه سوى كلمات يقدمها ، لمـــاذا يتوقع من الآخرين ان يقدموا **كل شيء ؟**

يثبت برودون استحالة الملكية بواقع ان العامل يستطيع بأجره ان يبتاع من جديد منتوج عمله وبرودون لا يقدم برهانا بليغا لهذا بشرح **جوهر رأس المال** فالعامل لايستطيع ان يبتاع من جديد منتوجه لانه دائما **منتوج عام ، بينما هو ليس شيئا سوى انسان فردي يتلقى أجرا »**

وبامكان الهر ادغار على النقيض من استنتاج برودون ، **أن يعبر عن نفسه** اكثر جلاء حول واقع ان العامل **لا يستطيع** ان يبتاع من جديد انتاجه لأنه **متوجب عليه أن** يبتاعه من جديد. وضمن تعريفه السابق للشراء جاء علاقته بالمنتوج هي علاقة مع شيء يستطيع أن يملكـــه ، شيء معرب ومن بين الاسس الاخرى لا تستطيع مناقشة الهر ادغار الجامعة ان تبين مسألة لماذا يستطيع الراسمالي ، الـــذي هو نفسه **ليس شيئا بل انسان فردي** ، وفوق ذلك ، انسان يتلقى أجرا عن طريق الربح والفائدة ، **لمـــاذا** يستطيع هذا الراسمالي أن يبتاع من جديد ، ليس فقط شراء منتوج العمل. بل شراء أكثر من ذلك الانتاج ولشرح **هذا** على الهر ادغار أن يشرح جوهر **الرأسمـــــال**

ان الاقتباس السابق من النقد يدل بجلاء كيف استخدم النقد النقدي على الفور ما تعلمه من كاتب ليجيزه حكمة اكتشفها بنفسه واستخدمهـــا بخدعة نقدية ضد الكاتب نفسه **اذ من برودون نفسه انتزع النقد النقدي** الحجة التي يقول أن برودون لم يقدمها بل الهر ادغار قدمها. يقول برودون:

فرق **تسد«** Divide et impera » لو ان العمال منفصلون **الواحد** عن الآخر فمن الممكن ان تزيد الاجور المدفوعة لكل واحد منهم عن قيمة كل منتوج فردي ولكن هذه النقطة ليست سويداء الموضوع **فمع انك دفعت** اجرة كل القوى الفردية فانك لم تدفع اجرة القوة الجمعية » .

كان برودون **أول** من وجه الانظار لواقع **أن مجموع أجور العمال الفرديين** ، حتى وان دفع بشكل **كامل** عن كل **عمل فردي** ، **فان هذا المجموع لا يفي** القوة الجمعية المتشيئة في منتوجها ،وبالتالي أن العامل لا يدفع له باعتباره **جزءاً من قوة العمل الجمعية** ويقلب الهر ادغار هذا الى تأكيد هو أن العامل ليس سوى انسان فردي يتلقى أجرا وهكذا يعارض النقد النقدي فكرة **عامة** لبرودون بالشرح الحسي التالي الذي يقدمه برودون نفسه للفكرة نفسها انه يمتلك تلك الفكرة بالطريقة النقدية ويفصح عن سر **الاشتراكية النقدية** بالمقطع التالي

ان العامل الحديث لا يفكر الا في نفسه اي يطلب الاجر لشخصه فقط انه هو نفسه يفشل في أن يحسب حساب القوة الضخمة التي لا تحد والتي نجمت عن تعاونه مع القوى الاخرى

ان كل الشرور عند النقد النقدي تكمن في « **تفكير** » العمال انها الحقيقة أن العمال الانكليز والفرنسيين الفوا رابطات تبادلوا فيها آراءهم ليس فقط حول حاجاتهم العاجلة **كعمال** ، بل حول حاجاتهم ككائنات بشرية . وهكذا اظهروا وعيا عميقا وشاملا للقوة الضخمة التي لا تحد التي نجمت عن تعاونهم ولكن هؤلاء العمال الشيوعيين **الجماهيريين** ، المستخدمين في مشاغل مانشستر مثلا او في مشاغل ليون ، لا يؤمنون ان « **التفكير الصافي** » سيكون قادرا ان يخلصهم من اسيادهم الصناعيين وتعاستهم العملية كانوا على علم مؤلم جدا **بالفرق** بين **الكائن** و **الفكر** ؛ بين **الوعي** و **الحياة** إنهم يعرفون أن الملكية ورأس المال والنقد والعمل المأجور وما شابه ذلك ليست تلفيقات مثالية للدماغ بل هي مصادر موضوعية وعملية لاغترابهم الذاتي وانه يجب ابقاؤها بطريقة موضوعية وعملية حتى يصبح الانسان انسانا ليس فقط في **التفكير** ، **في الوعي** بل في **الكائن** الجماهيري ، في الحياة أما النقد النقدي فعلى العكس إنه يعظهم انهم يكفون عن أن يكونوا عمالا مأجورين اذا أزالوا من تفكيرهم فكرة العمل المأجور ، اذا كفوا في تفكيرهم عن تخيل انفسهم كعمال مأجورين ويكفون عن طلب المكافأة لشخصهم حسب تخيلهم المفرط . وسيكون العمال ،

باعتبارهم مثاليين مطلقين ، باعتبارهم كائنات أثيرية ، قادريـن بشكل طبيعي ان يعيشوا في اثير فكرتهم المحضة ويعظهم النقد النقدي انهـم يزيلون الراسمال الحقيقي بالتغلب على مقولة الراسمال في **التفكير** ، انهم **يغيرون فعلا** ويحولون أنفسهم الى كائنات بشرية حقيقية بتغيير اانانيتهم المجردة في وعيهم و احتقارهم كل التغييرات **الحقيقية** في وجودهم الحقيقي، في الظروف الحقيقية لوجودهم ، اي في **انانيتهم الحقيقية** ، باعتبار ذلك عمليات غير نقدية الروح » التي ترى في الواقع مقولات ، من الطبيعي ان ترجع كل الممارسة والنشاط البشري الى عملية التفكير الديالكتيكي للنقد النقدي وذلك هو ما يميز اشتراكية النقد النقدي عن الاشتراكية الجماهيرية والشيوعية

ومن الطبيعي انه يجب على الهر ادغار بعد مجادلته الكبـرى ، ان يعلن ان نقد برودون خال من الوعي »

لكن برودون يرغب في أن يكون عمليا أيضـا » يعتقد انـه ادرك » **وتصرخ** المعرفة الهادئة بانتصار «ومع ذلك لانستطيع حتى الآن ان ننسب اليه **المعرفة الهادئة** » اقتبسنا مقاطع قليلة لنظهر كم كان اعتباره لموقفه من المجتمع ضئيلا

وأخيرا سوف نقتبس نحن ايضا مقاطع من مؤلفات النقد النقدي ، (انظر **مصرف الفقراء والمزرعة النموذجية**) * لنظهر أنه لم يتعلم بعـد العلاقات الاولية للاقتصاد السياسي ، دعك من التأمل فيها ، ولذلـك شعر ببراعته النقدية المشخصة انه اختير ليصدر الحكم على برودون

والآن وقد تخلص ذاك النقد النقدي باعتباره معرفة هادئة من كل « **المعاكسات** » **الجماهيرية** ، وتفهم الواقع على شكل مقولات وحل كل الفعالية البشرية في ديالكتيك تأملي ، سوف نراه يعيد انتاج العالم مـن

★ يجد القارىء ذلك بشكل مفصل في الفصل الثامن من هذا الكتاب . (المترجم)

الديالكتيك التأملي ومن نافل القول انه اذا كان **المعجبون** بالخلق **التأملي** النقدي للعالم لن يدنسوا فانهم يتجلون للجمهـــور الدنيــوي **على شكل اسرار فقط** **ولذلك يظهر** النقد النقدي في شخص الهر ويسكنو ـ زيليخا باعتباره **تاجر اسرار** *

★ اشارة الى تعليق زيليخا في الصحيفة الادبية العامة على رواية أسرار باريس لاوجين سو . (المترجم)

الفصل الخامس
النقد النقدي باعتباره تاجر أسرار
أو
النقد النقدي في شخص الهر زيليخا

يضفي النقد النقدي الممثل في شخص زيليخا – ويسكنو ، هالة إلهية على رواية **أسرار باريس** واعلن ان مؤلفها اوجين سو هو « **ناقد نقدي** ». وحين سمع سو هذا ، ربما صرح مثل **البرجوازي النبيل لموليير**

وربي ، لقد كنت اتكلم النثر لاكثر من اربعين عاماً دون أن اعلم ذلك اقدم جزيل الشكر لك لاخباري بذلك » يقدم الهر زيليخا لنقده بتمهيد **جمالي**

ويقدم « التمهيد الجمالي الشرح التالي للمعنى العام للملحمة النقدية » وبشكل خاص ملحمة **أسرار باريس**

تنجم عن هذه الملحمة الفكرة القائلة إن الحاضر في ذاته **ليس شيئا** ، وليس فقط » **(ليس شيئا وليس فقط)** « الحد الابدي بين **الماضي و المستقبل** ، لكن (ليس شيئا ، وليس فقط ، لكن) « لكن **الفجوة التي يجب ان تملأ باستمرار** ، والتي تفصل الخلود عن الفناء **ذلك هو المعنى العام لاسرار باريس))** .

ويذهب التمهيد الجمالي الى التأكيد انه اذا رغب **الناقد** ، ففي امكانه ان يكون **شاعرا** ايضا

وكل نقد الهر زيليخا سوف يثبت ذاك التأكيد . انه « قصيدة بكل **معنى الكلمة** .

إنه أيضا منتوج « الفن **الحر** » حسب تعريف الاخير في التمهيد الجمالي » ـ إنه « **يبتكر شيئا جديدا تماما ، شيئا لم يوجد مطلقا من قبل** ».

واخيرا ، إنها ملحمة نقدية ، لأنها « فجوة يجب ان تملأ باستمرار وهي « تفصل الخلود ـ النقد النقدي للهر زيليخا ـ عن « الفناء » ـ رواية اوجين سو

١ ـ « سر الانحطاط في الحضارة » و « سر الباطل في الدولة »

تصور **فيورباخ** ، كما نعرف ، الافكار المسيحية عن التجسد والثالوث والخلود الخ على انها سر التجسد ، وسر الثالوث ، وسر الخلود وتصور الهر زيليخا كل ظروف العالم الحالي على أنها إسرار ولكن حيث كشف **فيورباخ الاسرار الحقيقية** صنع **الهر زيليخا اسراراً** من **التفاهات** الحقيقية أن فنه ليس في كشف ما هو مخبوء ، وإنما في تخبئة ما هو مكشوف

وبذا يعلن على أنها **اسرار** الانحطاط (المجرمين) في قلب الحضارة والتفاوت والباطل في الدولة وهكذا فإما أن الأدب الاشتراكي ، الذي يكشف هذه الاسرار ، لا يزال سراً بالنسبة للهر زيليخا ، أو انه يريد أن يصنع سراً خاصا « للنقد النقدي » من النتائج المعروفة على افضل وجه لذاك الادب

ولذلك لا حاجة بنا الى الغوص بعيدا في خطبة الهر زيليخا عن تلك الاسرار ، سوف نوجه الاهتمام فقط الى بضع نقاط بارزة هامة

« كل شيء **متساو** أمام القانون والقاضي ، الكبير والصغير ، الغني والفقير وتأتي هذه الجملة في راس عقيدة الدولة »

الدولة ؟ على العكس ، فعقيدة معظم الدول تبدأ بجعل الكبير والصغير ، والغني والفقير **متفاوتين أمام القانون**

يعبر النقاش موريل في استقامته الساذجة تعبيرا واضحا عن السر (سر التناقض بين الفقير والغني) عندما يقول لو أن الاغنياء يعرفون فقط آجل لو ان الأغنياء يعرفون فقط لسوء الحظ انهم لا يعرفون ما هــو الفقر

لا يعرف الهر زيليخا ان اوجين سو يقترف مفارقة تاريخية بدافــع مجاملة البورجوازية الفرنسية عندما يضع شعار البورجوازيــن في عصر لويس الرابع عشر «آه! لو ان الملك يعرف ذلك» في شكل محور «آه! لو ان الغني يعرف ذلك!» على لسان الرجل الكادح موريل الذي عاش في عصر **الميثاق حقيقة*** . في الكلترا او فرنسا على الاقل انتهت العلاقة **الساذجة** بين الغنــي والفقير فهناك نشر الممثلون العلميون للثروة، الاقتصاديون ، فهما مفصلا جدا للبؤس الاخلاقي والجسدي الذي يولده الفقر وقد فعلوا ذلك عن طريق اثبــات ان البؤس يجب ان يبقى لأن الظرف الحالي يجب ان يبقى وفي قلقهــم يحسبون حتى **النسب** التي يجب فيها آن يجتث الفقــر لمصلحة الثــروة ومصلحته الخاصة

اذا كان اوجين سو يصف الخمارات ومخابىء المجرمين ولعتهم، فان الهر زيليخا يكشف ((**السر**)) وهو أن ما اراده « المؤلف » ليس وصف تلــك اللغة وتلك المخابىء ، وانما اراد « ان يعلمنا اسرار دوافــع الشر الخ » لان المجرمين يشعرون انهم **في بيوتهم** بالضبط في الاماكن الاشد ازدحاما».

ماذا سيقول العالم الطبيعي لو أن أحدا راح يثبت له أن خلية النحل لا تهمه كخلية نحل وانه فيها سر لذاك الذي لم يدرسهــا ، لأن النحلة تشعر انها في بيتها بالضبط » في الهواء الطلق وعلى الزهرة ؟ ان مخابىء المخربين ولغتهم تعكس سمات المجرم، انها جزء من وجوده، ووصفها جزء من وصفه كما ان **وصف البيت الصغير** (petite maison) جــزء مــن وصف **المرأة الماجنه** (femme galante)

★ أي في عصر لويس فيليب والميثاق حقيقة « charte Verite » تعبير ورد في احدى خطب لويس فيليب (المترجم)

بالنسبة للباريسيين ، بشكل عام وحتى بالنسبة لبوليس باريس. فان مخابىء المجرمين « سر » بحيثانه في هذا الوقت بالذاتتشق الشوارع المضيئة العريضة في المدينة (cité) لتجعل تلك المخابىء في متناول الشرطة بصورة افضل

واخيراً ، يقر اوجين سو نفسه ان الاوصاف المشار اليها سابقا كان يعتمد فيها على « الفضول الخجول » عند قرائه إن اوجين سو اعتمد على الفضول الخجول عند قرائة في كل رواياته. ويكفي ان نتذكر اثر غوغول **وسالامندر وبليك وبلوك ... الخ .**

٢ – سر البناء التاملي .

سر تمثيل النقد النقدي لاسرار باريس هو سر **البناء الهيغلي التاملي** فإما اعلن الهر زيليخا ان « الانحطاط داخل الحضارة » والباطل في الدولة اسرار » ، اي حلتهم في مقولة **« السر »** ، فقد تـرك « السـر » يبـاشر **مهنته التاملية** ويكفي بضع كلمات لتشخيص البنـاء التأملي **بشكل عام** ومعالجة الهر زيليخا **لاسرار باريس** ستقدم لنا تطبيقا مفصلا

اذا شكلت من التفاح والكمثرى والفريز واللوز الفكرة العامة وهي فاكهة » ، واذا مضيت ابعد من ذلك **وتخيلت** ان فكرتي المجردة « فاكهة »، المشتقة من الفاكهة الحقيقية ، هي كيان قائم خارجا عني ، هي فعـلا الجوهر **الحقيقي** للكمثرى والتفاحة الخ ، اذن **في لغة الفلسفة التاملية** أنا أصرح ان الفاكهة » هي ماده الكمثرى ، والتفاحة واللـوزة الخ ولذلك اقول انه ليس جوهريا للكمثرى انتكون كمثرى ، وانه ليس جوهريا للتفاحة ان تكون تفاحـة ، وان ما هو جوهري لتلك الاشياء ليس كيانهـا الحقيقي الذي تدركه الحواس ، بل الجوهري هو انني استخلصت منها ثم أضفيت عليها جوهر فكرتي – « الفاكهة » ولذلك اعلن ان التفـــاح والكمثرى واللوز الخ اشكال فقط للوجود ، (modi) ، «الفاكهة».
١ فهمي المحـــدود تؤيده حواسي ، **يميـز** بالطبـــع التفاحـــة عـن

الكمثرى ، والكمثرى عن اللوزة ، ولكن عقلي التأملي يعلن أن تلك الاختلافات الحسية غير جوهرية ولا اهمية لها ، إنه يرى في التفاحة الشيء ذاته الذي يراه في الكمثرى ، ويرى في الكمثرى ما يراه في اللوزة ، اي « فاكهة » والفواكه الحقيقية الخاصة ليست اكثر من اشكال جوهرها الحقيقي هو المادة » ـ « الفاكهة

بهذه الطريقة لا يحصل المرء على أي غزارة خصوصية من التعريفات. ن عالم التعدين الذي يتألف كل علمه في الاقرار أن كل المعادن هي «معادن» فعلا لن يكون عالم تعدين الا في **تخيله** فلكل معدن يقول عالم التعدين التأملي معدن » ، وينحدر علمه الى تكرار تلك الكلمة مرات ومرات بقدر ما هنالك من معادن حقيقية

اما وقد انحدرت الفواكه الحقيقية المختلفة الى فاكهة تجريدية**واحدة** ـ « فاكهة فان على على التأمل للحصول على بعض مظاهر المضمون الحقيقي أن يحاول بطريقة ما أن يجد طريق العودة من الفاكهة ، من **المادة** الى الفواكه الحقيقية الدنيوية المختلفة الكمثرى التفاحة اللوزة الخ فكما أن من الصعب انتاج فواكه حقيقية من فكرة « الفاكهة المجردة فان من السهل انتاج هذه الفكرة من الفواكه الحقيقية في الحقيقة يستحيل الوصول الى **نقيض** تجريد ما دون **التخلي** عن هذا التجريد

ولذلك فان الفيلسوف التأملي يتخلى عن تجريد « الفاكهة ولكن بشكل **تاملي صوفي** ـ مع مظهر **عدم** التخلي عنها وهكذا يرتفع فوق تجريده ولكن في المظهر فقط انه يناقش كما يلي

اذا كان التفاح والكمثرى واللوز والفريز ليست في الحقيقة شيئا سوى « مادة فاكهة فان السؤال يطرح لماذا تتظاهر الفاكهة لي أحيانا كتفاحة واحيانا اخرى ككمثرى واحيانا اخرى كفريزة ؟ لماذا **مظهر التباين** هذا الذي يناقض بشكل يلفت النظر مفهومي التأملي لـ « الوحدة » و الجوهر ، و الفاكهة ؟

ويجيب الفيلسوف التأملي ان هذا يحصل بسبب أن الفاكهة ليست ميتة ، غير متميزة ، عديمة الحركة ، بل حية ، متميزة ذاتيا ، متحركة وتباين الفواكه الدنيوية ليس بذي مغزى فقط لادراكي الحسي ، بل ايضا لـ « الفاكهة » نفسها ، وللعقل التأملي ان الفواكه الدنيوية المختلفة هي مظاهر مختلفة لحياة « الفاكهة » **الواحدة** انها تبلورات « للفاكهة » نفسها في التفاحة تتقمص الفاكهة الوجود الشبيه بالتفاحة ، وفي الكمثرى تتقمص الوجود الشبيه بالكمثرى ولذلك علينا الا نمعن في القول وكأننا ننطلق من وجهة نظر الجوهر (Substance) الكمثرى « فاكهة » ، والتفاحة « فاكهة » ، واللوزة « فاكهة » بل علينا القول ان « الفاكهة » تمثل نفسها ككمثرى ، و « الفاكهة » تمثل نفسها كتفاحة ، و الفاكهة » تمثل نفسها كلوزة ، والاختلافات التي تميز التفاح والكمثرى ، واللوز الواحدة عن الاخرى هي اختلافات ذاتية لـ « الفاكهة » تجعل الفواكه الخاصة أعضاء تابعة لعملية حياة « الفاكهة ». وهكذا «الفاكهة» ليست بعد الآن وحدة مجردة من المضمون وغير متمايزة، إنها أحادية مثل كلية الفواكه و «مجموعيتها» التي تؤلف **«سلاسل عضوية متشبعة»**. وفي كل عضو من أعضاء تلك السلاسل تتقمص « الفاكهة » وجودا أكثر وضوحا وأكثر تطورا ، حتى تكون أخيرا خلاصة » كل الفواكه ، وفي الوقت نفسه **وحدة** حية تتضمن كل تلك الفواكه المنحلة في نفسها تماما كما أن كل أطراف البدن ، على سبيل المثال تنحل باستمرار في الدم وتنتج من الدم أيضا باستمرار

نرى أنه اذا كان الدين المسيحي يعرف فقط تجسدا « **واحدا** » للرب ، فان لدى الفلسفة التأملية من التجسدات بقدر ما هنالك من أشياء ، تماما كما أن لديها هنا في كل فاكهة تجسيدا لـ « الجوهر لـ الفاكهة » المطلقة ولذا فان الاهتمام الرئيسي للفيلسوف التأملي هو ينتج **وجود** الفواكه الدنيوية الحقيقية،وان يقول بطريقة سرية الى حد ما أن ثمة تفاحا وكمثرى ولوزا وزبيبا ولكن التفاح والكمثرى واللوز والزبيب التي جنيناها من العالم التأملي ليست سوى **مظاهر** للتفاح ،

مظاهر للكمثرى ، مظاهر للوز **مظاهر** للزبيب ، انها لحظات في حياة «الفاكهة» ، ذلك **الكائن العقلي** المجرد ، ولذلك فانها نفسها **كائنات عقلية** مجردة اذن ان ما تنعم به في التامل هو ان تجد كل الفواكه الحقيقية **هناك**، ولكنها فواكه تتمتع بميزة صوفية عليا ، فهي تخرج من أثير دماغك ، **وليس** من الارض المادية ، هذه الفواكه التي هي تجسيدات لـ «الفاكهة» ، **بالذات المطلقة** وعندما تعود من التجريد من **الكائن** العقلي **فوق الطبيعي** ، **من** «الفاكهة» الى الفواكه **الطبيعيه** فانت، على العكس، تمنح الفواكه **الطبيعية مدلولاً** فوق طبيعي ، وتحولها الى تجريدات عديدة فاهتمامك **الرئيسي** ينصب اذن على الاشارة الى **وحدة** الفاكهة » في كل مظاهر حياتها ــ التفاحة الكمثرى ، اللوزة ــ اي **التداخل الصوفي** بين هذه الفواكه ، وكيف تتطور الفاكهة في كل منها **بتقدمات لازبة متدرجة** ، مثلا ، من وجودها كزبيبة الى وجودها كلوزة وقيمة الفواكه الدنيوية لا تعود تكمن في صفاتها **الطبيعية** بل في صفتها **التأملية** التي تهب كلا منها مكانا محددا في عملية حياة « الفاكهة المطلقة

ان الانسان العادي لا يفكر انه يقول اي شيء غير مألوف عندما يقرر أن ثمة تفاحا وكمثرى ولكن اذا عبر الفيلسوف عن تلك الموجودات بطريقة تأملية فانه يقول شيئا غير مألوف انه يثير **العجب** بانتاجه **الكائن الطبيعي** الحقيقي التفاحة ، الكمثرى الخ ، من **الكائن العقلي** غير الطبيعي ، الفاكهة اي **بخلقه** تلك الفواكه من **فكره الخاص المجرد** ، **الذي يعتبر** ذاتا مطلقة خارج نفسه **الا** يتمثل هنا بـ الفاكهة وفي كل وجود يعبر عنه يكمل عملية الخلق ولا حاجة الى القول ان الفيلسوف التأملي لا يكمل عملية الخلق هذه يتمثيل الصفات المعروفة عموميا للتفاحة والكمثرى الح التي توجد في الواقع كتعريفات **اكتشفت** من قبله . باضفاء **أسماء** الاشياء الواقعية على ما يستطيع خلقه الفكر المجرد **فقط** على الصيغة العقليه المجردة وأخيرا بالمناداة بفعاليته **الخاصة** التي عن طريقها ينتقل من فكره التفاحة الى فكرة الكمثرى على انها **الفعالية الذاتية** للذات المطلقة ، « الفاكهه

تدعى **هذه العملية** ، في اسلوب الكلام التأملي ، بعملية ادراك الجوهر باعتباره **الذات** ، باعتباره **عملية داخلية** ، باعتباره **شخصاً مطلقاً** ، **وذاك** الادراك يقوم على السمة الاساسية لمنهج **هيغل** .

كانت هذه الملاحظات الاولية ضروريه لجعل الهر زيليخا مفهوماً وبعد ما حل بهذا القدر العلاقات الحقيقية ، مثل الحق والحضارة ، في مقولة الاسرار ، وبذلك جعل «السر» جوهراً، يرتفع الآن الى الذروة الهيغلية التأملية الحقيقية ويحوّل السر الى ذات قائمة ذاتيا ومجسدة ذاتها في أوضاع حقيقية واشخاص حقيقيين بحيث ان مظاهر حياتها لا حصر لها ماركيزات فتيات عاملات(Grisettes) بوابون كتاب عدول ، مشعوذون ، مكائد غرامية ، نزهات ، ابواب خشبية الخ وبانتاجه مقولة « السر » من العالم الحقيقي ، فانه ينتج العالم الحقيقي من تلك المقولة

ان اسرار **البناء التاملي** في عرض الهرزيليخا سوف تنكشف كلها بصورة **مرئية أكثر** نظراً لما يتمتع به من تفوق **مزدوج** لا نزاع فيه على **هيغل**. أولا يملك هيغل القدرة الكاذبة أن يعرض على انها عملية الكائن العقلي المتخيل نفسه ، الذات المطلقة ، العملية التي بواسطتها ينتقل الفيلسوف عن طريق الادراك الحسي من موضوع الى آخر والى جانب ذلك غالبا ما يقدم هيغل عرضا **حقيقيا** ، يحيط بالشيء نفسه ، ضمن العرض **التاملي** هذا العرض الواقعي ضمن العرض التأملي يوقع القارىء في الضلال فيأخذ التأمل على انه الواقع والواقع عله التأمل

أما عند الهرزيليخا فقد أزيلت هاتان الصعوبتان. فديالكتيكه ليس فيه رياء ولا ادعاء انه ينفذ أحابيله بشرف ومجد واستقامة مخلصة ولكنه نعدئذ لا يطور في أي مكان اي **مضمون حقيقي** بحيث يكون بناؤه التأملي حرا من اية تعقيدات معكرة ومن كل تحايلات ملتبسة ، ويباشد العين في جماله العاري ونرى أيضا عند الهرزيليخا

ايضاحا رائعا هو كيف أن التأمل من جهة يخلق بحرية ووضوح موضوعه من نفسه بشكل مسبق ، ومن جهة اخرى ، نجد أن السبب ذاته الذي يرغب أن يتحرر منه عن طريق سفسطة الاعتماد الطبيعي والفكري على **الموضوع** ، يسقط في **عبودية** غير طبيعية وغير معقولة للموضوع الذي يضطر أن يترجم خصائصه الفردية والعرضية الى ضرورة مطلقة وعامة

٣ ـ « سر المجتمع المثقف »

بعد أن قادنا اوجين سو خلال الطبقات الدنيا للمجتمع ، مثلا خلال حانات المجرمين ، ينقلنا الى « المجتمع العالي » الى **حفلة راقصة** في حي سان جرمان

ويقدم لنا الهر زيليخا هذا الانتقال كما يلي « يحاول **السر** ان يتجنب الملاحظة بأحبولة جديدة فقد ظهر حتى الآن ملغزاً محيراً سلبيا بشكل مطلق ، على النقيض من الحقيقة والواقع والايجابية وانه ينسحب الآن الى هذا الاخير على انه **مضمونه غير المرئي** لكنه بعمله هذا يتخلى عن الاستحالة المطلقة لمعرفته »

« السر » الذي ، حتى الآن ، ظهر مناقضا لـ « الحقيقة » لـ «الواقع» لـ « الايجابية » ، اي للقانون والثقافة ، ينسحب الآن الى هذا الاخير ، اي الى مملكة الثقافة انه بالتأكيد **لـ** «باريس» ، أن لم يكن سرا **من** باريس ،ان « المجتمع العالي » مملكة للثقافة حصرا ولا يعبر الهرزيليخا من اسرار عالم الجريمة الى اسرار المجتمعالارستقراطي. ان السر يصبح «مضمونا غير مرئي » للمجتمع المثقف ، يصبح **جوهره الحقيقي . انها « ليست أحبولة جديدة » للهرزيليخا أن يخلص الى ملاحظات جديدة ، السر نفسه يتخذ هنا « الاحبولة الجديدة » ليتجنب الملاحظة .**

وقبل انيتبعالهرزيليخا أوجينسو حيثيقودهقلبه ـ اليحفلةراقصة

ارستقراطية ، يستخدم الاحابيل **الرائية** للتأمل الذي ينشأ بصورة قبلية

« يستطيع المرء ان **يتكهن طبعاً** بالمحارة المتينة التي سوف **يختارها** «السر» ليختبىء فيها يبدو ، **في** الواقع انها ذو تماسك محكم . . . وانه . . . بالتالي يمكن ان نتوقع ، **بشكل عام** ان محاولة جديدة للنفوذ الى القلب **لا غنى عنها هنا** » .

تكفي ان الهر زيليخا أوغل بحيث ان « الذات الميتافيزيائية ، **اى** السر ، يخطو الآن الى الامام باشراق ومهابة ودلال »

والآن ، حتى يحول الهرزيليخا المجتمع الارستقراطي الى « سر » يقدم لنا اعتبارات قليلة عن «الثقافة» انه يفترض ان المجتمع الارستقراطي يحوز كل انواع الصفات التي لن يفتش أي انسان عنها ، فيه ، كيما يجد فيما بعد «السر» الذي لم يحرز تلك الصفات . عندئذ يقدم ذلك الاكتشاف على أنه « سر » المجتمع المثقف فالهر زيليخا يعجب مثلا ، فيما اذا كان العقل **العام** (هل يقصد المنطق التأملي ؟) — يشكل مضمون «حديث غرفة استقباله» ، فيما اذا كان «سق الحب ومقياسه وحدهما يجعلان من المجتمع كلا متناسقاً » ، فيما اذا كان « ما ندعوه **ثقافة عامة** هو الشكل الوحيد لـ « **العام ، الابدي ، المثالي** » اي فيما اذا كان ما ندعوه ثقافة هو تخيل ميتافيزيكي وليس من الصعب على الهر زيليخا ان يتنبأ **مسبقا** بجواب هذه الاسئلة «يمكن ان نتوقع على اي حال ان الجواب سيكون سلبيا »

ان الانتقال في رواية اوجين سو من العالم الى العالم المهذب هو انتقال عادي بالنسبة الى رواية . ان **تنكر رودولف** ، أمير جيرولد شتاين ، يخوله الدخول في القطاعات الدنيا للمجتمع ، كما أن لقبه يمنحه اذن الدخول الى القطاعات العليا . وفي طريقه الى الحفلة الراقصة الارستقراطية لم يكن مأخوذا مطلقا بتباينات الحياة العصرية ، ان تباينات تنكره **الخاص** هي التي يجدها **فاتنة** انه يخبر حاشيته المطواعة كيف يجد متعة فائقة في الاوضاع المختلفة .

يقول «اجد تلك الارتباطات فتانة للغاية ، ففي أحد الايام استقر كرسام مراوح في مدخل شارع (aux feves)، وفي صباح آخر كبائـــع

يقدم كأسا من نبيذ الزبيب الاسود الى مدام بيليت ، وهذا المساء . . كأحد المنعمين بنعمة الرب الذين يسودون العالم » .

عندما يدخل النقد النقدي الى الحفلة الراقصة يغني
الشعور والفكر يتخليان عني قريبا
هنا في وسط الملوك*.
وينهمر في قصائد حماسية (Dithyrambs) كالتالي

هنا يجعل السحر توهج الشمس في الليل ، ويجعل خضرة الربيع واشراقة الصيف في الشتاء ونشعر على الفور بمزاج يؤمن بمعجزة الحضور الالهي في صدر الانسان ، وعلى الاخص عندما يقوي الجمال والفتنة من اعتقادنا بأننا في الجوار المباشر للمثل العليا » (!!!)

ايها القسيس الريفي المسكين الساذج وعديم الخبرة ، والنقدي عبقريتك النقدية وحدها يمكن ان ترتفع عن طريق غرفة رقص باريسية فاخرة الى مزاج تؤمن فيه « بمعجزة الحضور الالهي في صدر الانسان ، وترى اللبوات الباريسية « مثلا عليا فورية » وملائكة متجسدة

ويصغي القس النقدي ببساطته المنافقة ، لجميلتين من الجميلات هما كليمنس دي هارفيل والكونتيسة سارة ماكريغور ويمكن للمرء أن يخمن ما يرغب سماعه منهما

« بأية طريقة نستطيع أن نكون بركة الاطفال المحبوبين ، وكمال سعادة الزوج » نصيخ السمع يعترينا العجب ولا نصدق آذاننا »

اننا نشعر سرا بغبطة عندما يخيب امل السامع ان السيدتين

★ الشعر لغوته . (المترجم)

لا تتحدثان عن « البركة » ولا عن « الكمال » ولا عن « العقل العام » ، وانما تتحدثان عن خيانة مدام دي هارفيل لزوجها »

وقد حصلنا على الكشف الساذج التالي عن احدى السيدات وهي الكونتيسة ماكريفور

« كانت **مغامرةالى درجة** انهااصبحت **اما لطفل نتيجة** لزواج سري».

اما وقد تأثر الهر زيليخا تأثرا مزعجا بمغامرة الكونتيسة ماكريفور ، فانه يوجه لها كلمات جارحة

نرى ان كل كفاح الكونتيسة كان من اجل كسب شخصي اناني »

انه في الواقع لا يرى نذير خير في وصولها الى بغيتها ـ زواجها من امير جيرولدشتاين

الذي لا يمكن ان نتوقع **مطلقا** انها سوف تستفيد منه لاسعاد رعايا امير جيرولدشتاين »

ينهي المتطهر « البيوريتاني » موعظته « بجدية عميقة » « سارة (المراة **المغامرة**) تكاد تكون على اي حال استثناء في هذه الحلقة المشرقة ، مع انها احدى **قممها** »

على اي حال تكاد لا ، مع انها ! وليست «قمة» الحلقة استثناء ؟.

واليك ما نتعلمه عن شخصية مثلين علويين آخرين ، المركزة دي هارفيل ودوقة ليوسيناي

انهما « تفتقران الى راحة القلب » لم تجدا في الزواج هدف حبهما ، وهكذا طفقتا تبحثان عنه خارج الزواج الحب في الزواج يبقى **سرا لهما** ، وتدفعهما الحاجة الملحة للقلب الى تمزيق ذلك السر **وهكذا** استسلمتا **للحب السري** هاتان « الضحيتان » لـ « الزواج من دون حب اضطرتا ضد

ارادتهما الى إذلال الحب الى درجة جعله شيئا خارجيا ، الى ما يسمى علاقة ، والى اعتبار السر الرومانسي على انه حقيقة الحب وماهيته وحياته.»

ان جدارة هذه المحاكمة الديالكتيكية تتعاظم بقدر ما تحظى بتطبيق أعم

ان الذي لا يسمح له مثلا ان **يشرب** في البيت ومع هذا يشعر بالحاجة أن يشرب ، يفتش عن « موضوع » الشرب « خارج » البيت ، و « هكذا » يتعاطى الشرب السري وهو مدفوع لاعتبار السر المقوم الاساسي للشرب مع انه لن ينحدر بالشرب الى شيء « خارجي » قط ، أكثر مما تفعل سيداتنا بالحب لانه ، حسب منطق الهرزيليخا ، ليس حبا وانما هو رواج من دون حب ، ذاك الذي ينحدرون به الى ما هو عليه في الواقع ، الى شيء خارجي ، الى ما يسمى علاقة .

ويصل الهرزيليخا الى السؤال التالي : « ما هو سر الحب ؟ »

سبق أن رايناه يعبر عنه بطريقة تجعل « السر » « جوهر » هذا النوع من الحب فكيف نبحث الآن في سر السر ، في جوهر الجوهر ؟

يعلن القس « ليست الدروب الظليلة في الاجمات ، ولا الغبش الطبيعي لليلة مقمرة او الغبش الصناعي للستائر والاسجاف النفسية ، ولا نوتات القيثارة البهيجة الناعمة والارغن ، ولا الانجذاب الى ما هو محظور

ستائر **و** اسجاف ، نوتات بهيجة **و** ناعمة ! حتى **الارغن** ! دع القس المبجل يكف عن التفكير **بالكنيسة** ! فمن سوف يأتي بالارغن الى مكان الحب؟ « هذا كله (الستائر واسجاف والارغن) يشكل ما هو سري واليست **السرية** هي سر الحب السري ؟ مطلقا

السرية الموجودة فيه هي ما يثير ، ما يسكر ، ما يبهج ، انها ... وة الشهوانية » .

لقد ابتهج القس من قبل بالنوتات « الناعمة **والمبهجة** » ولو انه احضر حساء السلحفاة والشمبانيا الى موعده بدلا من الستائر والاراغن ، **فــان « الاثارة والسكر »** سوف يكونان حاضرين أيضا

ويناقش الجنتلمان المبجل لن نوافق على قوة الشهوانيــة ، **لان هذه** القوة **لا تملك**سلطاناهائلايعيننا آلا لأننا طرحناهاخارجنا،وسوف**لا نقر انها** طبيعتنا الخاصة التي يجب ان نكونفيوضع نروضها فيه آذا حاولتان **تتظاهر** على حساب **العقل** ، والحب الحقيقي ، وقوة الارادة

ينصحنا القس على طريقة الكهنوت التأملي ان **نقر** بالشهوانية علــى انها طبيعتنا الخاصة ، لنتمكن فيما بعد من **آلسيطرة عليها** ، اي لنعود عن الاقــرار بها

في الحقيقة انه لا يريد أن يسيطر عليها الا عندما تحاول ان تتظاهر على حساب العقل — ان قوة الارادة والحب ، بصورة متعـــارضة مـــع الشهوانية ، هما قوة الارادة وحب العقل فقط وايضا يعترف المسيحي غير التأملي بالشهوانية ما دامت لا تتظاهر على حساب العقل ، اي الايمان، والحب الحقيقي اي حب الله ، وقوة الارادة الحقيقية اي الارادة بالمسيح

ويفضح القس على الفور معناه الحقيقي عندما يتابع

اذا كف الحب عندئذ عن ان يكون جوهريا في الزواج وفي الاخلاق ، فان **الشهوانية** تصبــح سر الحب ، سر الاخــلاق ، سر المجتمــع المثقف ـــ الشهوانية بمعناها الضيق ، الذي تشعر فيــــه بالارتعاش **في الاعصاب وبالجدول الملتهب** في الشرايين ، وايضا بمعناها الاوسع ، الذي فيه ترتقي الى **مظهر** القوة الروحية الى الشهوة للقوة والطموح ، والتوق للمجــد والكونتيسة ماكريفور تمثل الشهوة » بالمعنى الاخير على انها سر المجتمع المثقف

ويصيب القس كبد الحقيقة فحتى يسيطر على **الشهوانية** ينبغــي

عنيه قبل اي شيء ان يتغلب على **التيار** العصبي والدورة الدموية السريعة ـ ويؤمن الهرزيليخا بالمعنى « الضيق » القائل ان الدفء الكبير في الجسم ينجم عن حرارة الدم في الشرايين ، انه لا يعرف ان **الحيوانات ذوات الدم الحار** سميت بهذا الاسم لان درجة حرارة جسدها تخضع لقليل من التحول ، وتبقى عند مستوى ثابت وما دام ليس ثمة تيار عصبي ، والدم في الشرايين ليس حارا فان **الجسم الخاطىء** ، وعاء الشهوة الحسية ، **يغدو جثة** وتستطيع الانفس دون عائق ان تتجاذب اطراف الحديث بشأن «العقل العام» و«الحب الحقيقي» و«الاخلاق النقية» ويذل القس الشهوانية الى حد انه **يلغي** العناصر التي تلهم الحب الحسي ـ يلغي اندفاع الدم ، الذي يشير الى ان الانسان لا يحب فقط بالبلغم البليد ، يلغي التيار العصبي الذي يربط العضو الذي هو المقر الرئيسي للشهوانية بالدماغ انه يتدنى بالحب الحسي الحقيقي الى إفراز المني الميكانيكي ، ويتلعثم مع كهنوتي الماني سيء السمعة

« ليس من اجل الحب الحسي ، ولا من اجل شهوة الجسد ، بل لان الرب قال تناسلوا وتكاثروا »

دعنا الآن نقارن البناء التأملي برواية اوجين سو فليست **الشهوانية** التي مثلت سر الحب ، بل الاسرار والمغامرات ، والعقبات ، والمخاوف ، والاخطار ، وعلى الاخص فتنة ما هو محرم كل هذا يمثل سر الحب

نقرأ لماذا تتخذ نساء كثيرات عشاقا من رجال ليسوا من مقام ازواجهن ؟ لان **السحر الاعظم للحب** هو الافتتان المتع **بالثمرة المحرمة** ومن المسلم بهأنه اذا انتزعت المخاوف والقلق والصعوبات والاسرار والمخاطر من الحب فلن يبقى الا القليل ، واذا شئنا الدقة العاشق في بساطته الاصلية ؛ وبكلمة واحدة فانها سوف تكون دائما مغامرة الرجل الذي سئل «لماذا لم تتزوج من تلك الارملة ، عشيقتك؟» فأجاب «لقد فكرت في ذلك ، ولكني لو تزوجتها فلن أعرف عندئذ اين سأقضي أمسياتي »

وحيث يقول الهرزيليخا بوضوح ان سر الحب ليس الافتتان بما هو محرم ، يقول اوجين سو بالوضوح نفسه انه « السحر الاعظم في الحب »

والسبب في كل مغامرات الحب خارج الاسوار (extra muros). « فالحظر والتهريب لا ينفصلان في الحب كما لا ينفصلان في التجارة

ويؤكد اوجين سو بوضوح على العكس من شارحه التأملي ، أن « الميل الى الادعاء والخداع ، وحب الاسرار والاحابيل صفة أساسية ، نزوع طبيعي ، وغريزة آمرة في طبيعة المرأة »

الشيء الوحيد الذي يربك أوجين سو هو متى يوجه هذا الميل وذاك الحب ضد **الزواج** ويود ان يعزو للغريزة القائمة في طبيعة المرأة تطبيقا اكثر نفعا وبعداً عن الضرر

ان الهرزليخا بجعل الكونتيسة ماكريغور ممثلة لنوع من **الشهوانية** التي « ترقى الى حد مشابهة القوة الروحية بيد انها عند اوجين سو **شخصية ذات فكر مجرد** إن «طموحها» و«كبرياءها» . وهما بعد من ان يكونا شكلين للشهوانية وليدا عقل مجرد هو مستقل استقلالا تاما عن الشهوانية وهذا هو السبب في أن أوجين سو يلاحظ بجلاء أن « المطامح الملتهبة للحب لا تستطيع قط ان تحمل صدرها **الجليدي** على الخفقان ؛ وليس ثمة مفاجأة للحب او الاحاسيس يمكن ان تقلب الحسابات القاسية لتلك المرأة الطموحة الإنانية الماكرة

هذه السمة الجوهرية للمرأة هي انانية **العقل** المجرد الذي لا يتألم قط من المشاعر **العاطفية** ، والذي لا يؤثر الدم فيه. ولذلك فان روحها توصف بأنها جافة وقاسية وأن عقلها « ر ماكر وأن شخصيتها « غدارة » و ــ مــا هــو نموذجــي عنــد انسان ذي عمــل مجرد ــ « **مطلقة** وأن رياءهــا عميق الغــور ولنــلاحظ عرضــا ان اوجيــن سو يبــرر سلوك الكــونتيسة بمثــل الغباء الذي يبرر بــه سلوك معظــم شخصيات روايتــه ــ فممرضة قديمة توحي اليهــا بفكرة هي أنه يتوجب عليها ن تصبح « رأسا متوجا وبعد أن اقتنعت بهــذا تطوف لاقتناص التاج عن طريق الزواج واخيرا تقترف خطأ اعتبــار

اميرا المانيا صغيرا « رأسا متوجا »

وقديسنا النقدي ، بعد بصقاته على **الشهوانية** ، يدينها بالضرورة ليظهر لماذا اخذنا اوجين سو الى حفلة راقصة في المجتمع الراقي ، وهي طريقة شعبية لدى كل الروائيين الفرنسيين تقريبا ، بينما غالبا ما يرينا **الانكليزي** العالم الاعلى من خلال رحلة صيد أو قصر ريفـي

« بالنسبة لمفهومه (اي مفهوم الهرزيليخا) لا يمكن ان يكون من الامور التافهة وبالتالي العرضية الصرفة (في بناء الهر زيليخا) «ان اوجين سو قادنا الى المجتمع الراقي في حفلة راقصة

والآن أطلق العنان للحصان وراح يخب برشاقة نحو نهايته الحتميـة وعبر سلسلة من النتائج تذكر المرء بالمرحوم وولف

الرقص هو اكثر المظاهر تعبيرا عن **الشهوانية باعتبارها سرا** » ان « الاتصال المباشر و عناق الجنسين (؟) الضروريين لتشكيـل زوجين ، مسموح بهما في الرقص لانه ، على الرغم من المظاهر ، والاحساس الملموس اللذيذ حقا ، (حقا أيها السيد المحترم ؟) « لا يعتبران اتصالا وعناقا حسيين » (ولكن يحتمل ان يعتبرا اتصالا وعناقا للعقل الكوني ؟)

وعندئذ يصل الى الحكم الاخير الذي يترنح أكثر مما يرقص

« لانه **لو اعتبر** في الواقع الفعلي حسيا **فسيكون من المستحيل ان نفهم لماذا** يكون المجتمع لينا في نظرته للرقص بينما هو **على العكس** ، يلوم بحـدة الحرية المشابهة التي تظهر في **ظروف أخرى** على انها انتهاك لا يغتفر **للاخلاق** والحشمة تستحق الادانة والتحطيم دون رحمة

لا يتحدث القس المبجل هنا عن رقصة الكان كان أو رقصة البولكا* ،

★ الكان كان رقصة انتشرت في باريس عام ١٨٣٠ والبولكا رقصة عنيفة ذات اصل بوهيمي . (المترجم)

بل يتحدث عن الرقص بشكل عام ، عن **مقولة** الرقص ، التي لم تنفذ في أي مكان الا في جمجمته النقدية فان راى رقصة واحدة فيالشوميير فيباريس، فان روحه الالمانية المسيحية ستثور حيال الجرأة والصراحة والخفة الانيقة والموسيقى التي تتحلى بها هذه الحركة الاعظم شهوانية ان احساسه العذب الخاص للملموس بصورة فعلية سوف يجعل امرا ملموسا بالنسبة اليه أنه « في الواقع الفعليسيكون مستحيلا انتفهم لماذا الراقصون انفسهم، بينما هم من جهة اخرى يعطون المشاهد انطباعا ملهما مـــن الشهوانيـــة المشرية الصريحة ــ « التي اذا تظاهرت بالطريقة نفسهافيظروف أخرى» ــ واذ' اردنا الدقة في المانيا ــ سوف تكون موضع الانتقاد الشديد باعتبارها انتهاكا لا يغتفر الخ ــ لماذا هؤلاء الراقصون ، على الاقـــل في نظرهم اذا جاز التعبير لا يمكن ويحتمل فقط بل يمكن ويجب ، ان يكونوا كائنات بشرية شهوانية بكل صراحة

يأخذنا الناقد الى حفلة راقصة من اجل **جوهر الرقص** انه يتجشم صعوبة كبرى فثمة رقص في تلك الحفلة الراقصة ، ولكنفيالخيال فقط والواقع أن أوجين سو لا يقول كلمة في وصف الرقص انه لا يختلط بحشد الراقصين .انهيستخدمالحفلةالراقصةفقط لجمعالشخصياتالارستقراطية الرئيسية مع بعضها وبيأس ، تتدخل النقـــد النقدي ليساعـــد **ويكمل** المؤلف ، ويقدم « وهمه »الخاص وصفا لاحداث الحفلة الراقصة الخ. اذا كان أوجين سو ، طبقا لاحكام النقد النقدي ، لا يهتم مباشرة بملاجيء المجرمين ولغتهمعندما يصفهم؛ فان الرقص من جهةاخرى،الذي لا يصفه **هو** وإنما ناقده الواسع المخلية يهمه بالضرورة بصورة لا متناهية

ولنتـــابـــع

فعلا إن سر الكياسة واللباقة الاجتماعيين ــ سر ذاكالشيء غير الطبيعي ــ هو التشوق للعـودة الى الطبيعة وهـــذا هو السبب في أن لظهور شخصية مثـــل سيسيلي في مجتمع مثقف أثـــرا مكهـــربا ويتوج بمثل هذا النجـــاح المنقطع النظير لقـــد ترعرعت أمة بيـــن الاماء ، من دون أي ثقافة والمصدر الوحيد للحياة الذي تعتمد عليه هو

طبيعتها وفجأة وقد انتقلت الى قصر بكل تقييداته وعاداته ، تتعلم فورا ان تسبر سر هذا القصر في هذا المجال الذي تستطيع دون شك ان تسيطر عليه لأن قوتها ، قوة طبيعتها تملك سحرا مغناطيسيا ، لابد لسيسيلي بالضرورة ان تضل فتفقد كل حس بالاتزان بينما من قبل ، عندما كانت لا تزال امة علمتها الطبيعة ذاتها ان تقاوم كل هراء من جانب السيد القوي وان تبقى مخلصة لحبها ان سيسيلي هي سر المجتمع المثقف المنفتح .إن المشاعر التي كانت تحتقرها تنتهي بأن تجرف كل مقاومة ، وتنطلق لا يكبح لها جماح الخ

إن قراء الهر زيليخا هؤلاء الذين لم تقرؤوا قصة أوجين سو سوف يعتقدون بالتأكيد ان سيسيلي هي لبوة الحفلة الراقصة التي نتحدث عنها ففي القصة تكون في معتقل الماني بينما يجري الرقص في باريس

سيسيلي ، كجارية تبقى مخلصة للطبيب الزنجي دافيد لانها تحبه « بشغف ولأن مالكها السيد ويلز فظ » في مغازلتها إن سبب انتقالها الى حياة فاسقة هو سبب بسيط فبسفرها الى العالم الاوروبي نراها « تخجل لكونها متزوجة من زنجي وبوصولها الى المانيا تفسق فجأة » على يد رجل شرير ويرجع دمها الهندي الى أصله وهذا ما يشعر أوجين سو المرائي ، في مصلحة الاخلاق الطيبة والمخالطة اللطيفة » ان من واجبه ان يصفه على انه « الانحراف الطبيعي

إن سر سيسيلي هو انها خلاسية وسر شهوانيتها هي حرارة المنطقة المدارية ويتغنى بارني بالخلاسية في ابياته الجميلة لاليانورو وفوق ذلك تخبرنا مئات القصص البحرية كم كانت خطيرة على البحارة

يخبرنا أوجين سو أن سيسيلي كانت تجسيدا للشهوانية الملتهبة التي تضرمها حرارة المناطق الاستوائية وكل امرىء يسمع بهؤلاء الفتيات الملونات اللواتي هن شؤم للاوروبيين بهؤلاء المغويات الساحرات

اللواتي سكرن ضحيتهن باغراءات مرعبة ولا يركن له شيئا سوى الدموع شربها والقلب بقتاته ، كما يقول المثل الريفي

لم يكن لسيسيلي مطلقا هذا التأثير **السحري** ، وبالضبط **على شعب** المجتمع **المتخم** المثقف الارستقراطي

يخبرنا اوجين سو لدى النساء اللواتي من طراز سيسيلي تأثير فورني قدرة سحرية على الرجال ذوي **الشهوانية الشديدة** امثال **جاك فيراند** .

منذ متى كان الرجال امثال جاك فيراند يمثلون المجتمع الراقي ؟ بيد ان **النقد** النقدي كان لا بد له ان يجعل من سيسيلي لحظة في عملية حياة السر المطلق

٤ ـ سر الأمثلة والتقوى

من المسلم به ان السر **كذلك** الذي في المجتمع المثقف يرتد من نقيضه الى الداخل **ومع ذلك فالمجتمع** العالي **لايزال** يملك حلقاته **الخاصة** التي يحافظ بها على مقدساته انه نوعاً ما مصلى من اجل قدس الاقداس **لكن** بالنسبة للناس في الباحة فان المصلى نفسه هو السر **لذلك** فالثقافة في وضعها المحدود هي نفسها بالنسبة للناس مثل السوقية بالنسبة للمثقف

من المسلم به ، ومع ذلك ، لا يزال ، نوعا ما ، ولكن ، لذلك ـ تلك هي الخطافات السحرية التي تجمع حلقات **سلسلة المحاكمة التأملية** وقد جعل الهر زيليغا **السر** يرتد من عالم المجرمين الى المجتمع الراقي والآن علينا ننشئ السر الذي يملك المجتمع الراقي وفقا له حلقاته **المقصورة عليه** التي اسرارها هي اسرار للشعب والى جانب الخطافات السحرية التي سبقت الاشارة اليها يتطلب هذا الانشاء **التحويل من حلقة الى مصلى**

والتحويل من مجتمعغير ارستقراطيآلى **باحة** امام ذلكالمصلى. ومرةاخرى، انهسر **بالنسبة** لباريس ان كل اجواء المجتمعالبورجوازيليستسوى **باحة** امام مصلى، المجتمع الراقي

إن للهر زيليخا هدفا مزدوجا أولا السر الذي أصبح مجسدا في الحلقة الحصرية **للمجتمع الراقي** ، يجب ان يعلن **« ملكية عامة للعالم »** . ثانيا **كاتب العدل جاك فيراند** يجب آن ينشأ كحلقة في حياة السر **وهاكم** الطريقة التي يفكر بها الهر زيليخا

« لا تستطيع الثقافة ان تجمع وان تجمع كل القطاعات والتشكيلات في حلقتها بعد **المسيحية والاخلاق** وحدهما تستطيعان ان **تؤسسا** المملكة العمومية على الارض

إن الهر زيليخا يوحد الثقافة والحضارة مع الثقافة **الارستقراطية** . **وهذا** هو السبب في آنه لا يفهم ان **الصناعة والتجارة** تؤسسان مملكتين عموميتين مختلفتين كل الاختلاف عن المسيحية والاخلاق الا وهما السعادة المنزلية ، والرخاء المدني ولكن كيف اتينا الى **كاتب العدل جاك فيراند** ؟ إن الامر بسيط للغاية

ان الهر زيليخا يحول **المسيحية الى** صفة **فردية** هي **«التقوى»** ويحول **الاخلاق** الى صفة**فردية** اخرى هي الامانة ويجمع هاتين الصفتين في فرد واحد يعمده ويسميه جاك فيراند لان جاك فيراند لا يملك هاتين الصفتين وانما يدعيهما فقط وهكذا يصبح جاك فيراند سر الامانة والتقوى إن وصيته من جهة اخرى هي سر الامانة والتقوى الظاهريتين » وليست بعد الآن الامانة والتقوى نفسيهما لو رغب النقد النقدي أن ينشيء هذه الوصية باعتبارها سرا فسوف يعلن ان الامانة والتقوى الظاهريتين هما سر هذه الوصية وليس على العكس ، اي ان الوصية هي سر الامانة والتقوى الظاهريتين .

اعتبرت كلية كتاب العدل في باريس جـــاك فيراند قدحا بحقهـــا ودبرت اخراجه من اجراءاتأسرار باريس لكن النقد النقدي ، مع انه يناظر ضد المملكة الهوائية للمفاهيم يرى في كاتب عـدل باريس ليس كاتب عدل باريس بل يرى فيه دينا واخلاقا وأمانة وتقوى. وكان على محاكمة كاتب العدل **ليون** ان تكون افضل تعليما إن الوضع الـذي اتخذه كاتب العدل في رواية أوجين سو متصل جدا مع وضعه الرسمي

كتاب العدل في المملكة المؤقتة كالكهنة في المملكة الروحية انهـــم مستودعات اسرارنا (مونتيل **تاريخ الفرنسيين في شتى الولايات** المجلد الاول صفحة ٣٧)

كاتب العدل هو المعرّف العلماني انه **متطهر** بحكم مهنته، و« الامانة » كما يقول شكسبير ليست « متطهرة انه في الوقت نفسه الوسط بالنسبة لكل المقاصد الممكنة انه المنظم لكل المخططات والمكائد المدنية

مع كاتب العدل فيراند ، الـــذي يقوم كـــل سره علـــى ريائـــه وحرفته ، لا يبدو اننا تقدمنا خطوة واحـــدة الى الامام بعد ولكـــن لنستمع

اذا كانت المراءاة بالنسبة الى كاتب العدل واعية تماما وبالنسبة الى مـــدام رولانـــد غريزيـــة فـــان بينهمـــا جمهور كبـــير من أولئك الذين لا يستطيعون ان يجدوا مفتاح السر ومع هـــذا شعرون برغبة ملحاحة في ان يفعلوا ذلك ولذا فليس الاعتقاد بالخرافات هو الذي نقود الكبير والصغير الى المسكن المعتم للدجال برادا مانتي (الابوليدوري)؛ انه البحث عن السر ليبرئوا انفسهم للعالم

الكبير والصغير يندفعون الى بوليدوري لا ليستنبطوا سرا محددا يبرئهم امام العالم اجمع ؛ وانما ليبحثوا عن سر بشكل عام السر، على انه ذات مطلقة من اجل ان يبرئوا انفسهم للعالم فكأن ذلك الذي يريد قطع الاخشاب لا يبحث عن الفأس ، وإنما عن الاداة **المجردة** .

كل الاسرار آلتي يملكها بوليدوري مقتصرة على وسائل للاجهاض او بسم للقتل ـ وفي نوبة تأملية يجعل الهر زيليخا القاتل يلجأ الى سم بوليدوري لأنه يريد الا يكون قاتلا بل أن يكون محترما ومحبوبا وشريفا كما لو أن القضية في امر القتل هي قضية احترام وحب وشرف ، وليست القضية قضية **رقبة** احد الاشخاص ولكن القاتل **النقدي** لا يقلق على رقبته . وانما يقلق على السر إن لم يقترف اي شخص جريمة القتل او لم تصبح المراة حاملا حملا غير شرعي فكيف يتسنى لبوليدوري أن يضع كل **شخص** في الملكية المرغوبة للسر ؟ الأرجح أن الهر زيليخا يخلط بين المشعوذ بوليدوري والاستاذ **بوليدوروس فرجيلوس،** الذي عاش في القرن السادس عشر والذي مع انه لم يكتشف اي سر ،حاول أن يصنع تاريخ اولئك الذين اكتشفوا الاسرار تاريخ أولئك **المخترعين** ، تاريخ الملكية العامة للعالم (انظر بوليدوري فيرجيلي (Liber de rerum imvertoribus, lugdumi M D ccvi)

السر ، السر المطلق كما جعل نفسه اخيرا الملكية العامة للعالم فانه لذلك يعتبر سر الاجهاض والتسمم السر لا يستطيع أن يجعل نفسه الملكية العامة للعالم بصورة اكثر من التحول الى الاسرار التي ليست اسرارا بالنسبة الى اي كان

٥ ـ السر هو سخرية

الآن يغدو السر ملكية عامة . سر العالم كله ، سر كل فرد إما انه فني أو غريزتي او انني استطيع شراءه كسلعة معروضة

ما هو السر الذي اصبح ملكية عامة للعالم ؟ السر الباطل في الدولة ، سر المجتمع المثقف سر السلع المغشوشة سر صناعة ماء الكولونيا او النقد النقدي ؟ ليس شيئا من كل هذا وإنما هو السر في تجريده ، إنه مقولة السر !

يرمي الهر زيليخا الى تقديم **الخدم والبواب بيبليت وزوجته** كتجسيد للسر المطلق انه يريد ان ننشىء خادم السر وبوابه فكيف يتصرف كي يخرج من **المقولة الصافية** الى « الخادم الذي ((**يتجسس على الباب المقفل**)) . كي يهبط من السر بوصفه ذاتاً مطلقة تحلق فوق سقف سماوات التجريد الى الطابق الارضي حيث كوخ البواب ؟

أولا يخضع الهر زيليخا مقولـة السر لعمليـة تأملية وعندما يصبح السر ، بواسطة وسائله للاجهاض والتسمم الملكية العامة للعالم ، فلن يكون

اذن بعد الآن شيئاً خفيفاً وعصياً في ذاته على الاطلاق ، وانمـا هو يخفي نفسه او الافضل (دائماالافضل) «انا اخفيه واجعله **عصياً**)) .

بهذا التحويل للسر المطلق من جوهر الى **مفهوم** . من المرحلة **الموضوعية** التي هو فيها اخفاء في ذاته . الى المرحلة **الذاتية** التي فيها يخفي ذاته ، او الافضل : لتي فيها انا أخفيه بهذا التحويل لا تكون قد سرنا خطوة واحـدة الى الامام بل على العكس يبدو أن الصعوبة تزداد لأن سرا مستقرا في راس الانسان أو صدره اصعب منالا واشد أخفاء من السر الموجود في اعماق المحيط هذا هو السبب في أن الهرزيليخا يسـاعد على الفور تقدمـه **التاملي بالاغاثة المباشرة** للتقدم **التجريبي**

((**انه خلف الابواب المقفلة**)) ـ اصـغ ـ اصغ مـن الآن فصاعدا » ــ من الآن فصاعدا يفرح السر ويختمر ويكتمل

يغير الهر زيليخا من الآن فصاعدا **الانا** التأملية للسر الى حقيقـة تجريبية جدا الى حقيقة **خشبية** جدا ــ الى باب

« مع ذاك » ــ اي مع الباب المغلق وليس مع التحول من الجوهـر

المغلق الى المفهوم ـ توجد **امكانية** الانصات ، واستراق السمع والتجسس عليــــه »

ليس الهر ريليخا هو الذي كشف « الســر » الــذي يمكن للمرء أن يسترق السمع اليه من خلف الابواب المغلقة يقول المثل الشعبي ان للحيطان آذانا ومن جهة اخرى فان مد شكل السر التأملي تماما هو انه فقط **«من الآن فصاعدا »** ، بعد الهبوط الى جحيم مخابىء المجرمين والصعود الـى **المجتمع** المثقف ، وبعد معجزات بوليدوري ، يمكن للاسرار ان تختمر **خلف** **الابواب** المقفلة وتسمع من **خلال** الابواب المغلقة وانه لسر نقدي عظيــم بقدر ما ان الابواب المقفلة هــي **ضرورة مقوليــة** لتفريــخ الاسرار ، وتخميرها واتمامها ـ كم من اسرار فرخت وتخمرت ونمت خلف العليق ـ وكذلك للتجسس عليهــا

بعد هذه المأثرة الحربية الديالكتيكية ، من الطبيعي ان ينتقل الهر زيليخا من **التجسس الى أسباب التجسس** وهنا يكشف لنا السر بأن **الابتهاج الماكر** هو السبب في التجسس وينتقل من الابتهاج الماكر الى اسباب **الابتهــاج الماكــر .**

يقول « كل امرىء يرغب في أن يكون افضل من الآخرين ، لانه لا يكتم سر بواعث أعماله الجيدة فقط ، وانما أعماله السيئة أيضا ، التي يحــاول ان يخفيها في ظلمة لا تسبر

ولكن الجملة يجب أن تثبت تمامــا كل امرىء لا يكتــم فقط سر بواعث اعماله الجيدة فقط ، وانما يحاول أن يخفي اعماله السيئــة في ظلمة لا تسبر ابدا لانه يرغب في أن يكون افضل من الآخرين

وهكذا يبدو أننا انتقلنا من **السر الذي يخفي نفســه** الى **الانا** التــي تنخفى من **الأنا** الى **الباب المغلق** ، من الباب المغلق الى **التجسس** ، من **التجسس** الى اسباب **التجسس** ، الابتهاج الماكر ، من **الابتهاج الماكر** الى

اسباب **الابتهاج الماكر** ، **الرغبـــة في ان يكون افضل مـــن الآخـــرين** وسنبتهج عاجلا حين نرى **الخادم** واقفا عند الباب المقفل لأن الرغبةالعامه في ان تكون افضل من الآخرين تقودنا مباشرة الى هذا ان كل امرىء يميل الى نبش اسرار الآخر ولا صعوبة في ان نتبع هذا بالملاحظـــه الذكية التالية

في هذا المجال يملك **الخدم أعظم** فرصة

ويقرأ الهر زيليخا المذكرات في ارشـــيف بوليس باريس مذكرات فيدوك **الكتاب الاسود** وامثال ذلك فيعرف أن **البوليس** في هذا المجال لا يزال يملك فرصة اكبر من الفرصة الكبرى التي يملكهـــا الخـــدم وانه يستخدم الخدم للخدمات المبتذلة فقط وانه لا يقف عند الابواب او حين يكون الاسياد في **الثياب الداخلية** بل **يـــزحف** تحت الاغطيـــة ليلتصق بجسدهـــم العـــاري علـــى شكل **المرأة العشيقة** او حتـــى زوجة شرعية وفي رواية اوجين سو يعتبر الجاسوس البوليسي « **براس روج** » واحدا من الشخصيات الرئيسية في القصة

ان ما يزعج الهر زيليخا من الآن فصاعدا ازعاجا كبيرا مـــن جانب الخدم هو انهم ليسوا نزيهين كفاية وان هذا **التحفظ** النقدي يقوده الى البواب **بيبايب وزوجته** .

ان وضع البواب من جهة أخرى يمنحه استقلالا نسبيا بحيث يصب سخرية طليقة نزيهة وان تكن مبتذلة وجارحة علـــى اسرار المنـــزل

اولا ان هذا البناء التأملي للبواب يصادف صعوبة كبرى اذ في عدة منازل في باريس يكون الخادم والبواب رجلا واحدا وهو نفسه لعدة مستأجرين

الوقائع التالية ستمكن القارىء من تكوين رأي عن الوهم النقـــدي بصدد وضع البواب غير المبالي والمستقل نسبيا والبواب في باريس هـــو ممثل مالك المنزل وجاسوسه وهو بشكل عام ، لا يتناول أجره من مالك المنزل بل من المستأجرين وبسبب هذا الوضع المتغلغل للبواب ، فانه غالبا

ما يجمع وظائف التجسس مــع واجباته الرسمية وابان الارهـــاب والامبراطورية وعودة الملكية كان البواب واحدا من العملاء الرئيسيين للبوليس السري فالجنرال فو ، على سبيل المثال ، كان مراقبا من قبل بوآبــه الذي حمل كل الرسائل المعنونة باسم الجنرال ليقرأها عميل البوليس الذي لا يبعد كثيرا عن البواب (انظر فردمان (la police dévoilée) ونتيجة ذلك اعتبر البواب » و البقال » من الاسماء المشينة ولهذا يلح البواب على أن يدعى الوكيل (Concierge)

وبما أن مدام بيبليت أوجين سو ابعد من أن تكون « غير مبالية » وغير مؤذية فانها على الفور تعش رودولف عندما تعطيه العملة التي صرفتهــا به ، وتزكي له المرابي غير الشريف الذي يعيش في المنزل وتصف له ريكوليت بأنها من معارفها ويمكن اعتبارها مقبولة » انها تعذب الجنرال لانــه يدفع لها أجرا سيئا ويساومها ــ وتدعوه في سورة غيظها ب «ميجر القرشين» ــ « سيعلمك ذلك ان تدفع اثني عشر فرنكا في الشهر لمدبرة منزلك » ــ ولانه « حقير الى حد انه يمارس التفتيش والمراقبة على ما لديه مــن حطب الموقد الخ انها نفسها تقدم اسباب سلوكها «المستقل»: آلميجر يدفع لها فقط اثني عشر فرنكا في الشر

أما انستاسيا بيبليب الهر زيليخا فانها تعلن ، بطريقة ما ، حربــا مستمرة عــلى الســر

ويجعل أوجين سو من انستاسيا بيبليب البوابة الباريسية النموذجية.

انه يريد « ان يجعل البوابة التي رسمها هنري مونييه بأستاذيــة شخصية مسرحية». ولكن الهر زيليخا يشعر باضطراره الى تحويل احدى صفاتها ــ **وهي النميمة** ــ الى كائن منفصل وعندئذ يجعل مــدام بيبليت ممثلـــة لذاك الكـائن

يتابع الهر زيليخا « الزوج البواب الفريد بيبليب ، يساعدها ولكن بحظ ضئيــل » .

وحتى يعزيه الهر زيليخاعن هذا الحظ السيء يجعله **مجازا** أنه يمثل الجانب الموضوعي للسر « **السر باعتباره سخريـة** » .

السر الذي يدحره هو سخرية لعبة مثلت عليه

في الحقيقة ان الديالكتيك الالهي في رحمته غـــير المحـــدودة يجعل الرجـل العجـوز التعيس السخيف « **رجـلا قويـا** » **بالمعنى** الميتافيزيكي ، بتقديمه على انه لحظة جديرة جدا ، ولحظة سعيدة جدا ، ولحظه حاسمة جدا في عملية حياة السر المطلق ان الانتصار على بيبليت هـو اندحار كبير للسر ان رجلا أحد ذكاء وأكثر شجاعة لا يسمـــح نفسه أن يخدع بنكتــــة »

٦ – القمريـة (ريكوليت)

لا تزال ثمة خطوة واحدة باقية فالسر **خلال عاقبته الخاصة** ، كما رأينا في بيبليت وكابريون ملزم باذلال نفسه الى اضحوكة خالصة والشيء **الوحيد** الضروري **الآن** هو ان المرء لن يقبل بعد الآن ان يمثل هذه الملهاة البلهاء **فالقمرية*** تتخذ تلك الخطوة ببراءة لا تفوقها براءة

ان أي امرىء يمكنه أن يرى في خلال دقيقتين سر هذه الاضحوكة التاملية وتعلم تطبيقه بنفسه وسوف نقدم تعليمات مختصرة في هذا المجال

المسالة : عليك ان تبرهن لي كيف يصبح الانسان سيدا على الوحوش

الحل التأملي لدينا نصف دزينة من الحيوانات كالأسد وسمك القرن والافعى والثور والحصان والكلب نجرد من هذه الحيوانـــات الستة مقولة الحيوان ثم نتخيل الحيوان كائنا مستقـلا ونعتبـر الاسد ، القرش الافعى الخ أقنعة أو تجسيدات لـ الحيـوان وكما جعلت من خيالك ، اي « حيوان تجريدك » كائنا حقيقيا ، اجعل الآن

★ نوع من الحمام حسن الصوت ، وهو معنى اسم ريكولبت . (المترجم)

الحيوانات الحقيقية كائنات من تجريد خيالك وانت ترى أن «الحيوان» الذي في **الاسد** يمزق الانسان اربا ، والذي في **القرش** يبتلعــه ، والذي في **الافعى** يلدغه بسمه ، والذي في **الثور** ينطحه بقرنيه ، والذي في **الحصــان** برفسه ، لا يفعل سوى النباح في وجهه حين يمثل في صورة **الكلب** ، ويرجع الحرب ضد الانسان الى مسخرة فقط . ان الحب في ذاته قد اذل نفسه بفعل منطقه الخاص ، كما رأينا في حالة الكلب ، الى مجرد **ماجن** وعندمـــا **يهرب صبي** او رجل سخيف من كلب فان الشيء الوحيد بالنسبة للمرء **هو الا يقبل** باستمرار تمثيل هــذه الملهاة البلهــاء فالفـــرد س) **يتخذ هــذه الخطوة** بأعظم طريقة متزنـــة في العـــالم باستخـدام عصا البامبو للكلب فانت ترى كيف ان «الانسان» من خلال وكالة الفرد (س) والكلب قد أصبح سيدا على « الحيوان وبالتالي على الحيوانات وبتغلبه على **« الحيوان » بوصفه كلبا ،** يتغلب على **الاسد ك « حيوان » .**

وبالمثل فان قمرية الهر زيليخا تهزم سر نظام العالم الحالي من خلال تدخل بيبليت وكابريون والاكثر من ذلك انها هي نفسها تظاهرة لمقولة السر

انها هي نفسها لا تعي قيمتها الاخلاقية الرفيعة ولذلك فانهـــا لا تزال سر بالنسبة لنفسها »

ان اوجين سو يجعل مورف يكشف سر ريكوليت **غير** التأملية **انها فتاة عاملة** جميلة جدا وقد وصف فيهـــا اوجين سو الشخصية الاسانيـــة المحببـــة للفتـــاة الشعبيـــة الباريسية ان اخـــلاص اوجيـــن سو للطبقـــة البورجوازيـــة وحبـــه الشخصي الخـــاص للمبالغـــة دفعـــاه الـــى جعل الفتـــاة العاملة مثالية من **الناحيــة الخلقيــة .** انـــه لم يحجم عـــن تلطيف بواعـث وضعها في الحيـــاة وشخصيتها ، واذا اردنا الدقـــة احتقارها لشكل الزواج وتعلقهـــا الساذج بالطالب الشاب او بالعامـــل وفي ذاك التعلق بالضبط تشكل تباينا بشريا حقيقيا مع الزوجة البورجوازية الانانية ، البخيلة، البورجوازية

الباحثة عـــن ذاتها المضجرة المرائية ، مع الدائـــرة البورجوازية ، اي الدائرة الرسمية

٧ ـ النظام العالمي لاسرار باريس

عالم السر هذا هو **الآن** نظام عالمي عام ينتقل اليه العمـــق الفردي لاســرار باريـــس »

على اي حال قبل ان يمضي الهر زيليخا الى التوليـــد **الفلسفي** للحدث الملحمي ، عليه ان يجمع في لوحة شاملة المسودات التي رسمها على الورق من قبل بشكل منفصل

يجب أن يعتبر اعترافا حقيقيا ، انكشافا لسر الهر زيليخا النقدي عندما يقول انه يرغب في الاتجاه الى « التوليد الفلسفي للحدث الملحمي. فحتى الآن لم يفعل سوى ان يولد فلسفيا » النظام العالمي

ويتابع الهر زيليخـا اعترافـه

يبدو من عرضنا ان الاسرار الفردية التي نعالجها لا تملك قيمـــة بحد ذاتها ، كل سر منفصل عن الاسرار الاخرى ، وهي ليست في حال من الاحوال بدعا رائعا للقيل والقال ان قيمتها تقوم في تكوينهـــا لسلسلة متفرعة بصورة عضوية يشكل مجموعها السر

والهر زيليخا في نوبة اخلاصه لا يزال يوغل أكثـــر فأكثر فهـــو يوافق ان «**النتيجة التاملية** » ليست هي النتيجة **الحقيقيـــة** ، لروايـــة **أســرار باريـــس** .

لنسلم أن الاسرار لا تظهر في ملحمتنا بعلاقتها بهـــذه **النتيجـــة الواعية ذاتيا** (بسعر الكلفة ؟) ولكننا لا نتعامل مع **العضوية الحرة** ، **الواضحة** ، **المنطقية للنقد** وانما مع الوجود « السري البليد

سوف نتغاضى عن خلاصة الهر زيليخا وننتقل مباشرة الى النقطة التي هي نقطة « التحول فنرى في بيبليت « الهزء الذاتي للسر « في الهزء الذاتي يدين السر نفسه ومن اجل ذلك فـاس الاسرار ، وقد ذوبت نفسها في نتيجتها الاخيرة تتحدى داعية كل شخصية موية الى امتحان مستقل

رودولف امير جيرولد شتاين ، رجل النقد الخالص قدر عليه أن ينفذ ذاك الامتحان و يفضح الاسرار

لو تعاملنا مع رودولف ومآثره في وقت لاحق فقط بعد أن نترك الهر زيليخا لبعض الوقت ، لامكن التنبؤ مسبقا ، ويستطيع القارىء الى حد ما أن يشكل فكرة ويستطيع أن يحرز بتعقله ، أنه عوضا عن جعله « كائنا بليداً تقريبا كما هو في الصحيفة الادبية النقدية ، سوف يجعلـه حلقة حرة ، واضحة ، منطقية » في « عضوية النقد النقدي »

الفصل السادس
النقد النقدي المطلق
أو
النقد النقدي في شخص الهر برونو

١ ــ الحملة الاولى للنقد المطلق

آ) « **الروح** » و « **الجمهور** » :

حتى الآن يبدو النقد النقدي انه يعالج اكثر او اقل الاعداد النقدي لموضوعات **جماهيرية** شتى والآن نجده يعالج الموضوع النقدي المطلق **نفسه** حتى الآن اكتسب الشهرة **النسبية** من الاذلال النقدي ورفض وتحويل بعض الاشخاص والموضوعات الجماهيرية انه الآن يحصل على شهرته **المطلقة** من الاذلال النقدي ورفض وتحويل الجمهور بشكل عام لقد قوبل النقد النسبي بالحدود النسبية وقوبل النقد المطلق بالحد المطلق ، حد الجماهير ، الجماهير كحد والنقد النسبي في معارضته للحدود الضيقة كان هو نفسه بالضرورة فردا محدوداً النقد المطلق في معارضته للحد العام ، للحد بشكل عام ، هو بالضرورة فرد **مطلق** وكما ان الموضوعات الجماهيرية المختلفة والاشخاص الجماهيريين قد اندمجوا في الطينة الفاسدة لـ « الجماهير » ، كذلك يتراءى أن النقد الموضوعي والشخصي تحول الى «نقد خالص حتى الآن ظهر النقد تقريبا ، وكأنه صفة للافراد النقديين ، امثال بشارد وادغار ونوشر الخ الآن هو **ذات** والهر برونو يجسده

حتى الآن بدت **الجماهيرية** تقريبا صفة للموضوعات والاشخاص

المسعدين ، الآن غدت الموضوعات والاشخاص حمهورا و الجمهور اصبح اشخاصا وموضوعات كل المواقف النقدية السابقة كانت قد انحلت في موقف الحكمة النقدية المطلقة الى غباء جماهيري ومطلق نظهر هذا **الموقف الاساسي كمعنى ، واتجاه ، ومفتاح سر** للاعمال والصراعات النقدية السابقة

وتمشيا مع شخصيته **المطلقة** ، سوف يعلن النقد الخالص حالما نظهر شعاره المميز ، ورغم ذلك لا بدَّ له بوصفه الـروح المطلقة ، ان يمر خلال عملية دىالكتيكية وفي نهاية حركته السماوية فقط سوف يتحقق فعلا مفهومه الاصلي انظر الانسيكلوبيديا لهيعل)

ويعلن النقد المطلق لكن لخضع شهور مضت آمن الجمهور نه قوة عملاقة مقدر لها السيطرة العالمية في وقت يستطيع ان يعده على أصابعه »

به الهر **برونوبوير** في كتابه القضية المثلى للحرية قضيته الخاصة طبعا) ، وفي كتابه **المسألة اليهودية** ، وهلمجرا هو الذي عد على اصابعه الزمن الذي سبق الوصول الى السيادة العالمية ، مع انه يوافق على ان ليس في مقدوره تحديد التاريخ الدقيق فيضيف الى سجل أخطاء الجمهور خطيئته الخاصة

ظن الجمهور نفسه انه يحوز حقائق عدة تبدو له واضحة ولكن المرء لا يحوز **حقيقة** بصورة تامة الا عندما يتتبعها من خلال اثباتاتها ».

الحقيقة بالنسبة للهر بوير كما بالنسبة لهيعل هي **انسان اوتوماتيكي** (Automaton) شبت نفسه والانسان يجب ان **يتبعه** . ولتيجةالتطور الحقيقية ، كما عند هيغل،ليست شيئا غير **الحقيقة المثبتة**، اي الحقيقة التي تعي ذاتها ولذلك يمكن للنقد **المطلق** ان يسأل مع اكثر اللاهوتيين ضيقا

« **ماذا** سيكون **هدف التاريخ** ان لم تكن مهمته اثبات تلك الحقائق بالضبط ، اي بسط الحقائق جميعا (مثل حركة الارض حول الشمس) » ؟

تماما كما هو بالنسبة للغائيين القدماء أن النبات وجد ليأكله الحيوان، والحيوان وجد ليأكله الانسان فالتاريخ يوجد ليستخدم باعتباره عمل استهلاك للتغذية النظرية – الاثبات والانسان يوجد كيما يمكن للتاريخ ان يوجد والتاريخ يوجد كيما يمكن **اثبات الحقائق** ان يوجد . وفي ذلك الشكل المبتذل **نقديا** نجد تكرارا للحكمة التأملية القائلة إن الانسان يوجد والتاريخ يوجد كيما يمكن للحقيقة ان تعي نفسها

وهذا هو السبب في ان **التاريخ** ، مثل **الحقيقة** يصبح شخصاً متنحيا يصبح موضوعا ميتافيزيكيا لا يمكن لافراد البشر الحقيقيين الا ان يكونوا من حملته وهذا هو السبب في أن النقد المطلق يستخدم تعبيرات مثل هذه التعبيرات التالية

لن يكون **التاريخ** أضحوكة... **التاريخ** يمارس مساعيه الكبرى... التاريخ منهمك ما هو غرض التاريخ ؟ التاريخ يمد بالدليل الساطع ، التاريخ يفترض الحقائق الخ

لو ان التاريخ ، كما يؤكد النقد المطلق ، لم ينشغل حتى الآن الا بمثل هذه الحقائق البسيطة القليلة – ابسط الحقائق – التي هي في النهاية واضحة ذاتيا فان هذا القصور الذي اليه انحدرت التجارب البشرية السابقة يقيم الدليل اولا وقبل كل شيء على العجز **الخاص للنقد المطلق فقط** إن نتيجة التاريخ ، من وجهة نظر غير نقدية ، على العكس ، تقوم على ان الحقيقة الاشد تعقيداً وجوهر كل حقيقة – وهو الانسان – يفهم نفسه في النهاية بنفسه

ويتابع النقد المطلق جداله ولكن الحقائق التي تتراءى الجمهور انها صافية كالبلور بحيث تكون مفهومة من تلقاء ذاتها **من البداية**... وان الجمهور

يعتبر انه لا حاجة للبرهان عليها ، لا تستحق ان يقدم التاريخ دليلا واضحا عليها ، انها لا تشكل اي جزء في القضية التي ينشغل التاريخ في حلها

ان النقد المطلق في حماسته المقدسة ضد الجمهور تملقه بطريقة مهذبة جدا لو ان الحقيقة صافية كالبلور لانها تتراءى صافية كالبلور للجمهور ، لو ان موقف التاريخ من الحقائق يتوقف على رأي الجمهور ، فان رأي الجمهور يكون مطلقا لا يخطىء ، وهو قانون للتاريخ ، والتاريخ يثبت فقط ما لا يعتبره الجمهور صفاء بلوريا ، اي ما يحتاج الى دليل ولذلك فان الجمهور هو الذي يعين مهمة » التاريخ و شغله

يتحدث النقد المطلق عن الحقائق التي تفهم بذاتها من البداية » وفي سذاجته النقدية يخترع من البداية مطلقة وجمهورا مجردا ثابتا ثمة اختلاف بسيط تماما في عيني النقد ، بين « من بداية » جمهور القرن السادس عشر و من بداية » جمهور القرن التاسع عشر ، الاختلاف الذي بين هذه الجماهير انفسها انها بالضبط صفة للحقيقة التي اصبحت حقيقية و واضحة و مفهومة من تلقاء ذاتها انها مفهومة بذاتها من البداية وجدل النقد المطلق ضد الحقائق التي تفهم بذاتها من البداية هو جدل ضد الحقائق التي بشكل عام ، «تفهم بذاتها

ان حقيقة تفهم بذاتها تفقد ملحها ، تفقد معناها ، تفقد قيمتها امام النقد المطلق ، كما تفقد قيمتها أمام الديالكتيك المقدس انها تصبح ممجوجة كالماء الاسن ولذا فان النقد المطلق يثبت من جهة كل شيء يفهم بذاته ، والى جانب ذلك ، يثبت عدة أشياء أسعدها الحظ في ان تكون مبهمة ولذلك لن تكون مفهومة بذاتها ومن جهة أخرى انه يعتبر مفهوما بذاته كل شيء يحتاج الى دليل ما لماذا ؟ لانه من المفهوم بذاته ان القضايا الحقيقية ليست مفهومة بذاتها

لما كانت « الحقيقة » ، كالتاريخ ، هي موضوع اثيري منفصل عن الجمهور المادي ، فانها تتوجه ليس الى الانسان التجريبي ، بل الى «اعمق اعماق

النفس » ، وحتى تكون مفهومة حقا » لن تفعل في جسده المبتذل الذي يحيا **في** احشاء قبو انكليزي او في غرفة غسيل فرنسية على سطح عمارة شاهقة ؛ انه « يتثاقل عبر امعائه المثالية ان النقد المطلق شهد بأن « الجمهور » قد تأثر حتى الآن بطريقته الخاصة ، اي السطحية، بالحقائق التي كان التاريخ كريما ب اقتراحها و لكن في الوقت نفسه يتنبأ ان **موقف الجمهور من التقدم التاريخي سوف يتغير تغيرا كاملا »** .

ولن يطول الوقت بنا قبل أن يكون المعنى السري لهذه النبوءةالنقدية واضحا لنا « كصفاء البلور

ويقال لنا ان « كل الافعال العظيمة للتاريخ السابق كانت فاشلة **من البداية** وليس لها اي نجاح فعال لان الجمهور أصبح **مهتما** بها ، ومتحمسا لها ؛ وبكلمة أخرى ، انها كانت تنتهي نهاية محزنة لان الفكرة فيها كانت بحيث تكتفي بفهم سطحي وبالتالي تعتمد على استحسان الجمهور » .

بيد أن الفهم يكف عن ان يكون سطحيا عندما يكفي فكرة ويقابل فكرة . انه من اجل **المظهر** وحده ينشيء برونو **علاقة** بين **الفكرة وفهمها** . كما لو انه من اجل **المظهر** وحده ينشيء **علاقة** بين **العمل** التاريخي الفاشل **والجمهور** ولذلك فلو أن النقد المطلق يدين شيئا ما لكونه « سطحيا » ، فانه بكل بساطة التاريخ السابق الذي كانت افعاله وافكاره افعالا وأفكاراً لـ « الجماهير » ؛ انه يرفض التاريخ **الجماهيري** ليستعيض عنه بالتاريخ **النقدي** (انظر الهر جول فوشر في القضايا الانكليزية المعاصرة) وطبقا للتاريخ **غير النقدي** السابق ، أي التاريخ غير المفهوم بحسب معنى النقد المطلق ، يجب ان نميز بدقة اكثر الى اي مدى كان الجمهور معنياً بالاهداف والى اي حد كان متحمسا لها ان الفكرة دائما تشين نفسها بقدر ما تختلف عن «المصلحة» ومن جهة اخرى من السهل ان نفهم ان كل «مصلحة» جماهيرية تؤكد ذاتها تاريخيا تتخطى

حدودها الحقيقية في الفكرة أو التخيل عندما تخرج أولا الى المسرح وتختلط بالمصلحة **البشرية** بشكل عام هذا الوهم شكل ما يسميه **فورييه «طابع»** كل مرحلة تاريخية إن مصلحة البرجوازية في ثورة ١٧٨٩ وهي ابعد من أن تكون اخفاقا ربحت كل شيء وحققت «نجاحا فعالا» مهما تبخرت «حميتها» وذبلت ازهارها «الحماسية» التي زينت مهدها لقد كانت تلك **المصلحة** من القوة بحيث حطمت قلم مارات ومقصلة عهد الارهاب وسيف نابليون كما حطمت صليب آل بوربون ودمهم الأزرق إن الثورة كانت فشلا فقط بالنسبة للجمهور الذي لم يجد في الفكرة **السياسية** فكرة مصلحته الحقيقية والذي يتطابق بالتالي مبدؤه الحياتي العقلي مع المبدأ الحياتي للثورة الجمهور الذي كانت ظروفه الحقيقية للتحرر تختلف اختلافا جوهريا عن الظروف التي فيها استطاعت البرجوازية ان تحرر نفسها وتحرر المجتمع لو أن الثورة التي تستطيع أن تمثل كل «الافعال» التاريخية العظيمة كانت فاشلة فان ذلك يرجع الى أن الجمهور الذي لم تتخط ظروفه الحياتية بصورة جوهرية قد كان جمهورا **محدودا** و**محصورا**، ولم يكن جمهورا شموليا . وفشلها لايعني انها اثارت «**حماسة**» الجمهور و مصلحته بل يعني ان الجزء الاكبر من الجمهور، الجزء الاكثر اختلافا عن البرجوازية لم يجد مصلحته **الحقيقية** في مبدأ الثورة ولم يكن يملك مبداه الثوري **الخاص** بل «**فكرة**» فقط ولهذا بقيت موضوعا **للحماسة** العابرة والتمجيد الظاهري فقط

ومع عمق الفعل التاريخي يتضخم الجمهور الذي يكون هذا الفعل ولكن في التاريخ النقدي ، الذي يرى ان المسألة في الافعال التاريخية ليست هي مسألة الجمهور الفعال ، مسألة العمل التجريبي ، او **المصلحة** التجريبية للفعل ، بل يراها لا تعدو كونها اكثر من مسألة «**فكرة**» فقط . . . فان . . يجب ان تحصل بصورة مغايرة .

يعلمنا النقد انه « **في الجمهور ، وليس في أي مكان آخـر** ، كما آمن نطقه الليبرالي السابق، . . . **في الجمهور يصادف العدو الحقيقي للروح** ».

ان اعداء التقدم **خارج** الجمهور هم بالضبط **منتجات الانحطاط الذاتي والنبذ الذاتي والاغتراب الذاتي للجمهور** التي وهبت كيانا مستقلا وحياة **خاصة** ولذلك فان الجمهور يثور ضد قصوره **الخاص** عندما يثور ضد **المنتجات** المستقلة الوجـــود **لانحطاطه** الذاتـــي ، بالضبط كمـــا ان الانســـان ، حيـــن ينقلـــب ضـــد وجـــود الآلـــة ، ينقلب ضد **ديانته الخاصة** ولكن بما أن الاغترابات العملية للجمهـــور في العـــالم الحقيقي توجد بطريقـــة خارجية فان على الجمهـــور أن يكافحها بطريقة **خارجية** عليه أن يعتبر منتوجات اغترابه تلـــك اوهاما مثاليـــة فقط ، **اغتراب الوعي الذاتي** فحسب ، ويجب الا يرغب في القضاء على الاغترابات المادية بواسطة **فعل روحي داخلي مجرد** كما قـــدمت صحيفة لوستالوت في ١٧٨٩ الشعار التالي

يبدو الكبير كبيرا في اعيننا .
لاننا نركع فقط .
الا فلننهض

ولكن حتى ننهض لا يكفي أن ننهض **في الفكر** وفـــوق راسنا **الحسي الحقيقي** يبقى النير **الحسي الحقيقي** الذي لا يمكن رفعه بالافكار ، ومع أن **النقد المطلق** تعلم من **فينومينولوجيا** هيغل ، على الاقل ، فن تغيير الحلقات **الموضوعية الحقيقية** التي توجد **خارجا عني** الى **فكرة مثالية** صرفة ، الى حلقات **ذاتية** توجد في داخلي فقط ، وبذلك ان يحول كل الصراعات **الخارجية** الحسية الى صراعات صرفة للفكرة

وعلى هذا التحويل النقدي اقيم **الانسجام الموطـد مسبقا** بين **النقد النقدي ومراقبة المطبوعات** ان كفاح الكاتب ضد رقيب المطبوعات ليس، من وجهة النظر النقدية ، كفـاح « انسان ضـــد انسان » . ليس الرقيب

سوى **لباقتي الخاصة وقد تمثل لي** في الشرطة المعنية بي لباقتي الخاصة **المناضلة** ضد عدم لباقتي وضد عدم نقدتي إن نضال الكاتب مـــع **الرقيب** انما هو ظاهري فقط ، في نظر الشهوانية الشريرة فقط شيء آخر ســـوى نضـــال **داخلـــي** للكاتب مع **نفسه** وبقدر ما نكون المراقب **فرديـــا حقيقيا مختلفـــا** عني **ضابط شرطـــة** يسيء معاملة انتـــاج فكـــري بتطبيق مقيـــاس خـــارجـــي لا يقـــدم ولا يؤخر في أمـــر القضية ، فهو ليس سوى تخيل **جماهيري** ، ليس سوى **كساء غير نقدي** للدماغ عندما سمح المراقب بطبع كتاب فيورباخ **اطروحات في اصلاح الفلسفة »** فان اللوم لا نقع على البربرية الرسمية للمراقب ، بل على حاجة **اطروحات** فيورباخ للتهذيب ان النقد الصافي ، غير الملـــوث بالجمهور او المادة ، يجـــد أيضا في المـــراقب شكـــلا أثيريا ، خاليـــا من اي حقيقة جماهـــيرية

اعلن النقد **المطلق** ان الجمهور هو **العدو الحقيقي** للروح وهذا ما يشرحه كالتالي

ان الروح تعرف الآن اين **تبحث عن عدوها** الوحيد ــ انهـــا تبحث عنه في الفساد الذاتي للجمهور وبلادته

ينطلق النقد المطلق من **عقيدة** الكفاءة المطلقة الروح واكثر من **ذلك** ، انه ينطلق من **عقيدة** تؤمن بوجود **الـــروح وراء العالم المـــادي** أي وجودها خارج جمهور البشرية واخيرا يحول الروح التقدم »من **جهة** و الجمهور من جهـــة أخرى الـــى كائنات **ثابتة** الى مفاهيـــم ويربطها الواحد مع الآخر فيذاك الشكل على انها حدود ثابتة ومقررة . ولا يكلف النقد المطلق نفسه مشقة التحري عن الروح نفسها فيما اذا لم تكن طبيعتها الروحانية الخاصة ادعاءاتها الهوائية هي التي تبرر العبادة و « **الفساد الذاتي** و البلادة » ان الروح على العكس مطلقة ، ولكنها لسوء الحظ تنحدر باستمرار ، في الوقت ذاته ، الى **فقدان الروحانية** ، انها

تحسب باستمرار دون السيد ولهذا يجب ان يكون لها بالضرورة **عدو** يتآمر ضدها وذاك **العدو** هو الجمهور

والوضع نفسه مع التقدم فرغم ادعاءات التقدم نلاحظ **التقهقر المستمر والحركات الدائرية** ودون ان يشك في ان مقولة **«التقدم»** خاوية من كل مضمون وهي مقولة مجردة، فان النقد المطلق نافذ البصيرة بحيث يقر بأن «التقدم» مطلق فيشرح الانحطاط بافتراض وجود عدو شخصي للتقدم وهذا العدو الشخصي هو الجمهور وبما أن الجمهور ليس سوى نقيض الروح ، نقيض «التقدم» نقيض «النقد» فانه يمكن أن يحدد فقط بالتناقض الخيالي أما خارج ذاك التناقض فليس لدى النقد شيء نقوله عن معنى الجمهور **ووجوده الا أنهما ما لا معنى له** ، لأنه غير محدد مطلقا

الجمهور بالمعنى الذي تتضمن الكلمة به ايضا **ما يسمى** العالم المثقف

أيضا و ما يسمى كافيتان لتعريف الكلمة تعريفا نقديا لذلك يتميز الجمهور عن الجماهير **الحقيقية** ، ويوجد فقط ك**«جمهور»** من أجل النقد

ان كل الكتاب الشيوعيين والاشتراكيين انطلقوا من ملاحظة أننا من جهة ، نجد الاعمال الرائعة تبدو وكأنها بلا نتائج رائعة وكأنها تنتهي بتفاهات ومن جهة أخرى كل تقدم **الروح** حتى الآن هو **تقدم ضد جمهور البشرية** وهذا يدفع الجمهور الى حالة من الانحطاط الانساني انهم يعلنون **« التقدم »** (انظر فورييه على انه **جملة** مجردة غير ملائمة ؛لقد فرضوا (انظر أوين من بين الآخرين صدعا أساسيا في العالم المتمدن وهذا هو السبب في أنهم يخضعون الاسس **الحقيقية** للمجتمع المعاصر **لنقد حاد** . والى هذا النقد الشيوعي انسجم على الفور انسجاما عمليا حركة **الجمهور الكبير** الذي تطور التاريخ ضده حتى الآن . ان المرء يجب

ان سعرف على حب الدراسة ، والتوق الى المعرفــة ، والطاقــة الاخلاقية والرغبة التي لا تكل في التطور عند العمـــال الفرنسيين والانكليز ليكون قادرا على تكوين فكره عن السالة **الانسانية** لتلك الحركة

كم من **العمق** غير المحدود يجب ان يملكه النقد المطلق» حتى لا يكون له حيال تلك الوقائع الفكرية والعملية ، سوى مفهوم احادي الجانب **للمظهر الواحد** من العلاقة ــ الفرق المستمر للروح ــ ويبحث مطولا ، وقد اضطرب لهذا الامر ، للعثور على **عدو** للروح فيجده في الجمهور وفي خاتمة مطاف كل هذا **الاكتشاف** النقدي العظيم ينتهي الى **الحشو الفارغ . فالروح**، حسب رأي النقد ، تملك حتى الآن حدا، او عقبة، وبكلمة اخرى . **عدوا** لأنه قد كان لها **عدو** من هو اذن عدو الروح ؟ انه **اللاروحية** . امــا بالنسبة للجمهور فانه يعرف بأنه نقيض الروح فقط ، على انه **اللاروحية** ، او اذا اخذنا تعريفات اكثر دقة من اللاروحية ، على انه «الكسل» و«السطحية» و القناعة **الذاتية** فيا للميزة الاساسية على الكتاب الشيوعين ، هذه الميزة التي تقوم في ارجاع اللاروحية والكسل والسطحية والقناعة الذاتية الى نشأتهم ، بل وسمهم **اخلاقيا** وفضحهم على انهم نقيض الروح ونقيض التقدم اذا كانت هذه الصفات قد نودي بها على انها صفات «الجمهور». على انها صفات **ذات** مميزة بعد عنها فان ذلـــك التمييز ليس سوى المظهر النقدي للتمييز في **المظهر** فقط نملك النقد موضوعا حسيا **محددا** الى جانب صفات معنوية من اللاروحية الكسل الخ لان «الجمهور» في المفهوم النقدي ليس **شيئا** سوى تلـك الصفات المجردة ، انه **كلمـة** أخرى لها ، انه **تشخيص** وهمي لها

وفي اثناء ذلـك لا تزال العلاقــة بين الــروح والجمهور معنى مستقرا سوف يتكشف تماما في مجرى المحاكمة اننا نسير اليها هنا اشارة فقط . العلاقة التي اكتشفها الهر برونو ليست، في الواقع ، سوى **تحقيق نقدي كاريكاتوري لمفهوم هيغل عن التاريخ** ، وهذا المفهوم بدوره ليس سوى

تعبير **تأملي** للعقيدة المسيحية ــ الالمانية عن التعارض بين **الروح والمادة** ، بين **الله والعالم** وهذا التعارض يبدو في التاريخ في العالم الفعلي للانسان في **أفراد** قلائل مختارين يعارضون باعتبارهم الروح **الفعال** بقية الجنس البشري باعتبار هذه البقية **جمهورا** لا روح فيه ، باعتبارها مادة

يفترض مفهوم هيغل عن التاريخ روحا **مجردة او مطلقة** تتطور بطريقة لا تعتبر الانسانية الا **جمهورا** يحملها بدرجات متفاوتة من الوعي او اللاوعي وبذلك يطور هيغل في داخل التاريخ **التجريبي** الخارجي ، تاريخا سريا ، تأمليا وهكذا يصبح تاريخ البشرية تاريخا للروح المجردة للبشرية، هذه الروح التي تقف وراء كل انسان

وفي موازاة مذهب هيغل تطور في فرنسا مذهب جماعة المذهبيين »* الذين اعلنوا **سيادة الفكر** ليعارضوا **سيادة الشعب** ، ليتسنى لهم ابعاد الجماهير والانفراد بالحكم

وهذا منطق متماسك تماما فاذا لم تكن فاعلية البشرية **الواقعية** سوى فاعلية **جمهور** من أفراد البشر فان **الكليــة المجردة** ، أي الفكر أو الروح ، يجب أن تكون بالمقابل تعبيرا مجردا محصورا بأفراد قلائل وعندئذ يتوقف على كل فرد حسب وضعه وقوته التخيلية ما اذا كان سيعتبر ممثلا لتلك « الروح

عند **هيغل** تعامل **الروح المطلقة** للتاريخ **الجمهور** مسبقا على انه شيء مادي ، وتجد تعبيرها الحقيقي في **الفلسفة** فقط والفيلسوف بالنسبة لهيغل هو العضو الوحيد الذي عن طريقه يصل خالق التاريخ او الروح المطلقة ، الى الوعي الذاتي بواسطة العودة بالفكر الى الوراء (Retrospection)

★ هم فئة فوضوية دستورية ، وهذا مايميزهم عن الفوضويين الذين لايؤمنون بالدستور وقد ظهروا في فرنسا خلال فترة الاصلاح بيد أن مذهبهم لم يشتهر كمذهب هيغل فسرعان ماعصف به التطورات . (المترجم)

بعد أن تنتهي الحركة ومشاركة الفيلسوف في التاريخ تتدنى الى الوعي **الاستعادي** ، لان الحركة الواقعية تحققت بواسطة الروح المطلقة بصورة لا شعورية بحيث يظهر الفيلسوف بعد فوات الاوان (Port Festum)

لقد ارتكب هيغل تهافتا مزدوجا اولا لانـــه اذ يعلن ان الفلسفة **تشكل** وجود الروح المطلقة ،يرفض الاعتراف بـ **«الفرد الفلسفي الحقيقي»** عى انه الروح **المطلقة** ؛ ثانيا لان الروح المطلقة ، طبقا له تصنع التاريخ في **المظهر** فقط اذ بما أن الروح المطلقة تصبح **واعية لذاتها** ، كـروح **العالم الخلاقة** في الفيلسوف وبعد فوات الاوان فقط ، فان صنعها للتاريخ يوجد فقط في الوعي في الراي في مفهوم الفيلسوف **أي** فقط في الخيال التأملي ان الهربرونو يضع حدا لتهافت هيغل

اولا ينادي **بالنقد** على انه الروح المطلقة **وبنفسه** على انه **النقـد** وكما ان عنصر النقد منفي من الجمهور فان عنصر الجمهور منفي مـــن **النقد** وبالتالي فان **النقد** يجد نفسه مجسدا ليس في **الجمهور** بل في **قبضة** صغيرة من الرجال المختارين ، في الهربرونو واتباعه على وجه الحصر.

ويتملّص الهربرونو بذلك من تهافت آخر لهيغل فهو لا يصنع التاريخ ، كالروح الهيغلية ،بعد فوات الاوان ،وفي التخيل . ان الهر برونو يلعب **بوعي** دور **الروح العالمية** في معارضة جمهور بقية البشر انـه حاليا يدخـل في علاقة **دراماتيكية** مع ذاك الجمهور ؛ انه يخترع ويصنع التاريخ بقصد وبعد تأمل ناضج

فمن جهة ينتصب الجمهور ذاك العنصر **المادي** المنفعل الغبي غير **التاريخي** للتاريخ ومن جهة اخرى تنتصب **الروح** ، اي النقـد ، **اي الهر برونو** وشركاه باعتبارها العنصر الفعال الـذي يظهر منه كـل **فعل تاريخي** ان عمل التحويل الاجتماعي يرجع الى العمل **الدماغي** للنقـــد النقـدي

في الواقع ، أن علاقه النقد النقـدي وبالتالي تجسد النقـد في **الهر** برونو وشركاه مع الجمهور هي في الحقيقة العلاقة التاريخية **الوحيدة**

في الوقت الحاضر ان كل تاريخ الوقت الحاضر يرجع الى حركة ذينك **الطرفين** ، الواحد ضد الآخر ، وكل التعارضات تنحل في هذا التعارض النقدي

ان النقد النقدي ، اذ يصبح موضوعيا فقط في معارضته **للجمهور** ، يعني في **حماقته** ، يضطر بالتالي ان ينتج دائما ذلك **التعارض** من اجل ذاته ، وقد قدم الهرات فوشر وادغار وزيليخا الدليل الكافي على عبقريتهم في اختصاصهم في **التبليد الجماهيري** للاشخاص والاشياء

دعنا الآن نصب النقد المطلق في حملته على **الجمهور**

ب ـ المسألة اليهودية رقم (١)

وضع المسألة

ان «الروح»، على عكس الجمهور، تتصرف في الحال بطريقة نقدية اذ تعتبر عملها المحدد الخاص مطلقا وهو كتاب **المسألة اليهودية** لبرونوبوير ، وتعتبر أعداء الكتاب مذنبين في الرد رقم (١) ضد الهجمات المنهالة على تلك الاطروحة لايظهر بوير اي تلميح عن عيوب الاطروحة بل على العكس ، يعلن انه شرح المغزى « **العام** » (!) **الحقيقي** للمسألة اليهودية وفي الاجوبة الاخيرة سوف نراه مضطرا للتسليم ب « عيوبه »

الاستقبال الذي لقيه كتابي هو **بداية** الدليل على أن الافراد الذين حتى الآن يدافعون عن الحرية ولا يزالون يدافعون عنها ، يجب أن ينهضوا الآن ضد الروح اكثر من الآخرين ، والدفاع الذي أنا بصدد تقديمه الآن لتأييد الروح سوف يقدم دليلا أبلغ يثبت مدى الغباء في **الناطقين باسم الجمهور** ، فالله عليم بما لديهم من رأي عن انفسهم لتأييد التحرر ومبدأ « حقوق الانسان »

وبمناسبة اطروحة قدمها النقد المطلق ، على الجمهور ان يكون

بالضرورة قد **بدأ** باظهار معارضته للروح ، اذ معارضته للنقد **المطلق هي** التي **تقرر** وتثبت **وجوده**

ومن الطبيعي ان مناظرة قلة من اليهود الليبراليين و**العقليين ضد** كتاب الهر برونو **« المسالة اليهودية »** لها معنى تقدي مختلف تماما عن المناظرة الليبرالية الجماهيرية ضد الفلسفة ، ومناظرة العقليين ضد شتراوس ويمكن الحكم عرضا على أصالة **الملاحظة** المقتبسة **سابقا** بقراءة مقطع من هيغل

« بوسعنا هنا ان نلاحظ الشكل الخاص بالوجدان الشرير المتجلي في نوع من الفصاحة التي تتزين بها تلك الضحالة (ضحالة الليبراليين) وقبل اي شيء في واقع انها تتحدث **أكثر** عن الروح حيث لا تملك الا الأقل منها ، وتستخدم كلمة **الحياة** بينما هي اكثر موتاً وذبولاً الخ

اما بالنسبة « لحقوق الانسان فقد أقيم الدليل للهر برونو **(المسالة اليهودية في الحيلولة الألمانية الفرنسية)*** انه هو نفسه ، **وليس المتحدثين باسم الجمهور** ، من أساء فهم جوهر هذه الحقوق واساء استعمالها اساءة مبدئية واكتشافه أن حقوق الانسان ليست **« فطرية »** ــ هذا الاكتشاف الذي اعلن في انكلترا مرات لا تحصى خلال الاربعين سنة الاخيرة ــ اذا ما قورن بتأكيد فورييه أن حق الصيد وحق القنص و الخ هي حقوق فطرية للانسان ، فان راي فورييه راي عبقري

إننا لم نقدم سوى بضعة امثلة عن حرب الهر بوير ضد **فيليبسون و هيرش** وآخرين فحتى اعداء مساكين كهؤلاء لم يتخلص منهم النقد المطلق. وان السيد فيلبسون لا ينطق سخطا في حال من الاحوال ، كما يزعم النقد المطلق ، حين يقول

★ يشير ماركس هنا الى مقالاته عن المسألة اليهودية التي ظهرت في الصحيفة المذكورة وفيها تفنيد لاراء برونو وشركاه (المترجم)

يتخيل بوير نوعاً خاصاً عن الدولة **فكـرة مثالية فلسفية عن الدولـة »** ـ

إن الهر برونو ، الذي يخلط الدولة بالانسانية وحقوق الانسان بالانسان والتحرر السياسي بالتحرر الانساني كان مجبراً إن لم يكن على تصور ، فعلى الاقل على تخيل نوع خاص من الدولة ، تخيل مثل اعلى فلسفي من الدولة

عوضاً عن ان يكتب الخطيب الهر هيرش) تقريره **الممل** ، كان من الافضل ان يفند برهاني أن الدولة المسيحية لا تستطيع ، وقـد غدا دين محدد مبدأ حيويا لها ان تسمح لأنصار دين آخر بالمساواة التامة مع رعاياها الخاصين

ولو فند الخطيب هيرش فعلاً برهان الهر برونو وأظهر ، كمـا حصـل **في الحولية الالمانية الفرنسية** ان دولـة الطوائف والمسيحية الحصرية ليستا دولة ناقصة فحسب بل دولة **مسيحية** ناقصة ، فان الهر برونو كان يجيب كما فعل على ذلك التفنيد

الاعتراضات في هذا المثال لا معنى لها
إن الهر هيرش مصيب تماما في رده على تصريح الهر برونو
بالضغط على نوابض التاريخ اثار اليهود ضغطا معاكسا »

انه يؤكد «اذن لابد انهم كانوا شيئا ما في صنع التاريخ ، واذا اكد الهر برونو نفسه هذا ، فليس له الحق أن يؤكد من جهة اخرى انهم لم يسهموا في صنع العصور الحديثة

ويجيب الهر برونو

ان الالم في عيني هو شيء ما أيضا ـ فهل يعني ذلـك انه يسهم في تطوير بصري ؟ » .

ان الشيء الـ « ما » الذي كان آلما عينيا بالنسبة لي منذ ولادتي ،كما كـــان اليهـــود بالنسبة للعـــالم المسيحي ، والـــذي ينمو ويتطـور معي ليس ألماً عادياً بل ألم مدهش ألم يرتبط فعلاً بعيني حتى أنه يساهم بالتطور الاصلي العالي لبصري وبالتالي فان«الالم العيني» النقدي لا يؤذي الخطيب هيرش وعلى اي حال ان النقد المقبس سابقا كشف للهر برونو معزى اليهودية في صنع العصور الحديثة

يشعر الفكر اللاهوتي للنقد المطلق ان كرامته جرحت من جراء تصريح نائب في مجلس الراين بان اليهود شاذون بطريقتهم اليهودية الخاصة وليس بطريقتنا المسيحية المزعومة بحيث لا يزال يدعوه الى النظام لاستخدام مثل هذه الحجة

وعندما اعلن نائب آخر أن المساواة المدنية يمكن ان تمنح لليهود فقط حيث لا يوجد يهود فان الهر برونو يرد عليه قائلا

صحيح صحيح واذا اردنا الدقة فانني عنـــدما وضعت ملاحظتي النقدية في اطروحتي كانت تلك الملاحظة ان على المسيحية ان تكف عن ان تكون موجودة فقد أخذت هذه الملاحظة بالحسبان

نرى ان النقد المطلق في الرد رقم ١) على الهجمات المنهالـة على كتاب المسألة اليهودية ، لا يزال يعتبر ازالة الدين،اي الالحاد،شرطالتحقيق المساواة المدنية ولذلك نراه في مرحلته الاولى لم يحصل بعد على بصيرة عميقة في الدولة اكثر من بصيرته في نقص كتابه

ويشعر النقد المطلق بالاهانة عندما يخان أحد مكتشفاته العلمية المقصورة « الاخيرة على انهـــا نظرة مقبولة من قبـــل بشكل عـــام ويعلن احد النواب الرينانيين

لم يزعم احد بعد ان فرنسا وبلجيكا قد تميزتا بصفاء خاص في الاعتراف بالمبادىء في تنظيم العلاقات السياسية

ويمكن للنقد المطلق أن يعترض أن ذلك التأكيد أرجع الحاضر الى الماضي بتقديم النظرة التافهة الحالية على انها نظرة تقليدية وهي النظرة القائلة أن مبادىء السياسة الفرنسية غير مناسبة أن مثل هذا الاعتراض اللائق لن يناسب النقد المطلق ان الأمر على النقيض من ذلك فلا بد له ان يقدم النظرة العتيقة العالية على انها نظرة الحاضر وينادي بأن النظرة السائدة في الوقت الحاضر سر نقدي سوف تكشف دراساته النقاب عنه للجمهور ولهذا يجب ان نقول

لقد جرى التأكيد عليه اي المستبق المتوقع من قبل كثيرين **جدا** (اي الجمهور)؛ ولكن دراسة شاملة للتاريخ سوف تقدم الدليل انه **حتى** بعد العمل العظيم الذي حققته فرنسا لاستيعاب المبادىء لا يزال الكثير جدا منه يتطلب التحقيق

لذلك فان دراسة شاملة للتاريخ نفسه لن **تحقق** استيعاب المبادىء انها سوف تثبت فقط في شمولها انه لا يزال الكثير جدا منه يتطلب التحقيق انجاز كبير خصوصا بعد مؤلفات الاشتراكيين ومع ذلك فان الهر برونو حقق **من قبل الكثير** من اجل استيعاب الوضع الاجتماعي الحالي بملاحظته التالية

ان اليقين السائد في الوقت الحاضر هو عدم اليقين

اذا قال هيغل ان اليقين **الصيني** السائد هو الوجود وان اليقين **الهندي** السائد هو العدم الخ فان النقد المطلق ينضم اليه في الطريقة النقية عندما يحل سمة العصر الحاضر في مقولة منطقية هي « **عدم اليقين** » ، وان هذا الصفاء ليتعاظم بقدر ما ينسب « عدم اليقين مثله مثل الوجود و العدم الى الفصل الاول للمنطق التأملي في الفصل الذي يدور حول الكيفية

ولا نستطيع ان نترك الرقم (١) من **المسألة اليهودية** دون ملاحظة عامة

يستقيم احد المساعي الرئيسية للنقد المطلق في جعل كل مسائل العصر في **وضع صحيح** لأنه لا يرد على المسائل **الحقيقية** ــ إنه يحل محلها

مسائل مختلفة تماما وبما انه يصنع كل شيء ، فانه عليه ايضا ان يصنع أولا مسائل العصر فيجعلها مسائله **الخاصة** ، مسائل النقد النقدي فاذا كان المقصود **قانون نابليون** ، فعليه ان يثبت ان المقصود **بشكل خاص** هي الاسفار الخمسة* إن **وضعه لمسائل العصر** هو **تشويه** نقدي لها ووضعها في غير موضعها وهكذا شوه المسألة اليهودية بمثل هذه الطريقة بحيث لم يحتج الى بحث التحرر السياسي الذي تتناوله تلك المسألة ، **وإنما** ارتاح لنقد الدين اليهودي ، ووصف الدولة المسيحية الالمانية

هذه الطريقة ، مثل كل طرافات النقد المطلق ، هي تكرار لطرفة تاملية يجب على الفلسفة التأملية ، وإن شئت الدقة بل فلسفة **هيغل** ، ان تحول كل المسائل من الحس الانساني العام الى شكل الفكر التأملي ، وان تغير المسألة الحقيقية الى مسألة **تأملية** قادرة على الاجابة عنها أما وقد شوهت مسألتي على لساني ووضعت مسألتها **الخاصة** على لساني مثل كتاب التعليم الديني (catechism) فان من الطبيعي ان يكون لديها جواب جاهز لكل مسائلي ، ككتاب التعليم الديني ايضا

ح ـ هنريك رقم (١) . تلميحات

سرية حول السياسة والاشتراكية والفلسفة .

السياسة ترتعد فرائص النقد النقدي خوفا لدى ظهور هذه الكلمة في محاضرات البروفيسور هنريك

من يتتبع حركة العصور الحديثة ، ويعرف التاريخ ، سوف يعرف ايضا ان للحركات السياسية الحالية معزى **مختلفاً تماما** عن المعزى السياسي ، ان لها في اساسها (في اساسها هذه هي اذن الحكمة الاساسية «معزى بحيث ، كما تعرف (!) تبدو كل المصالح السياسية عديمة المعزى اذا ما قورنت بها

★ وتسمى اسفار موسى وهي الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (المترجم)

قبل بضعة شهور من طبع الصحيفة الادبية النقدية **ظهرت** ، **كما** **نعرف** (!) الاطروحة الوهمية للهر برونو **الدولة والدين والحزب**

اذا كان للحركات **السياسية مغزى اجتماعي** ، فكيف يمكن للمصالح السياسية ان تبدو **عديمة المغزى** بالمقارنة مع مغزاها الاجتماعي الخاص ؟

لا يعرف الهر هنريك سبيله سواء في بيته الخاص او **في** أي مكان آخر **في** العالم انه لا ستطيع انيكونفيالبيتفياي مكان... **لأنه** لا يزال **لا يعرف شيئا** عن النقد الذي ابتدأ في السنوات الاربع الاخيرة ويواصل عمله » ليس عمله « السياسي ابدا بل عمله « الاجتماعي (!)

إن النقد الذي يواصل ، حسب راي الجمهور ، ليس العمل **السياسي** ابدا ، بل يواصل في كل المجالات العمل **اللا هوتي** ، يرضى بكلمة « **اجتماعي** » وان كان الآن اعلن تلك « الكلمة » للمرة الاولى ، ليس **قبل** اربع سنوات ، بل منذ ولادته السياسية

ما دام الادب الاشتراكي قد نشر في المانيا فكرة أن **لكل** الافعال والبواعث الانسانية بلا استثناء مغزى **اجتماعيا** ، فبامكان الهر برونو ان يدعو مؤلفاته **اللاهوتية** بأنها مؤلفات **اجتماعية** ايضا ولكن كيف يستطيع النقد ان يطالب بأن البروفيسور هنريك يستمد الاشتراكية من **الاطلاع** على مؤلفات الهر بوير ، في حين ان جميع المؤلفات التي نشرها بوير ، قبل محاضرات هنريك ، تستخلص نتائج سياسية عندما تستخلص نتائج عملية ، وما اكثر هذه النتائج من المستحيل ، اذا ما تحدثنا نقديا على البروفيسور هنريك انيكمل مؤلفاتالهر برونو المطبوعة بمؤلفاته هو غير المطبوعة ومن وجهة النظر النقدية يضطر الجمهور ، طبعا ، أن يشرح كل جماهيرية النقد المطلق بالاضافة الى الحركات «السياسية» بروح المستقبل والتقدم المطلق ولكن حالما يطلع الهر هنريك على

الصحيفة الادبية فلن يعود ابدا الى نسيان كلمة « **اجتماعي** » **أو يفشل في** اقرار السمة الاجتماعية للنقد النقد الذي حظر **كلمة** سياسي للمرة الثالثة أمام كل العالم ، ويكرر بوقار كلمة **اجتماعي** للمرةالثالثة.

اذا أخذنا الاتجاه **الحقيقي** للتاريخ المعاصر بالحسبان فالمسألــة لن تكون بعد الآن مسألـــة المغزى السياسي بل بـــل المغـــزى الاجتماعي الخ

بما ان البروفيسور هنريك كبش الفداء للحركات السياسية السابقة فانه ايضا كبش الفداء للحركات والتعابير الهيغلية التـــي استخدمها النقد المطلق قصدا حتى صدور **الصحيفة الادبية** ، وستخدمها بعد عن غير قصد فيها

لقد وصف هنريك بـ «الهيغلي الحقيقي» مرة و «الفيلسوف الهيغلي» مرتيـــن بـــل ان الهـــر بـــرونو يأمـــل بـــأن التعابـــير المتذلة التي لها دورة مضنية في كل كتب المدرسة الهيغلية وبنـــوع حاص في كتبه الشخصية لكونهـــا استنفـــدت في محاضرات البروفيسور هنريك ، سوف تصل حالا الى نهاية مطافها ومن «استنفاد» البروفيسور هنريك يتوقع الهر برونو ابطال **الفلسفة الهيغلية** وبذلـــك **خلاصه الخاص** منها

وهكذا نجد ان النقـــد المطلق في **حملتـــه الاولى** يسقط الهين همـــا السياسة و الفلسفـــة طالما عبدهما ، معلنـــا انهما صنمـــا البروفيسور هنريك

فالمجد للحملة الاولى

٢ ـ الحملة الثانية للنقد المطلق

آ ـ هنريك رقم (٢) « النقد » و « فيورباخ » ٠
ادانة الفلسفة ٠

يستطيع **النقد المطلق** نتيجة حملته الاولى ، ان يعتبر **«الفلسفة»** قد انتهى امرها وينعتها بكل وضوح على انها حليف لـ الجمهور

« كان مقدرا للفلاسفة ان يحققوا رغبات الجمهور القلبيـــة و « الجمهور **يريد** مفاهيم بسيطة‌حتى لا يعنى‌بالشيء نفسه ـ تشيبوليثات* بحيث ينهي كل شيء من البداية وعبارات يمكـــن بواسطتها التخلص مـــن النقـــد

و الفلسفة تحقق رغبة « الجمهور » هذه

يترنح النقد المطلق وراء انتصاراته منفجرا في عنف بيثاوي** ضد الفلسفة **وفلسفة المستقبل** لفيورباح هي المرجل الخفي الذي يلهم دخانه راس النقد المطلق المنتشي*** لقد قرأ كتاب فيورباخ في آذار وكانت ثمرة تلك القراءة وفي الوقت نفسه مقياس الجدية المبذولة فيها ، هي المقالة رقم (٢ ضد البروفيسور هنريك

وفي هذه المقالة يثور النقد المطلق ، الذي لم يتحرر مطلقا من الطريقة الهيغلية في رؤية الاشياء على قضبان الحديد وجدران سجنه

★ شيبوليث كلمة استخدمها يفتاح ليميز بين عشيرته لان الاجنبي لا يستطيع لفظ الحرف (ش) العبري المترجم)

★★ نسبة لابولو او لدلفي (المترجم)

★★★ في النص تورية لا يمكن نقلها فقد استخدم انجلز كلمة فيورباخ (ومعناها بالالمانية جدول النار) استخداما خاصا (المترجم)

المفهوم البسيط ، المصطلحات كل طريقة تفكير الفلسفة ، وفي الحقيقة كل الفلسفة مرفوضة باشمئزاز وفجأة نجد مكان الفلسفة « الثروة الحقيقية للعلاقات الانسانية و المضمون الوفير للتاريخ و اهمية الاسان ويعلن ان « **سر النظام** » **قد** « **انكشف** » .

ولكن من كشف سر النظام ؟ إنه **فيورباخ** من ابطل ديالكتيك المفاهيم ، وانهى حرب الآلهة المعروفة من الفلاسفة وحدهم ؟ انه **فيورباخ** . من استبدل الهراء القديم و الوعي الذاتي غير المحدود ليس باهمية الاسان — فكان الانسان يملك من الاهمية اكثر من كونه انسانا — بل بـ « **الانسان** » ؟ **إنه فيورباخ ، وفيورباخ وحده** وقد فعل اكثر من ذلك فمنذ امد بعيد تخلص من المقولات التي يستخدمها « النقد » الآن ببراعة — الثروة الحقيقية للعلاقات الانسانية المضمون الوفير للتاريخ نضال التاريخ كفاح الجمهور ضد الروح الخ

حين يعترف الانسان مرة على انه الجوهر ،على انه اساس كل الاوضاع والنشاطات البشرية فبامكان النقد وحدة ان يبتكر **مقولات جديدة** وان يحول الانسان نفسه الى مقولة ومبدأ لكل سلسلة المقولات كما يفعل الآن وصحيح انه بعمله هذا نخطو على طريق الخلاص الوحيدة التي بقيت امام «اللاانسانية» **اللاهوتية** المضطهدة والمطاردة. التاريخ لا يفعل **شيئا** .انه «لايملك ثروة وفيرة» ،انه «لا يشن معارك» . انه **الانسان** ،الانسان الحي الحقيقي، الذي يفعل كل ذلك ، الذي يملك ويحارب ؛ التاريخ ليس شخصا منفصلا. يستخدم الانسان كوسيلة لاهدافه **الخاصة ؛ التاريخ ليس سوى** فعالية الانسان الذي يلاحق اهدافه. لو ان النقد **المطلق** ، بعد مجادلات **فيورباخ ،** لا يزال يتمسك بصب النفاية القديمة في شكل جديد ، وفي الوقت نفسه يسيء استخدامه كنفاية « جماهيرية » — وهو لا يملك ادنى حق فيه لانه لم يحرك اصبعا واحدا من اجل القضاء على الفلسفة — هذه الحقيقة وحدها تكفي لاماطة اللثام عن «سر» النقد ، ولفضح السذاجة النقدية التي تقول بها البروفيسور هنريك الذي قدم له اعياؤه في ظروف اخرى مثل هذه الخدمة العظيمة :

ان الضرر يصيب اولئك الذين لم يقطعوا اشواطا في اي تطور، ولذلك **لا يستطيعون ان يغيروا انفسهم حتى وان رغبوا في ذلك**، ويستطيعون على الاكثر، حين يتعلق الامر بالمبدأ **الجديد** ـ ولكن لا **لا يمكن ان يتحول الجديد الى جملة، ولا يمكن ان تستعار منه صيغ كلامية منفصلة** ».

ويفخر النقد المطلق على البروفيسور هنريك انه حل « سر قدرة العلوم اذن هل حل سر الفلسفة والفقه والسياسة والطب والاقتصاد السياسي وهلمجرا ؟ لم يحل شيئا على الاطلاق انه، كما نلاحظ اظهر في «القضية الجيدة للحرية» ان العلم كمصدر للرزق، والعلم الحر وحرية التعليم وقدرة القوانين، كل يناقض الآخر

لو ان « النقد **المطلق** » كان شريفا لاعترف من اين حصل على استنارته المزعومة عن سر الفلسفة انه لأمر جيد على اي حال ان النقد لم يضع على لسان فيورباخ مثل تلك العبارات المشوهة وسيئة الفهم التي استعارها منه كما فعل ذلك مع اناس آخرين وبالمناسبة فان ما يميز نظرة النقد المطلق **اللاهوتية** انه بينما شرع غير المثقفين من الالمان يفهمون الآن فيورباخ ويتبنون نتائجه، لم يستوعب النقد جملة واحدة من جمله الصحيحة او يستخدمها بدقة

يحقق النقد تقدما حقيقيا بالمقارنة مع مآثره في الحملة الاولى عندما يعرف نضال الجمهور ضد الروح ك هدف كل التاريخ حتى الآن؛ عندما يعلن أن الجمهور هو العدم الصرف للتفاهة الحقيرة عندما يسمى الجمهور **« مادة »** بكل بساطة وصفاء ويعارض الروح كحقيقة ب المادة إذن اليس النقد المطلق المانيا ـ مسيحيا صافيا ؟ بعد ان نشب التناقض القديم بين الروحانية **والمادية** في كل المجالات وذلله **فيورباخ** نهائيا، يأتي النقد » من جديد ليصنع منه عقيدة اساسية في اشد اشكالها قباحة ويعزو الانتصار ل **« الروح الالمانية ـ المسيحية »**.

واخيرا يجب الاخذ بعين الاعتبار كتطور للسر الذي تشتمل عليه حملة

النقد الاولى انه يوجد الآن التناقض بين **الروح** و **الجمهور مع** التناقض بين النقد والجمهور وفيما بعد سينطلق ليوحد نفسه مع النقد بشكل عام حتى يقدم نفسه باعتباره الروح المطلق و اللا نهائي والجمهور من جهة اخرى باعتباره المحدود الفظ ، الظالم الميت الجاهل – وهذا هو ما نفهمه النقد من كلمة مادة

فكم هي وفيرة ثروة التاريخ ما دامت قد استنفدت بموقف البشرية من **الهر بوير** .

ب – المسالة اليهودية رقم (٢) .
الاكتشافات النقدية في الاشتراكية
والتشريع والسياسة . (القومية) .

تلقى اليهود الماديون الجماهيريون وعظا لنشر المبدا **المسيحي في حرية الروح ،** الحرية في **النظرية ،** تلك الحرية **الروحية** التي **تتخيل** نفسها انها حرة حتى في الاصفاد والتي روحها ترتاح مع الفكرة وتتضايق من أي نوع من الوجود الجماهيري

« **تحرير اليهود** بقدر تقدمهم في **النظرية** إنهم احرار بقدر ما **يرغبون في ان يكونوا احرارا . »** .

من تلك الفرضية يمكن للمرء ان يقيس على الفور الهوة المعدنة التي تفصل الشيوعية الدنيوية الجماهيرية والاشتراكية عن الاشتراكية **المطلقة** تنكر الفرضية الاولى للاشتراكية الدنيوية التحرر في النظرية فقط باعتباره وهما ومن اجل حرية **حقيقية** تطالب الى جانب **«الارادة»** المثالية بظروف ماديه ملموسه حدا ادنى الجمهور بالمقارنة مع النقد المقدس الجمهور الذي يعتبر الانتفاضات العملية المادية ضرورية

لكسب الوقت والوسائل المطلوبة حتى لتعاطي « **النظرية** » !

دعنا نترك الاشتراكية الروحيةالصافية لبرهة وننتقل الى **السياسة**.

يجادل الهر ريسر ضد برونو بوير بأن دولته (اي الدولة **النقدية**) يجب أن تطرد « اليهود و المسيحيين

والهر ريسر على حق فما دام بوير يخلط التحرر **الانساني** بالتحرر **السياسي** ، وما دامت الدولة لا ترتكس ضد العناصر المناوئة - والمسيحية واليهودية تعتبران عنصرين خائنين في **المسالة اليهودية** - الا بالطرد القسري للاشخاص الذين يمثلونها (رغب عهد الارهاب ، على سبيل المثال في التخلص من محتكري القمح فدفع بالمحتكرين الى (المقصلة) فان على الهر بوير أن يشنق اليهود والمسيحيين في « دولته النقدية » وأذ خلط التحرر السياسي بالتحرر الانساني، فان عليه ان ينسجم مع نفسه ويخلط **الوسائل السياسية** للتحرر **بالوسائل الانسانية** ولكن حالما يسمع النقد المطلق بالمعنى **المحدد** لاستنتاجاته المصاغة ، يقدم الرد الذي قدم **شيلنغ** مرة لأعدائه الذين استبدلوا عباراته بأفكار **حقيقية**

إن اعداء النقد هم اعداؤه لانهم لا يقيسونه فقط بعصا البارد **الدوغماطية** وإنما يعتبرونه نفسه نقدا **دوغماطيا** إنهم يعارضون النقد لأنه لن يعترف بتفريقاتهم وتعريفاتهم ومراوغاتهم الدوغماطية

إنه في الحقيقة تبن لموقف دوغماطي من النقد المطلق وكذلك من الهر **شيانغ** ، عدما ينسب اليه مغزى واقعي **ومحدد** ، وفكر ، وآراء وان « النقد تحدوه روح المصالحة ، وكي يثبت للهر ريسر انسانيته ، يقرر ان يلجأ الى تفريقات وتعريفات دوغماطية واذا اردنا الدقة ناجأ الى المراوغات وهكذا نقرأ

لو انـي كنت املـك في ذاك الكتاب (المسألـة اليهودية **الارادة** او **الحق** في **تجـاوز** النقـد فقـد كان مـن **واجبي** « ان اتكلم (!) « ليس عن **الدولة*** او عن **المجتمع** ، الذي لا يبعـد

احدا ، لكن الذي يستبعد انفسهم عنه اولئك لا يرغبون في المشاركة في تطوره »

هنا يضع النقدالمطلق **تمييزا دوغماطيا** بين ما كان يجب ان يفعله ان لم يكن قد فعل العكس ، وما قد فعله فعلا ويفسر ضيق نظرة **المسالة اليهودية « بالمراوغات الدوغماطية » لارادة وحق** يمنعانه من **« تجاوز النقد »** . ماذا ؟ إن النقد يجب أن **يتجاوز « النقد »** ، إن هذه بدعة جماهيرية تقع للنقد المطلق بسبب الضرورة الدوغماطية الداعية من جهة واحدة الى تأكيد مفهومه عن المسألة اليهودية باعتباره مطلقا ، باعتباره نقدا ، ومن جهة ثانية الى قبول مفهوم اكثر شمولا

إن سر **« عدم تملك الارادة »** و **« عدم تملك الحق »** سوف يتكشفان فيما بعد عن **دوغماطية** نقديةطبقا لها لا تكونكلالحدود الواضحة لـ «النقد» سوى تلاؤمات ضرورية لقوى ادراك الجمهور

انه لم يملك **الارادة** ! . إنه **لم** يملك **الحق** حتى يتجاوز مفهومهالضيق للمسألة اليهودية ! ولكن ما كان سيفعل لو كانت **لديه الارادة** او **الحق** ؟! سوف يقدم **تعريفا دوغماطيا** سوف يتكلمعن«المجتمع» بدلا من «الدولة»، وبكلمات أخرى ، فانه لن يدرس العلاقة الحقيقية للشعب اليهودي مع المجتمع **المدني الحالي** ! لقد قدم **تعريفا دوغماطيا** لـ « المجتمع » باعتباره متميزا عن « الدولة » بمعنى انه حيث تطرد الدولة اولئك الذين لا يرغبون في المشاركة في تطورها ، فان مثل هؤلاء الناس يستبعدون انفسهم من المجتمع !

ان المجتمع يسلك بصورة حصرية تماما كالدولة ، ولكن بشكل اكثر تهذيبا فقط فهو لا يلقي بك خارجا ، ولكن يعمل على ان يجعل الحياة لا تطاق بالنسبة اليك بحيث تخرج منه بارادتك الخاصة

من حيث الاصل لا تسلك الدولة سلوكا مغايرا ، لانها لا تنفي اي انسان ينصاع لطلباتها واوامرها وتطورهاحتىانهافي **كمالها** تغلقاعينهاوتعلن

ان التناقضات **الحقيقية** هي تناقضات سياسية لا تزعجها. الى جانب **ذلك** جادل النقد المطلق بأن الدولة انما تبعد اليهود لأن وبقدر ما يستبعد **اليهود** الدولة وبذلك يستبعدون **انفسهم** من الدولة ولو ان تلك العلاقات كانت تملك شكلا اكثر كياسة وفكرا في مجتمع » **نقدي** فان ذلـك يثبت ان المجتمع النقدي اكثر نفاقا واقل تطورا في بنائه

دعنا نتتبع اعمق فأعمق النقد المطلق في تمايزاته الدوغماطية و « تعريفاته » ، واذا اردنا الدقة قلنا في « **مراوغاته**

فالهر رييسر ، على سبيل المثال ، يطلب مـــن الناقد ان **يميــز** ما ينتسب الى ميدان **القانون** » مما هو ماوراءه

والناقد ساخط من وقاحة هذا المطلب القانوني وهو يجيب «حتى الآن تدخـــل كلا الشعور والوعـــي ، علـــى اي حال ، في القــانون كملاه ، وبسبب الصفة التي قامت على شكله **الدوغماطي** » (وليس على **جوهره الدوغماطي** ؟) كان لابد لهما دائما من تكملته

ينسى **الناقد** ان **القانون** ، من الجهة الاخرى ، يميز نفسه بجـــلاء صريح من الشعور والوعي حيث ان ذلك التمييز يقوم على الجوهـــر الاحادي الجانب **القانون** كما يقوم على شكله الدوغماطي حتى انـــه عقيدة (دوغما) من **العقائد الرئيسية** للقانون ، حيث التحقيق العملي **لذاك** التمييز هو قمة **تطور القانون** كما ان الفصل بين الدين وكل المضمون الدنيوي بجعله دينا **مجردا مطلقا** ان حقيقـــة تدخل الشعور والوعـــي في القانون سبب كاف للناقد ان يتحدث عن الشعـــور والوعي عندما تكون القضية قضية قانون، وعن عقائد **لاهوتية** ، عندما تكون قضية عقائد **قانونية**.

إن « تعريفات وتمييزات النقد المطلق اعددننا بما فيه الكفاية لنسمع **« اكتشافاته »** الاخيرة عن **« المجتمع »** و **« القانون »** .

«الشكل العالمي الذي يعده **النقد** بل الذي اعد **الفكرة الاولى** عنه ليس شكلا **منطقيا فحسب** وانما (استجمع افكارك ايها القـــارىء) شكل للمجتمع الذي يمكن على الاقل ان يقال هذا الكثير (هذا القليل ؟) عنـــه ان اي امرىء لا يقدم مساهمة في تسكيله ولا يعيش فيـــه بشعوره ووعيه لا يمكن ان يشعر بالراحة فيه ولا يستطيع ان يشارك في تاريخه

الشكل العالمي الذي يعده النقد محدد بأنه **ليس شرعيا فقط بل اجتماعي** هذا التعريف يمكن ان يشـرح بطريقتين فالجملـة المقتبسة يمكن ان تؤخذ كمـا يلي **ليس** شرعيا **بـل** اجتمـاعي « أو « ليس شرعيا فقط بل اجتماعيا **ايضا** ولكن دعنا نعتبر مضمونها حسب القراءتين ولنبدأ بالقراءة الاولى من قبل عرّف النقد المطلق الشكل العالمي الجديد المتميز عن «الدولة» على انه المجتمع. اذا كان الهر هنريك قد اعطي كلمة اجتماعي ثلاث مرات بالتعارض مع كلمة سياسي فان الهر ريبسر يعطي الآن **«المجتمع الاجتماعي» بالتعارض** مع مجتمعه **«الشرعي»**. واذا كـانت الشروح النقـدية للهـر هنريك قـد توصلت الـى صيغة اجتماعي + اجتماعي + ٣ ، فان النقـــد المطلق ينتقـل في حملته الثانية من الجمع الى الضرب ، ويرجع الهر ريبسر الـى مجتمع مضروب بنفسه ، مجتمع من القوة الثانية مجتمع اجتماعي (٢ وحتى يكمل النقد المطلق استنتاجاته عن المجتمع فان كل ما عليه ان يفعله هو ان يمضي الى الكسور ان يستخـرج الجذر **التربيعي** للمجتمـــع وهلمجـــرا

واذا اخذنا من جهة اخرى بالقراءة الثانية فان الشكل العالمي « **الذي ليس** شرعيا بل اجتماعي **ايضا** » هذا الشكل العالمي الهجين ليس سوى **شكل عالمي** قائم حاليا ، ليس سوى الشكل العالمي **للمجتمع الحالي** . انها **معجزة نقدية** عظيمة مبجلة ان النقد في تفكيره السابق للعالم لا يفعل سوى **اعـــداد للوجود** المستقبلي للشكل العالمي **الموجود سلفا في هـــذا**

اليوم ولكن مهما يكن امر ليس شرعيا فقط بل اجتماعي ايضا » ، **فان** النقد لايستطيع في الوقت الحاضر ان يقول شيئا عنه اكثر من « التعاليم الخرافية » (Fabula docet) اكثر من التطبيق **الأخلاقي** ان هؤلاء الذين لا يؤمنون بذاك المجتمع بشعورهم ووعيهم سوف لن يشعروا بالراحة » في هذا المجتمع ، وفي النهاية لن يعيش احد في ذاك المجتمع ما عدا « الشعور الصافي » و « الوعي الصافي » أي « الروح » « والنقد » وانصارهما . **أما** « **الجمهور** » فسوف يستبعد منه بطريقة او بأخرى بحيث يقيم المجتمع الجماهيري خارج « المجتمع الاجتماعي

وباختصار ، ليس هذا المجتمع سوى **السماء النقدية** التي استبعد منها العالم الحقيقي باعتباره **الجحيم اللانقدي** ان النقد المطلق ، في تفكيره الصافي ، يعد العدة لهذا **الشكل** العالمي المتحول للتضاد بين « الجمهور » و « **الروح** » .

ومن الاعماق **النقدية** ذاتها التي ظهرت منها تلك الشروح عن « المجتمع » اعطي ريبسر تفسيراته عن مصير الامم

إن رغبة اليهود في التحرر ورغبة الدول المسيحية في « تصنيف » اليهود في « مخطط حكومتهم » ــ فكأنه لم يمض زمن طويل على تصنيف اليهود في مخططات الحكومات المسيحية ــ يقودان النقد المطلق الى تنبؤات عن « **فساد القوميات** ». فتأمل بأي انعطاف معقد يصل النقد المطلق الى الحركة التاريخية الحالية عن طريق **انعطاف اللاهوت** والكلمات التوضيحية التالية للمعجزة تبين لنا اي نتائج باهرة يحققها النقد في هذا السبيل

« **مستقبل** كل القوميات ــ هو ــ **قاتم** ــ **جدا**

ولكن ماذا يهم النقد اذا كان مستقبل القوميات قاتما الى ابعد حد ؟ ان الشيء الجوهري الوحيد **واضح إن المستقبل هو من صنع النقد** .

ان **النقد يهتف** المصير يمكن ان يقرر ما يحلو له الآن نحن نعرف انه من صنعنا

وكما يترك الرب **لخليفته** ، الانسان ارادته الخاصة ، كذلك يمنح النقد المصير ، الذي هو خلقه ، **ارادته الخاصة النقد** ، الذي يصنع المصير ، هو مثل الاله **فائق القدرة** حتى المقاومة التي **يجدها** خارج ذاته هي من صنعه ان النقد يصنع عدوه **لذلك** كان السخط الجماهيري ضد النقد خطير فقط على الجمهور نفسه

ولكن لو ان النقد كالاله **فائق القدرة** ، فانه فائق الحكمة **مثله** ، وقادر على جمع قوته الفائقة **مع الحرية والارادة والصفات** الطبيعية لافراد البشر

لن تكون القوه **المدوية** ان لم تكن له مفعول **صنع كل واحد** ما يريد ان تكون وان لم تظهر لكل واحد بشكل نهائي الموقف **المقابل لطبيعته وإرادته »**

ان **ليبنتز** لم يستطع تقديم تشخيص للانسجام الوطيد المسبق بين القدرة الفائقة للاله وحريته وصفات الإن الطبيعية

لو بدا النقد متضاربا مع علم النفس **بعدم التمييز** بين **ان تكون الارادة** شيئا ما **والمقدرة** في ان تكون شيئا ما فانه يجب ان تكون معلوما **انه** يملك دوافع حاسمة لاعلان مثل هذا التمييز دوغماطية

دعنا نهيء أنفسنا ونقوها استعدادا الحملة الثالثة **دعنا نعلن مرة** اخرى ان **« النقد يصنع عدوه »** ولكن كيف يصنع عدوه ، العبارة . **ان** لم يكن تاجر عبارات

٣ ـ الحملة الثالثة للنقد المطلق

آ ـ الدفاع الذاتي للنقد المطلق .

ماضيه « السياسي » .

يبدأ النقد **المطلق** حملته الثالثة ضد « الجمهور » **بالسؤال التالي**
« ما هو الآن موضوع النقد ؟ »

وفي العدد ذاته من **المجلة الادبية** نجد الخبر التالي

« النقد لا يرغب **في شيء** الا أن يعرف **الاشياء** »

وطبقا لهذا فان **موضوع** النقد هو كل الاشياء **وان من السخف أن** نتحدث عن موضوع محـدد خاص يميز النقد **فالتناقض يحـل نفسه** بسهولة عندما يتذكر المرء أن جميع الاشياء « تندمـج » **في أشياء نقدية ،** وكل الاشياء النقدية تندمج في الجماهير كـ **« موضوع »** « النقد المطلق »

يصف الهر برونو باديء ذي بدء **شفقته اللامحدودة** على **«الجمهور».** انه يجعل « الهوة التي تفصله عن **الحشود** » موضوعا **لدراسته الدؤوبة** **».** يريد « ان **يستخلص** مفزى تلك **الهوة من اجل المستقبل** » (هذا ما سمي اعلاه معرفة **« جميع »** الاشياء) وفي الوقت نفسه **« ان يلغي هذه الهوة » .** ولذلك فانه في الحقيقة يعرف مسبقا مغزى **تلك الهوة** انه يستقيم في انها ملغاة من قبله وكما ان كل نفس انسان اقرب ما تكون اليه فان « النقد اول ما يطرح هو الخلاص من **جماهيريته الخاصة** ، مثل النساك المسيحيين الذين يبدأون حملة الروح ضد الجسد بتعذيب جسدهم

ان **« جسد »** النقد المطلق هـو **ماضيه** الادبي **الجماهـيري** الحقيقي يملأ من ٢٠ ـ ٣٠ مجلدا) ولذلك يجب على الهر بوير أن يحرر السيرة

الادبية ل « **النقد** » ــ هذه السيرة التي تتطابق تماما مع سيرته الادبية الخاصة ــ **من مظهرها الجماهيري** يجب عليه أن يحسنها بشكل رجعي (Retroactively) وشرحها وبذلك الشرح الدفاعي « **يضع الاعمال الاولى في مكان امين** » .

يبدأ بأن يفسر بسبب مزدوج اخطاء الجمهور الذي حتى سقوط « **الكتاب السنوي الالماني في العلم والفن** » و الصحيفة **الرينانية للسياسة والتجارة والصناعة** » يعتبر الهر بوير واحدا من خاصته الخطيئة الاولى التي ارتكبت انه اعتبار الحركة الادبية حركة « **غير ادبية خالصة** » وفي الوقت نفسه فان الخطيئة المقابلة التي ارتكبت هي اعتبار الحركة الادبية حركة ادبية فقط حركة **أدبية** « **خالصة** » ولا شك ان « **الجمهور** » كان مخطئا في كل الاحوال لارتكابه خطيئتين متنافرتين **في الوقت نفسه** .

وينتهز النقد المطلق هذه المناسبة ليهتف بأولئك الذين استهزأوا بالامة الالمانية باعتبارها « **صانعة ادب** »

انكروا مرحلة تاريخية واحدة لم يرسمها « **القلم** » **مسبقا بشكل جازم** ، او لم تكن ملزمة بأن تذهب هباء بضربة قلم

يفصل الهر برونو بسذاجته النقدية « **القلم** » عن **الذات الذي يكتب** ويفصل الذات الذي يكتب باعتباره « **كاتبا** مجردا » عن **الانسان التاريخي** الحي الذي كتب وهذا ما يتيح له أن يمتلىء غبطة بقوة **العمل الرائع** لـ القلم ان من حقه تماما أن يسأل أي حركة تاريخية لم ترسمها مسبقا الطيور الداجنة او مربية الاوز

فيما بعد سوف يخبرنا الهر برونو نفسه انه حتىالآن لم يتم الاعتراف بأي مرحلة تاريخية ولا مرحلة واحدة فكيف استطاع « **القلم** » الذي كان عاجزا من رسم اي مرحلة « **وحيدة** » بعد الحدث . ان يرسم المراحل كلها **مسبقا** ؟

ومع ذلك يثبت الهر برونو صحة نظرته **بالافعال** ، بأن « يرسم مسبقا » هو نفسه ماضيه الخاص « بضربات قلم » دفاعية

ان النقد الذي تورط في كل الجوانب ، ليس بالتحديد العام للعالم والعصر فقط ، بل بتحديد خصوصي وشخصي تماما ومع ذلك يؤكد لنا انه مع رغم كونه « **مطلقا ، وتاما ، وصافيا** » في كل أعماله بقدر ما يستطيع المرء ان يفكر ، فقد تكيف فقط مع مستبقات الجماهير **وقوى استيعابها** ، كما يميل الرب أن يفعل في تجلياته للانسان

ويخبرنا النقد المطلق كان لا بد من الوصول الى صدع بين **النظرية** وبين حلفائها الظاهريين

ولكن بما ان النقد ، وهنا يدعى **النظرية** على سبيل التغيير ، لا ينتهي الى **شيء** ، وعلى العكس ، كل شيء يأتي منه وبما انه يتطور ليس داخل العالم بل **خارجه** ، وقد قدر الاشياء جميعا بصورة مسبقة ، في وعيه المقدس الثابت ، فان **الصدع** مع حلفائه السابقين كان « انعطافا جديدا » في **المظهر** فقط ، للآخرين فقط ، ليس في ذاته ولا **للنقد** نفسه

« على اي حال ، فان هذا الانعطاف ، اذا ما تحدثنا كما ينبغي ، لم يكن جديدا لقد عملت **النظرية** باستمرار في **نقد نفسها** » (نحن نعلم كم بذل من مجهود فيها لاجبارها على انتقاد نفسها) ؛ « انها لم تتملق **الجمهور** » (ولكن نفسها على الاكثر) ؛ « انها لم **تتخذ الحيطة** حتى تتورط في مقدمات خصمها »

يجب ان يكون اللاهوت المسيحي حذرا برونو بوير das entdckte Chitenthum ص ٩٩) اذن كيف حصل ان النقد « الحذر » تورط مع ذلك ولم يعبر مسبقا عن معناه الدقيق بوضوح وصفاء ؟ لماذا لم يفصح عن فكره ؟ لماذا سمح باستمرار وهم اخائه مع الجمهور ؟

قال فرعون لابراهيم عندما رد اليه زوجته سارة « لماذا فعلت بي هذا ؟ لماذا قلت انها اختك ؟ » (برونو بوير المرجع السابق ص ١٠٠) .

يقول اللاهوتي « فليسقط العقل واللغة والا **فسوف يكــون ابراهيم** كاذبا ستكون اهانة مميتة للوحي

يقول الناقد فليسقط العقل واللغة اذ لو ان الهر بوير تورط لا بشكل ظاهري وانما فعلا مع الجمهور ، فان النقد المطلق لــن يكون مطلقا في تجلياته سوف يهان اهانة مميتة

ويتابع النقد المطلق ان الامر **فقط** هو أن مجهوداته » (مجهودات النقد المطلق) « **لم تكن لتلاحظ** ،والى جانب ذلــك هناك مرحلة في النقــد عندما كان **يجبر فعلا** على اعتبــــار مقدمات خصمه وينظر اليهــا نظرة جدية الى حين الى مرحلة وباختصار ، عندما لم يكن **قادرا تماما** على انتزاع القناعة من الجمهور بأنه يملك القضـية نفسها والمصلحة نفسها التي يملكها الجمهور

لم تكن مجهودات النقد ملحوظة اللوم يقع على **الجمهور** ومن جهة ثانيه يسلم النقد بأن مجهوداته **لا يمكن** أن تكون ملحوظة لانه كان هو نفسه غير قادر **علــى جعلها** ملحوظة **فتبــدو الخطيئة** لذلك انهــا خطيئة النقد

فليساعدنا الرب كان **النقــد** « مجبرا ــ كــان **العنف يستخدم ضده** ــ ان يأخذ بالحسبان مقدمة خصمه وان ينظر اليها بجدية الــى **حين** ياله من اخلاص رائع اخــلاص لاهوتي حقــــا لا ياخذ شيئا بنظرة جدية بل « **ينظر اليه بجدية الى حين** » ، وبالتالي كــان دائمــا ، **في كل حين** حذرا بحيث لا يتورط في مقدمات خصمه ومع ذلك ينظر باخلاص **الى حين** الى تلك المقدمات فيأخذها بعين الاعتبار وان اخلاصه لاعظم ايضا في الجملة التالية **بينما كان « النقد »** يأخـذ بعين الاعتبار مقدمات الجمهور باخلاص لم يكن بعد « **قادرا** » تمامــا على تحطيم الوهم بالنسبة لوحدة قضيته مع قضية الجمهور • **لــم يكن**

قادرا بعد ، ولكنه يملك مسبقا **الارادة والفكرة** ، ارادة ذلك وفكرته ، لم يكن يستطيع **بعد** ان ينفصل خارجيا عن الجمهور بل كان الانفصال كليا **في داخله** من قبل ، في **فكره** ، كان كليا في اللحظة الحقيقية التي تعاطف فيها **بإخلاص** مع الجمهور

في تورطه مع مستبقات الجمهور لم يكن النقد قد تورط فيها فعلا ، بل كان على العكس **اذا تحدثنا بدقة** ، حرا من محدوديته الخاصة وكان « **فقط غير قادر كليا بعد** » على اعلام الجمهور بهذا وبما ان كل محدودية « النقد » كانت مظهرا خالصا ؛ **مظهرا** سيكون ، بلا محدودية الجمهور ، سطحيا . ولذا لن يكون له وجود اطلاقا ولهذا فان الخطيئة ترتد على الجمهور

وبقدر ما كان هذا المظهر على اي حال مؤيدا بـ عدم القدرة و « **عجز** » النقد عن التعبير عن فكره ، فان النقد نفسه كان **ناقصا** وهذا ما يوافق عليه بطريقته الخاصة الطريقة التي كانت مخلصة اخلاص اعتذاره

بالرغم من اخضاعه الليبرالية نفسها » (والحديث عن النقد) لنقد مدمر فانه لا يزال يعتبر نوعا خاصا من الليبرالية ربما على انه انجاز وتطرف له ، بالرغم من ان حججه الحقيقية والحاسمة قد تخطت السياسة . ولا يزال من الضروري **ان يبدو منشغلا في السياسة** ، وهذا **المظهر** غير التام قد اكسبه معظم الاصدقاء المشار اليهم سابقا

لقد ربح النقد اصدقاءه من خلال **مظهره الناقص في** الاشتغال بالسياسة . بدا انه يشتغل بالسياسة **بصورة تامة** فانه سيفقد بصورة محتومة اصدقاءه **السياسيين** وفي **قلقه الاعتذاري** ليفصل نفسه من كل خطيئة ، يتهم المظهر **الزائف** لكونه **مظهرا زائفا ناقصا** وليس مظهرا **تاما** . وباستبدال مظهر بمظهر آخر يستطيع النقد ان يعزي نفسه بواقع انه اذا حاز « المظهر التام » في الرغبة بالاشتغال في السياسة فانه على العكس ، لا يملك من جهة اخرى حتى « المظهر الناقص » في الغاء السياسة في اي مكان او زمان

وبما أن النقد **المطلق** غير راض كليا عن «المنطق الناقص» ، **فانه يعجب مرة ثانية :**

كيف يمكن **للنقد** في ذلك الوقت ان يغـــدو متورطا في مصالـــح « جماهيرية ، سياسية » ! كيف يمكنه ــ حتى ! ــ **((أن يكون مجبرا ــ على الاشتغال في** السياسة

يعتبر بوير اللاهوتي انه **من الامور المفروغ منها** ان ينخرط النقد في **لاهوت** تأملي لا نهاية له ، لانه هو النقد ، في الحقيقة **لاهوتي** محترف اما **الاشتغال بالسياسة ؟** ذاك ما تدفع اليه ظروف اجتماعية وسياسية وشخصية جدا

إذن لماذا **يشتغل ((النقد))** حتى في السياسة ؟

((لقد كان متهما ــ ذاك هو الرد على السؤال .)) بذلك «سر» سياسة **بوير** على الاقل ينكشف وعلى الاقل ان **المظهر** الذي يجمع فيه بوير في كتابه **القضية الجيدة للحركة** الخ * **((قضيته الخاصة))** الى قضية الجمهور في الحرية بواسطة و يمكن ان يسمى مظهرا **غير سياسي** ولكن اذا لم يتابع النقد **((قضيته الخاصة))** في **مصلحة السياسة بل السياسة** في **مصلحة قضيته الخاصة** ، فان عليه أن يسلم بأن السياسة لم تخدع النقد ، بل النقد خدع السياسة

وهكذا اقيل برونو بوير من كرسي اللاهوت الذي كان يشغله لقد كان **متهما** واضطر النقد ان يشتغل بالسياسة يعني ان يقاضي نفسه ، أي يقاضي الهر برونو ليس برونو هو الذي قاضى النقد ثم النقد هو الذي قاضى الهر بوير لماذا كان على النقد ان يقاضي نفسه

حتى يبرىء النقد نفسه **ربما هكذا** ؛ غير انه ابعد من ان يحصر

★ أي بوسائل من حروف العطف (المترجم)

نعسه بمثل هذه البواعث الشخصية ربما هكذا ، **ليس من اجـــل ذلك وحده** ، على أي حال ، **لكن بشكل رئيسي** حتى يظهر **تناقضات اعدائه »** ، ويمكن ان يضيف النقد ، بغيــة ان يجمع معا في **كتاب** واحد المقـــالات القديمة ضد شتى اللا هوتيين (انظر من بين **الاشياء الاخـرى المشاجرة** الكلامية مع بلانك) ، تلك القضية العائلية بين « **لاهوت بوير** » و « **لاهوت** شتـــراوس »

واذا انزل **النقد** عن قلبه عبثا بالتسليم بالمصالح الحقيقية «**لسياسته**»، يتذكر **دعواه** » **ويجتر** من جديد المضغة الهيغلية القديمة (قارن الصراع بين التنوير والايمان في **الفينومينولوجيا** وقارنه **بالفينومينولوجيا بكاملها**)بأن القديم الذي يقاوم **الجديد** لا يبقى قديماً حقا ،حيث سبق واجتره طويلاً في القضية الجيدة للحرية » إن النقد النقدي حيوان مجتر انه يحافظ بحرص على الفتات القليلة المتساقطة من هيغل ، كالجملة المقتبسة سابقا عن **القديم** » و « **الجديد** » او مرة اخرى عن «تطور الحد من الحد المقابل» وامثال ذلك دون الشعور بالحاجة الى معالجة **« الديالكتيك التاملي »** بأي طريقة اخرى غير استنفاد البروفسور هنريك وعلى العكس ، فلقد تخطى النقد هيغل تخطيا نقديا بتكراره له فمثلا

باظهار البحث عن شكل جديد وتقديمه ، أي أن يقدم له الشكل الذي لم **يعد قابلا لأن يكون محولاالى حد خارجي »** الخ

عندما أحول شيئا ما فاني اجعله شيئا مختلفا عن الاول اختــلافا جوهريا وبما أن كل شكل هو حد خارجي ايضا فلا شكل يكون قابلا » **لأن** يحول الى « حد خارجي » اكثر من امكانية تحول تفاحـــة الى تفاحة ومن المسلم به أن الشكل الـــذي يقدمه النقد للبحث ليس قابلا ، لسبب **آخر** تماما لأن تتحول الى «حد خارجي» فوراء كل « حد خارجي » يتناثر في ضباب اللغو الرمادي اللون او الازرق الغامق .

نه (الصراع بين القديم والجديد) سيكون **على اي حـــال** مستحيلاً تماماً **حتى »** يعني على وجه الدقة في اللحظة التي يعطي فيها النقد البحث شكلا جديدا اذا كان القديم يعالج مسألة الانسجام او عـدم الانسجـام **نظرياً** »

ولكن لماذا لا يعالج القديم هذه المسألة نظريا ؟ **لان «هذا على اي حال** اول احتمالا له من البدء مادام في **لحظة المفاجأة** أي في البداية «لايعرف نفسه ولا يعرف الجديد اي لا يعالج نفسه نظريا ولا يعالج الجديـد وسيكون مستحيلا تماما **اذا** لم تكن الاستحالة لسوء الحظ مستحيلة»!

عندما يسلم **« الناقد »** من قسم اللاهوت فضلا عن ذلك بأنه اخطأ **عن قصد** . انه اقترف الخطيئة قصداً وبعد تفكير ناضج كل ما عاناه النقد وجربه وفعله **تحول** من اجله الى حرية ، الى منتوج مقصود وصافٍ وحر لتفكيره، فإنهذا الاعتراف منالناقد لا يملكالا «مظهرا ناقصا»منالحقيقة. وبما ان نقد السينوبتيك* يقوم كليا على اسس **لاهوتية** وبما انه مـــن البداية الى النهاية نقد **لاهوتي** فان الهر بوير المحاضر في اللاهوت يكتبه ويعظ فيه «بلا خطيئة ولا غلطة على العكس كانت الخطيئة والغلطة من جانب الكليات اللاهوتية التي لم تتحقق كيف حافظ الهر بوير على وعده الوعد الذي قطعه في نقد **السينوبتيك** ، المجلد الاول ، المقدمة. الصفحة الثالثة والعشرين

فإن بدا **النفي** حادا جدا وموغلاً في المجلد الاول ايضا ، فعلينـــا أن نتذكر ان **الايجاب** الحقيقي ينشأ فقط عندما يكون النفي جديا وعاما . . . وفي النهاية يجب ان **يكون** معلوما ان النقد المدمر للعالم وحده يمكن ان يعلمنا **القوة الخلاقة ليسوع ومبدئه »** .

★ أي نقد الاناجيل الثلاثة الاولى (المترجم)

يفصل هنا الهر بوير عن قصد بين الرب يسوع و **مبدئه** «
ليحرر المعنى **الايجابي** لوعده من كل مظهر ملتبس وقد جعل الهر بوير
القوة « الخلاقة » للرب يسوع ومبدئه واضحة جدا بحيث ان « وعيه الذاتي
غير المحدود » و الروح » ليسا سوى **مخلوقين** من مخلوقات المسيحية

اذا كان نزاع النقد النقدي مع قسم اللاهوت في جامعة بون قد وضح
سياسته » السابقة بشكل جيد ، فلماذا تابع النقد النقدي اشتغاله
بالسياسة بعد ان سوي النزاع ؟ فلنسمع الى هذا

« عند هذه النقطة كان **يجب** على النقد اما ان **يبقى** حيث كان واما ان
ينطلق مباشرة ابعد ليختبر جوهر السياسة ويقدمها على انها خصمه ؛ —
اذا كان من المحتمل فقط بالنسبة اليه ان يكون قادرا على ان يبقى حيث
كان في النضال عند ذلك الوقت ، **ومن جهة اخرى** ، لو لم تكن ذلك القانون
التاريخي البالغ الحزم الذي ينص على مبدأ ما ، عندما يقيس نفسه لأول
مرة مع نقيضه ، يجب ان ينهزم امامه

فيا له من مقطع دفاعي مبهج ! «النقد كان يجب أن يبقى حيث كان».
لو ان ذلك فقط كان ممكنا ان يكون قادرا أن يبقى حيث كان
من يجب أن يبقى حيث هو ؟ ومن يجب أن يفعل ما ليس ممكنا ليكون
قادرا على العمل ؟ » ومن جهة اخرى كان يجب على النقد ان يمضي قدما
لو لم يكن هناك **فقط** ، من جهة اخرى ، ذلك القانون التاريخي البالغ
الحزم الخ » والقوانين التاريخية هي ايضا **بالغة الحزم** مع
النقد المطلق ! لو انها **فقط** لم تقف في الطرف **المقابل** للنقد النقدي ، فأي
تقدم رائع تحققه هذا الاخير ولكن الحرب هي الحرب
(A la guerre comme à la guerre) يجب ان يتألم النقد النقدي في
التاريخ كي يتحول الى « قصة » مؤسفة

لو توجب على النقد » (لا يزال الهر بوير هو الذي يتكلم) « ان
يفعل ذلك ... فيجب التسليم في **الوقت نفسه** بأنه كان يشعر **بعد**

بالتردد عندما استسلم لمطالب من هذا النوع » (السياسي) « حيث انه دخل نتيجة هذه المطالب في تناقض مع **عناصره الحقيقية** وهو تناقض اوجد مسبقا حله في تلك العناصر

وقد فرضت القوانين البالغـة الحزم للتاريخ النقـد للضعف السياسي ، لكنه **يجب** التسليم **في الوقت نفسه** ، كما نتوسل بأنه كان فوق هذا الضعف ان لم في الواقع ، فعل الاقل في نفسه وقد تغلب عليه، قبل كل شيء ، **في الشعور** » لأنه « لا يزال يشعر بالتردد من مطالبه انه يشعر انه **بالضيق** في السياسة ، فهو لا يستطيع ان ندرك حقيقةحاله. واكثر من ذلك فقد دخـل في تناقض مع **عناصره الحقيقية** واخـيرا الشيء الاعظم من الجميع التناقض مع **عناصره** الاكثر حقيقة التي دخل فبه وجـد ليس في سياق **تطور** النقد ، بـل علـى العكس ، وجـد حله مسبقا **في العناصر** الحقيقية الموجودة وجودا مستقلا عـن ذلك التناقض ويمكن لهذه العناصر النقدية ان تتبجح بخيلاء كنا قبل ان نكون ابراهيم وقبل ان ينتج التطور نقيضنا فقد اضطجع غير مولود في رحمنا الفوضوي مدمرا ميتاً محلولا ولكن بما ان تناقض النقد مع عناصره الحقيقية قد وجد حله **مسبقا** في العناصر الحقيقية للنقـد وبما ن التناقض **المحلول** لم **يعد** تناقضا ، فانه وجد نفسه فعلا اذا اردنا الدقة في **لا** تناقض مع عناصره الحقيقية في **لا** تناقض مع نفسه و ـ ليبدو أن الهدف العام للدفاع الذاتي قد تم بلوغه

إن الدفاع الذاتي للنقد المطلق يملك معجماً دفاعياً بكامله

«لم نلاحظ» «كان الى جانب ذلك» «لم يتم بعد» «مع انه رغم ذلك»

ليس فقط بل بشكل عام» «تماما اذا ما تحدثنا بدقه فقط على النقد ان يعمل اذا كان ممكنا واذا كان من جهة اخرى» ، «لو ... يجب ان يسلم في الوقت نفسه لـم نكن ذاك طبيعيا لم يكـن حتميا « هذا .... » ... الخ

لقد قدم النقد المطلق ، ليس قبل وقت طويل من الآن ، **الرأي التالي** حول الجمل الاعتذارية التي من هذا النوع

مع ان و رغم ذلك و فعلا و لكن و «لا» سماوية و « نعم » ارضية هي **الاعمدة** الرئيسية للاهوت الحديث ، السيقان التي يمشي عليها ، الحيلة التي ينحصر فيها علمه كله ، العبارة التي ترد في جميع عباراته ، **الالف والياء** (Das ent decktes christenthum)

ب ـ المسألة اليهودية رقم (٣)

لم يبق « **النقد المطلق** حيث هو عندما اثبت بسيرته الذاتية **قدرته** الكلية المفردة الخاصة التي تخلق اولا القديم اذا تحدثنا بدقة ، **تماما** كما تخلق الجديد نه لم يبق حيث هو عندما **كتب شخصيا** الاعتذار عن ماضيه ، إنه يقيم جزءا ثالثا الآن ، وهو الباقي من العالم الدنيوي ، وهو المهمة المطلقة المهمة التي هي الآن المهمـــة الرئيسية » ، وهو **الدفاع** عن افعال بوير العظيمة « ومؤلفاته »

نشرت **الحولية الالمانية الفرنسية** نقدا لكتاب الهر بوير **للمسالة اليهودية*** ، وقد انكشفت خطيئته الأساسية وهي الخلط بين التحرر « **السياسي** » والتحرر « الانساني » ولنسلم ان المسألة اليهودية القديمة لم تكن بادىء الامر قد صح «**وضعها الصحيح** كانت المسألـــة اليهودية تعـــالج وتحل في الوضع الذي اعطته التطورات الجديدة للمسائل القديمـــة وبالنتيجة غدت الاخيرة مسائل الحاضر بدلا من ان تكون مسائل المـــاضي

ويبدو أن الحملة الثالثة للنقد المطلق ترد على **الحولية الالمانيـــة الفرنسية** في البدء يسلم النقد المطلق بأن في **الحولية** نجد السهو نفسه ــ فالانساني والسياسي قد جعلا شيئا واحدا

★ هو النقد الذي تناول كتاب ماركس « في المسألة اليهودية » وترجم الكتاب الى العربية محمد العيتاني وصدر عن مكتبة المعارف في بيروت عام ١٩٥٦ (المترجم)

يلاحظ النقـد

«سيكون الاوان قد فات جدا كي **نقدم** النقد **لموقفه**الذي كان نتبناه جزئيا بعد قبل **سنتين** خلتا المسألةهيبالاحرى تقديم شرحتن... لماذا اشتغل النقد حتى بالسياسة» قبل سنتين علينا ان نعد وفقا للتسلسل التاريخي المطلق من ولاده المخلص النقدي وهو الصحيفة الادبيه لبرونو بوير ، فقد ولد المخلص النقدي في عام ١٨٤٣ وفي السنه نفسها صدرت طبعة ثانية موسعة من كتاب **المسألة اليهودية** وظهرت الاطروحة النقدية حول المسألة اليهوديه في كتاب **« قـدرة اليهود والمسيحيين المعاصرين في الحصول على الحرية »** في اواخر السنة ذاتها .عام١٨٤٣حسب التقويم القديم. وبعد **سقوط الحولية الالمانية والصحيفة الرينانية** فينفس العام ١٨٤٣ حسب التقويم القديم ، ظهر كتاب **الدولة والدين والحزب ،** **وهو** كتاب سياسي وهمي كرر تقريبا الاخطاء القديمه نفسها حول «جوهر السياسة وقد اضطر صاحب الدفاع يزور التسلسل التاريخي

و تفسير سبب اضطـرار الهر بوير لـلاشتغال حتى في السياسة يبقى ذا أهمية عامة ضمن ظروف معينة والحقيقة لو ان عصمة النقـد المطلق وصفاءه ومطلقيتـه اعتبـرت **عقيدة اساسية ،** فان الوقائع التي تناقض تلك العقيده تنقلب الى الغاز صعبة وعميقـه وسرية كما هي اعمال الرب غير الالهيه ظاهريا بالنسبه لرجال الكهنوت

ولو ان الناقد جهه اخرى اعتبر فردا محدودا به لم ينفصل عن حدود عصره فان المرء سيعفي من الرد على سؤال **ماذا** **يتوجب** على الناقد ان يتطور **حتـى** ضمن العالـم لأن **السؤال** نفسه يوجد بعد الآن

ومع ذلك اذا الح النقد النقدي المطلق على طلبه ، فانه يمكن للمرء ان يعرض تقديم اطروحةمدرسيهصغيرةجميلة تعالج **« مسائل العصر »** التالية:

لماذا لم يضطر احد ان يثبت حمل مريم العذراء من الروح القدس سوى الهر برونو بوير ؟

لماذا اضطر الهر بوير ان يثبت ان الملاك الذي ظهر لابراهيم كان انبثاقا **حقيقيا** من الرب ، انبثاقا يفتقر مع ذلك الى القوام الضروري من اجل هضم الطعام ؟ »

« لماذا اضطر الهر بوير ان يقدم دفاعاً عن البيت الملكي البروسي وان يرفع الدولة البروسية الى مرتبة الدولة المطلقة ؟ لماذا اضطر الهر بوير في كتابه نقد **السينوبتيك** (الاناجيل الثلاثة الاولى) ان يستبدل الوعي الذاتي غير المحدود بالانسان ؟

لماذا اضطر الهر بوير في كتابه (Das ent decktes christenthum) ان يكرر نظرية الخلق المسيحية على شكل نظرية هيغلية ؟

« لماذا اضطر الهر بوير ان يطلب من نفسه ومن الآخرين تفسيراً للتعجب من انه يجب ان نكون قد أخطأ ؟

وريثما ننتظر الادلة على تلك الاضطرارات التي هي نقدية تماما كما هي مطلقة ، دعنا نستمع مرة اخرى الى المراوغات الاعتذارية للنقد

« المسألة اليهودية كان لا بد لها . . . اولا انتأخذ وضعها الصحيح باعتبارها مسألة **دينية ولاهوتية وسياسية** اما بوصفه معالجة وحلاً لكلتا هاتين المسألتين ، فان **النقد** لا هو **ديني** ولا هو **سياسي**

القضية هي ان **الحولية الالمانية الفرنسية** تعلن عن معالجة الهر بوير للمسألة اليهودية انها **فعلا** معالجة لاهوتية سياسية ــ وهمية

وبادىء ذي بدء ، فان «النقد» يجيب عن «لوم» بالمحدودية **اللاهوتية:**

المسألة اليهودية مسألة **دينية** تدعو عصر التنوير الى حلها عن طريق وصف **التناقض الديني وكأنه** تناقض لا **أهمية له** او عن طريق

انكارها انكارا كليا اما **النقد** ، فعلى العكس لا بد له ان يقدمها خالصة من كل شائبة

وعندما نصل الى القسم **السياسي** من المسألة اليهودية فسوف نرى ايضا ان الهر بوير اللاهوتي لا يعالج السياسة بل اللاهوت

ولكن عندما هاجمت الحولية الالمانية ـ الفرنسية معالجته للمسألة اليهودية على انها **معالجة** « دينية خالصة فقد كانت معنية بشكل رئيسي **بمقالته في مجلة** Einundzwanzig Bogen aus des Shuceiz التي كان عنوانها « **قدرة** المسيحيين **ويهود** اليوم في الحصول على الحرية».

لم تجد هذه المقالة شيئا تفعله مع عصر التنوير القد انها تتضمن نظرة الهر بوير **الايجابية** حول قابلية يهود اليوم للتحرر اي عن امكانيــة تحررهــم

يقول النقد المسألة اليهودية مسألة **دينية** »

والسؤال ما هي المسألة **الدينية** ؟ وبشــكل خاص ما هي المسألــة الدينية اليوم ؟

سيحكم **اللاهوتي** الامور عن طريق **الظواهر** ويرى في المسألة الدينية **مسألة دينية** ولكن « النقد يجب ان يتذكر الشرح الذي قدمه ضـــد **الهر** هنريك ان للمصالح **السياسية** في الوقت الحاضر اهميــة **اجتماعية** يعني انها ليست **بعد الآن** مسألة مصالح **سياسية**

كانت **الحولية الالمانية ـ الفرنسية** على حق عندما قالت لـ «النقد»: ان المسألة **الدينية** الحالية **تملك** اهمية **اجتماعية** في الوقت الحاضر انها لم **تعد** مسألة مصالح **دينية** من حيث هي مصالح دينية واللاهوتــي وحــده يمكــن ان يؤمــن بأنها مسألــة ديــن كديــن ولنسلم أن **الحولية الالمانية ـ الفرنسية** اقترفت خطأ هو عدم توقفها عند كلمــة «اجتماعي» . لقد شخصت الوضع **الحقيقي** لليهود في المجتمع المدني الحالي.

وما دام الشعب اليهودي قد عري من القوقعة الدينية التي كان **مقنعاً** فيها ورد الى نواته العملية الدنيوية التجريبيــة ، فان السبيـــل **الاجتمـاعي الحقيقي** العملي الذي يجب ان تلغى فيه تلك النواة يمكن ان يتحدد كان الهر بوير راضيا بـ « **المسألة الدينية** لكونها « مسألة دينية »

لم ننكر في حال من الاحوال ، كمـــا يدعي الهر بويـــر ، ان تكون المسألة اليهودية » مسألة **دينية** ايضا ويقال على العكس إن الهر بوير ستوعب **الجوهر الديني** للشعب اليهـــودي وليس الاساس الحقيقي **الدنيوي** لذلك الجوهر الديني انه يعارض الوعي الديني كما لو انه كائن مستقل ولذلك فان الهر بوير نفسر اليهود **الحقيقيين** عن طريق **الدين اليهودي** بدلا من تفسير سر الدين اليهودي عن طريق اليهود الحقيقيين . ولذلك نفهم الهر بوير اليهودي فقط بقدر ماهو موضوع فوري **لعلم اللاهوت** او لاهوتـــي

وما كان يمكن ان يكون لديه ادنى شكك بذلك لانه لم يعرف الشعب اليهودي بصفته حلقة في العـــالم الحقيقي ، بـــل فقط بصفتـــــه حلقة **المدنية الحالية** ، ويجد تطوره الاخير في **النظام النقدي*** .

وما كان ممكن ان يكون لديه ادنى شك بذلك لانه لم يعرف الشعب هودي بصفته حلقة في العالـــم الحقيقي ، بل فقط بصفته حلقـــة في عـــالم ه **اللاهوت** ؛ لانه كرجـــل تقي ورع لا يعتبـــر **اليهـودي اليومي** هو **اليهودي الحقيقي** ، بل يعتبر **اليهودي السبتي** هـــو **اليهودي الحقيقي** بالنسبة للهر بوير لاهوتي **الايمان المسيحي** يجب ان تبطـل الاهميه **التاريخية** للشعب اليهودي **في اللحظة** التي **تولد** فيها المسيحية ولهذا السبب عليه ان يكرر الراي الارثوذكسي القديم ان الشعب اليهودي حافظ على نفسه **بالرغم من التاريخ** ؛ عليه ان يخدم مرة اخرى **في** شكل **لاهوتي — نقدي** الخرافة اللاهوتية القديمة القائلة ان الشعب اليهودي يوجد فقط كتأكيد للعنة المقدسة ، **كدليل ملموس** للوحي المسيحي ؛ انه وجـــد

★ النقدي هنا بمعنى المالي ولا علاقة لها بمذهب النقد النقدي . (المترجم)

ويوجد فقط باعتاره **شكلا دينيا مبتذلا** للاصل الغيبي للمسيحية ، أي باعتباره **دليلا** ملموسا ضد الوحي المسيحي

اما في **الحولية الالمانية ـ الفرنسية** فعلى العكس اذ جرى اثبات ان الشعب اليهودي حافظ على نفسه وتطور **عبر** التاريخ في **التاريخ ومع** التاريخ ، وان ذلك التطور يمكن ان تدرسه لا عين اللاهوتي بل عين الانسان العادي ، لانه يمكن ان نجده ليس في **النظرية الدينية** بل في **النشاط العملي الصناعي والتجاري** فقط . لقد شرح لماذا الشعب اليهودي العملي يصل الكمال فقط في كمال العالم **المسيحي** ولماذا هو **النشاط العملي** التام للعالم المسيحي نفسه فلا يمكن تفسير وجود اليهودي الحالي بدينه وكأنه كائن مستقل قائم على حدة وانما نفسر انتعاش الدين اليهودي بالعوامل العملية للمجتمع المدني الذي انعكس وهميا في ذلك الدين ان تحرر اليهود لجعلهم كائنات بشرية أو التحرر الانساني للشعب اليهودي لا يمكن تصوره كما يقول الهر بوير مهمة خاصة باليهود وانما هو مهمة عملية عامة لعالم اليوم بأسره الذي هو **يهودي** حتى الصميم لقد بين ان مهمة الغاء جوهر الشعب اليهودي هو في الحقيقة مهمة الغاء **الشعب اليهودي في المجتمع المدني** ، الغاء اللا انسانية من الممارسة اليومية للحياة ، التي تقف النظام النقدي* في ذروتها

ولا يستطيع الهر بوير ، **اللاهوتي الحقيقي** بالرغم من انه لاهوتي **نقدي** او **نقد لاهوتي** ان يتخطى التناقض الديني . وفي موقف اليهود من العالم المسيحي فانه لا يرى سوى موقف الدين اليهودي من **الدين المسيحي** حتى انه يعيد التعارض الديني نقديا **في طباق** بين مواقف اليهودي والمسيحي من الدين **النقدي ـ الالحاد** المرحلة الاخيرة من **الربوبية** الاقرار **السلبي** بالاله وأخيرا **في** تعصبه **اللاهوتي** اضطر ان **يحدد** قدرة «اليهود والمسيحيين اليوم» اي العالم المعاصر على الحصول على الحرية بقدرتهم على

---

* أي النظام المالي (المترجم)

استيعاب نقد اللاهوت وتطبيقه بأنفسهم ذلــك ان العالم بالنسبة **للاهوتي الارثوذكسي ينحل في** «دين ولاهوت» (انه يستطيع ايضا ان يحله في السياسة ، في الاقتصاد السياسي الخ ويدعو **اللاهوت اقتصاداً سياسيا** سماويا ، وكأنه تعاليم الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهــلاك ل «**الثروة السماوية**» وكنوز السماء) كذلك نجد ان **قدرة** العالم في الحصول على الحرية تنحل بالنسبة للراديكالي واللاهوتي النقدي في قدرة مجردة **مفردة** على نقد «الدين واللاهوت» باعتبارهما «ديناولاهوتا». والنضال الوحيد الذي يعرفه هو نضال الحدود الدينية للوعي الذاتي الذي ليس صفاؤه النقدي و عدم محدوديته اكثر من حد لاهوتي

ولذلك فان بوير يعالج المسائل **الدينية واللاهوتية** بالطريقة **الدينيــة واللاهوتية** ، لانه راى فقط في المسألة « الدينية للعصر مسألة « دينيــة خالصة ان وضعه الصحيح للمسألة نقيم المسألة «بشكل صحيح» فقط في مجال «**قدرته الخاصة**» على الاجابة !

فلننتقل الآن الى الجزء السياسي **للمسألة اليهودية** ان **اليهــود** (كالمسيحيين) **متحررون سياسيا** تحررا تاما في مختلف الدول وكل من اليهود والمسيحيين بعيدون عن ان يكونوا متحررين **انسانيا** ولذا يجب ان يكون ثمة **اختلاف** بين التحرر **السياسي** والتحرر **الانساني** إن جوهر التحرر **السياسي** اي جوهر الدولة الحديثة المتطورة ، يجب ان يوضــع موضع الدراسة ومن جهة اخرى ان الدول التي لا تستطيع بعد ان تحرر اليهود **سياسيا** يجب ان تصنف بالمقارنة مع الدول السياسية الناضجة ويجب ان تعتبر دولا متخلفة

تلك كانت وجهة النظر التي منها يجب ان نعالج التحرر **السياسي**» لليهود والتي منها انطلقت **الحولية الالمانية ــ الفرنسية** «هدم الهر بوير الدفاع المثالي لـ نقد » **المسألة اليهودية :**

لقد بين اليهود انهم نقعون في اعظم الاوهام فيما يخصهم من **النظام** الذي يطالبون بالتحرر منه

لقد بين للهر بوير ان وهم اليهود **الالمان** كان المطالبة بحق المساهمة في الحياة السياسية العامة في أرض لم تكن فيها حياة سياسية عامة. **والمطالبة بالحقوق السياسية** حيث لا وجود الا لامتيازات سياسية فقط ومن جهة اخرى ، بين للهر بوير نه هو نفسه صنع اوهاما بخصوص النظام السياسي الالماني لا نقل عن أوهام اليهود وكان وهمه انه شرح وضع ايهود في الدول الالمانية بالعجز المزعوم لـ الدولة المسيحية عن تحرير اليهود سياسيا لقـــد سخر من الوقائـــع وشيد دولة **الامتيازات** ـ الدولة الالمانية المسيحية ـ على انها الدولة المسيحية المطلقة وعلى العكس. فقد اثبت له ان الدولة الحديثة الكاملة سياسيا والتي لا تعرف امتيازات دينية هي ايضا الدولة **المسيحية** الكاملة ولذا فان تلك الدولة المسيحية التامة **لا تستطيع** فقط تحرير اليهود بل حررتهم ويجب ان تحررهـــم بحكم طبيعتها الفعلية

لقد بين لليهود انهم يملكون اعظم الاوهام فيما يتعلق بانفسهم عندما عزموا على المطالبة ـ **بالحرية والاقرار بانسانيتهم الحرة** حسب المقصود بالنسبة اليهم ولا يمكن ان تكون شيء آخر مقصودا هي مسألـــة **امتياز** خاص فقط

الحرية ؟ انها قضية حرية سياسية ؟ لقد بيَّن للهر بوير ان اليهودي يمكن عن طريقها تجاوز مسائل معينة عن طريق الدفاع

الحرية ؟ انها قضية حرية سياسية ؟ لقد بين للهر بوير ان اليهودي اذا طالب بالحرية ولم يتخل مع ذلك عن دينه فانه ينهمـــك في السياسة» ولا يضع شروطا منافية للحرية السياسية لقد بين للهر بوير انه مما يناقض التحرر السياسي بشكل مطلق **تقسيم** الانسان الى **مواطن** غير ديني **وفرد خاص** ديني لقد بين له انه كما تحرر الدولة نفسها من الدين بتحرير نفسها من **دين الدولة** وترك الدين لنفسه داخل المجتمع المدني كذلك الفرد ، فانه يحرر نفسه **سياسيا** من الدين عندما يكون موقفه منـــه ليس كقضية عامة بل كقضية **خاصة** اخيرا بين له ان الموقف **الارهابي للثورة الفرنسية** من الدين أبعد من ان يفند هذا المفهوم بل يؤيده .

وبدلا من دراسة موقف الدولة **الحديثة** من الدين ، ظن الهر بوير أن من الضروري تخيل دولة **نقدية** ليست شيئا آخر سوى **نقد اللاهوت وقد اسع حتى بلغ حجم الدولة** في خيال الهر بوير واذا كان الهر بوير سجين السياسة فانه يجعل السياسة سجينة ايمانه ، الايمان **النقدي** وبقدر ما يعالج الدولة فانه يجعل منها دائما حجة ضد الخصم ضد الدين **غير النقدي** وضد اللاهوت ان الدولة تعمل كمنفذ للرغبات **اللاهوتية النقدية** .

وعندما حرر الهر بوير نفسه أولا من اللاهوت الارثوذكسي* غير النقدي حلت **السلطة السياسية** بالنسبة اليه مكان السلطة الدينية وتحول ايمانه بيهوه الى ايمان بالدولة البروسية وفي اطروحة برونو بوير (Die evangelische landeskirche Preufiens und die - Wissenschaft) ليست الدولة البروسية وحدها هي التي شيدت الى دولة **مطلقة** فقط وانما البيت الملكي البروسي ايضا والواقع ان الهر بوير لا مصلحة **سياسية** له في تلك الدولة فقد كانت ميزتها في عيني النقد انها الغت العقائد بوسائل **الكنيسة الموحدة** واضطهدت الطوائف المنشقة بمساعدة **البوليس** .

انقذت الحركة السياسية التي ابتدأت في عام ١٨٤٠ الهر بوير من **سياسته المحافظة** ورفعته لبرهة الى السياسة **الليبرالية** ولكن السياسة هنا كانت في الواقع **ذريعة** للاهوت ان الدولة الحرة في كتابه (Die gute Sache der Freiheit und meine eigene Angelegenheit) هي نقد لكلية لاهوت بون وحجة ضد الدين وفي كتاب **المسالة اليهودية** ، يشكل العداء بين الدولة والكنيسة الاهمية الرئيسية بحيث ان نقد التحرر السياسي ينقلب الى نقد الدين اليهودي. وفي كتابه الاخير **الدولة والدين والحزب** عبر عن الرغبة السرية العظمى التي

★ : الارثوذكسية هي صفة تطلق على العقيدة الاصلية المتشددة (المترجم)

وصلت في اتساعها عند الناقد الى حجم الدولة. لقد **نحر الدين** من أجـــل الدولة ، أو بتعبير دقة،الدولة هي **الوسائل** التي بواسطتها يهيأ للموت عدو **النقد** ، أي الدين غير النقدي واللاهوت واخيراً بعد ان جرى إنقـــاذ النقد ، وان بشكل ظاهري فقط ، من كل سياسة عـــن طريق الافكار الاشتراكية التي انتشرت في المانيا من ١٨٤٣ وما بعد بالطريقة نفسها التي انفذت بها سياسته المحافظة بواسطة الحركة السياسية بعد عام ١٨٤٠ ، اصبح اخيرا قادراً على اعلان اطروحاته ضد اللاهوت **غير النقدي** على انها اطروحات اجتماعية والانهماك على هواه في لاهوته **النقدي** ، التعارض بين الروح والجمهور ، على انه البشارة بالمخلص النقد وفادي العالم

ولكن دعنا نرجع الى موضوعنا

الاقرار بالانسانية الحرة ؟ الانسانية الحرة » التي لا يقصد اليهود استهدافها فحسب بل يستهدفونها فعلا ، هي «الانسانية الحرة» نفسها التي وجدت الاقرار **الكلاسيكي** فيما يسمى **حقوق الانسان الشاملة** ان الهر بوير نفسه يعالج رغبة اليهود في الاقرار بانسانيتهم الحرة بكل صراحة من حيث هي الرغبة في الحصول على **حقوق الانسان** الشاملة

في الحولية الالمانية ــ الفرنسية أوضح للهر بوير ان انسانيتـــه الحرة » و « الاقرار » بها ليسا سوى الاقرار **بالفرد المدني الالماني** والاقرار بالحركة المنفلتة للعناصر المادية والروحية التي هي مضمون وضع حياته ، مضمون الحياة المدنية **اليوم** ؛ وان حقوق الانسان لا تحرر الانسان بالتالي من الدين بل تمنحه **حرية الدين** ؛ وان حقوق الانسان لا تحرره من الملكية ، بل تيسر له **حركة الملكية** ؛ وان حقوق الانسان لا تحرره من حقارة الربح وانما تقدم له **حرية اختيار اسباب الرزق** .

لقد بين له ان الاقرار بحقوق **الانسان** عن طريق **الدولة** الحديثـــة لا يعني شيئا اكثر مما عناه **الاقرار بالعبودية من قبـــل الدولة القديمة**. وفي الطريقة نفسها ، بتعبير آخر ، كما كانت العبودية **الاساس الطبيعي للدولة**

القديمة ، **كذلك تملك الدولة الحديثة** اساسها الطبيعي **في** المجتمع المدني **وانسان** المجتمع المدني ، أي الانسان المستقل المعتمد على أناس آخرين عن طريق المصلحة الخاصة والضرورة الطبيعية **غير الواعية** فقط ، عن العمل النفعي وحاجاته الخاصة وحاجات الآخرين **الانانية** وقد اقرت هـذا الدولة الحديثة باعتباره اساسها الطبيعي في **حقوق الانسان الشاملة** .

انها لم تخلقه وبما انها المجتمع المدني الذي دفعها وراء قيوده عن طريق تطوره الخاص، فانها الآن تقر بالرحم الذي ولده منه وبأساسها عن طريق **اعلان حقوق الانسان** ولذا فان التحرر السياسي لليهود والتسليم لهم ب « **حقـوق الانسان** » هو عمل جانباه معتمدان على بعضهما بالتبادل وقد عبر الهر **ريسر** بدقة عن معنى رغبة اليهود من أجل الاقرار بانسانيتهم الحرة عندما طالب ، من بين ما طالب به ، بحرية الحركـة ، والاقامة وكسب العيش الخ هذه التظاهرات لـ **« الانسانية الحرة »** اقرت بوضوح في الاعلان الفرنسي لحقوق الانسان ولليهودي كل الحق في ان يقر ب « انسانيتـه الحرة » بقدر ما يكون المجتمع المدني الحر تجاريا ويهوديا بشكل كامل واليهودي حلقـة ضرورية فيـه واكثر فاكثر كشفت **الحوليـة الالمانية – الفرنسية** لـماذا يدعى عضو المجتمـع المدني « انسانا » ممتازا، par excellence ولماذا سميت حقوق الانسان ب «الحقوق الفطرية»

كان الشيء النقدي الوحيد الذي يستطيع **النقد** أن **يتحـدث به عن** حقوق الانسان هو ان هذه الحقوق **ليست** طبيعية وانما نشـأت **في مجرى** التاريخ ، وهذا ما اخبرنا به **هيغل** من قبل واخيرا فان تأكيده بأن اليهود والمسيحيين على حد سواء، كي يمنحوا او ينالوا الحقوق الشاملة للانسان، **يجب ان يضحوا بامتياز الايمان** – يفترض اللاهوتي النقدي فكرته الثابتة **الوحيدة في** اساس كل شيء – قد تعارض بشكل خاص مـع الواقـع المشتمل **في** كل الاعلانات غير النقدية لحقوق الانسان ، ان **الحق في ان يؤمن** المرء بما يرغب ، الحق في ان يمارس اي دين ، اقر ببساطة على **انه حـق**

الانسان الشامل والى جانب ذلك ، يجب أن يعلم « النقـــد » ان حزب هربرت اندحر بصورة رئيسية من جراء ان تهجم على حقوق الانسان عندما تهجـــم على **حريـــة الديـــن** ؛ وبالمثل فـــان حقوق الانسان اثـــيرت أخيرا عندما اعيدت حرية العبادة .

بقدر ما يؤخذ جوهـــر **السياسة** بعيـــن الاعتبار ، يتبـــع **النقـد** تناقضاته الى النقطة التي حصل فيها **التناقض بين النظرية والتطبيق** على افضل تعبير عنه قبل خمسين سنة خلت ، الى **النظام التمثيلي الفرنسي** الذي كان فيه التطبيق يتنصل من نظرية الحرية وعبثا تبحث حريـــة الحياة العملية عن تعبيرها في النظرية .

عنـــدما انجلى الوهـــم الاساسي ، انكشف في **مناقشات المجلس الفرنسي** ، التناقض بين **نظرية الحرية والمضمون العملي للامتيازات** ، بين المضمون الشرعي للامتيازات **والنظام العام** الذي تحاول فيه **انانية الفـرد** أن تسيطر على **كل امتياز** ، هذا التناقض يجب أن يؤخذ على أنـــه **تناقض عام** في هذا المجال »

لم يكن التناقض الذي كشفه « النقد » في مناقشات المجلس الفرنسي الا تناقض **النظام الدستوري** ولو فهم النقد هذا على انه نناقض **عـــام فقد** كان يجب ان يفهم التناقض العام للنظام الدستوري . ولو ذهب اكثر مما كان يجب في رأيه ان يذهب ، واذا اردنا الدقة لو مضى حتى **الغاء** هذا التناقض العام ، فقد كان يجب ان ينطلق بصورة صحيحة من **الملكية** الدستورية الى **الدولة التمثيلية الديمقراطية** ، الدولة الحديثة التامة وبعيدا عن انتقاد جوهر التحرر السياسي ، واثبات علاقته المحدودة بجوهر الانسان فقد كان يصل فقط الى النقطة حيث يتطابق وجود الدولة الحديثـــة مـــع جوهرها وحيث لا نلاحظ فقط **الآثام** النسبية ونصفها بل الآثام المطلقة ، تلك التي تؤلف جوهرها الحقيقي

ان المقطع « النقدي » المقتبس سابقا ثمين يزداد قيمة بقدر ما ينجح

كثيرا في أن يثبت اثباتا لا يقاربه شك ان **النقد** يرى « الجوهر السياسي » تحته بكثير ، فانه حقا تحت السياسة بكثير ؛ انه لا يزال يحتاج أن يجد في السياسة الحل لتناقضاته الخاصة ولا يزال يصر على عدم تقديم فكرة عن **المبدأ الحديث للدولة** .

يعارض النقد « النظرية الحرة » بـ « **المضمون العملي للامتيازات** » و « **المضمون الشرعي للامتيازات** » يعارضه بـ « النظام العام »

وحتى لا نسيء شرح رأي **النقد** ، دعنا نتذكر التناقض الذي كشفه في مناقشات المجلس الفرنسي ، التناقض الفعلي الذي كان «يجب ان يفهم» على انه تناقض عام كانت احدى المسائل المطروقة للمعالجة في المجلس هي مسألة تثبيت يوم من أيام الاسبوع لا يذهب فيه الاطفال الى المدرسة. وقد اقترح يوم الاحد واقترح احد النواب انه لا يجوز لنا دستوريا أن نشير الى يوم الاحد في القانون ورأى الوزير مارتان (من الشمال) في ذلك الاقتراح محاولة للتأكيد أن المسيحية لا وجود لها واعلن المسيو كريميو نيابة عن اليهود الفرنسيين ، ان اليهود بدافع الاحترام لدين اكثرية الفرنسيين لا يرفضون ان يذكر يوم الاحد والآن حسب النظرية الحرة يكون اليهود والمسيحيون متساوين ولكن حسب التطبيق يكون المسيحيون قد حظوا بامتياز على اليهود ، والا كيف يمكن لـ « أحد » المسيحيين أن يسجل في قانون وضع لكل فرنسي؟ الا يجب ان يملك سبت اليهود الحق نفسه. . . الخ؟ والا فاليهودي ليس مضطهدا فعلا من قبل الامتيازات المسيحية في الحياة العملية للفرنسيين أيضا ، بل ان القانون لا يجرؤ على التعبير عن المساواة العملية ان كل التناقضات في جوهر السياسة التي كشفها الهر بوير في المسألة اليهودية هي من هذا القبيل ـ تناقضات **النظام الدستوري** ، أي بشكل عام ، التناقض بين الدولة التمثيلية الحديثة والدولة القديمة للامتيازات

يرتكب الهر بوير سهوا خطيرا عندما يعتقد انة ارتفع من الجوهر السياسي الى الجوهر الانساني ، بفهمه ونقده لهذا التناقض على أساس

انه تناقض « عام » انه بهذا لا يفعل شيئا سوى ان يصعد من نصف التحرر السياسي الى التحرر السياسي الكامل ، من الدولة الدستورية الى الدولة التمثيلية الديمقراطية

يعتقد الهر بوير **انه** بابطال **الامتيازات** يبطل **موضوع** الامتياز ايضا ويقول فيما يتعلق بتقرير المسيو مارتان (من الشمال)

« **لا وجود للدين** البتة عندما **لا يوجد دين ذو امتياز** فانزع من الدين قوته الحصرية وعندئذ لن يبقى له وجود

وكما أن **الفعالية الصناعية** لا تبطل بابطال **امتيازات التجارة** والنقابات والتعاونيات ، بل على العكس ، اذ تبدأ الصناعة الحقيقية فقط بعد ابطال الامتيازات ، كذلك **ملكية الارض لا** تبطل عندما تبطل **امتيازات** ملكية الارض بل على العكس ، تبدأ حركتها الشاملة بابطال الامتيازات والتقسيم الحر والتصرف الحر بالارض ، كما ان **التجارة** لا تبطل بابطال **الامتيازات التجارية** ، بل تجد تجسيدها الحقيقي في حرية التجارة ، وهكذا يتطور الدين في شموله **العملي** فقط حيث لا يوجد دين **ذو امتياز** (قارن الولايات الاميركية الشمالية)

ان « **النظام العام** » ، اي الدولة الحديثة المتطورة ، لم تقم كما يعتقد **النقد** ، على مجتمع من الامتيازات ، بل على مجتمع **ابطلت فيه الامتيازات وحلت** ، على **مجتمع مدني** متطور قائم على العناصر الحيوية التي كانت لا تزال مفيدة سياسيا في النظام الامتيازي ومن ثم تحررت هنا لا تقف « المحصورية الامتيازية » في تعارض لاي محصورية أخرى او اي نظام عام. ان حرية الصناعة وحرية التجارة يبطلان المحصورية الامتيازية وبذلك يبطل الصراع بين المحصوريات الامتيازية وفي مكان ذلك تنصب انسانا مجردا من كل امتياز – ينعزل عن الكل الاجتماعي ولكن في الوقت نفسه ينضم الى محصورية اضيق – انسانا لا يرتبط بالناس الآخرين حتى عن

طريق **مظهر الـــروابط العامـــة** وهكذا فانهـا تنتـــج النضـــال الشامل للانسان ضد الانسان ، للفرد ضد الفرد وبالطريقة نفسها **نجد المجتمع المدني** ككل هو هذه الحرب بين اولئك الافراد الذين ما انعزلوا عن الآخرين بأي شيء آخر سوى **فرديتهم** ، وتحررت الحركة الجامحة الشاملة للقوى الاساسية للحياة من قيود الامتياز ان التناقض بيـن **الـدولـة التمثيلية الديمقراطية والمجتمع المدني** هو اكتمال التناقض الكلاسيكي بين دولة **الكومنوولث** العامة **والعبودية** كل امرىء في العالم الحدث هـو في الوقتنفسه عضو فيالعبودية وفيالكومنولث العام.انعبوديةالمجتمعالمدنيهي **الحرية** العظمى في المظهر فقط لانها **الاستقلال** التام للفرد في المظهر

في الواقع ان الفرد يعتبر الحركة حريته **الخاصة** ، الحركة التي لم تلجم ولم تقيد برابط عام او بانسان ، حركة عناصر حياتـه الاغترابية ، مثل الملكية والصناعة والدين الخ ذاك هو في الحقيقة اكتمال عبوديته ولا انسانيته ان **الحق** هنا يحل مكان الامتياز

ولذلك فانه هنا فقط ، حيث لا نجـد تناقضا بين نظرية الحـرية والمضمون العملي للامتياز بل على العكس الالغاء العملي للامتياز الصناعةالحرة،التجارةالحرة ...الخ ، بصورةمتطابقة مع «النظريةالحرة» حيث النظام العام لا تواجهه اي محصورية امتيازية ، حيث يبطل التناقض الذي اكتشفه النقد ، هنا فقط **نجد الدولة الحديثة الجاهزة .**

هنا يسود عكس القانون الذي صاغـه الهر بوير بالارتباط مـــع مناقشات المجلس الفرنسي ، في اتفاق كامل مع المسيو مارتان (منالشمال).

بما ان المسيو مارتان (من الشمال) راى في الاقتراح الذي يطالب الا يشار الى **يوم الاحد** في القانون اقتراحا يعلن عن عدم وجود المسيحية ، ويمكن بالحق نفسه ، **والحق المكفول تماما** أن يكون الاعلان **ان قانون السبت** الذي لا يلزم اليهود سيكون **اعلانا بانحلال اليهودية »** .

ان الامر على العكس **في** الدولة الحديثة المتطورة ، فالدولة تعلن أن الدين ، مثل المقومات الاخرى للحياة المدنية ، **يبدأ** وجوده كليا عندما تعلن الدولة أنه دين **غير سياسي** ، وهكذا تتركه لـذاته ، أما بالنسبة لانحـلال الوجود **السياسي** لتلك المقومات ، مثلا انحلال **الملكية** بابطال الضريبة علـى الناخبين ، وانحلال **الدين** بابطال كنيسة الدولة هـذا الاعلان الفعلي عن موتها المدني يقابل حياتها التي تخضع اذن لقوانينها الخاصة غـير المعكرة وتتطور حتى غايتها

الفوضى هي قانون المجتمع المدني المتحرر من **الامتيازات** المتفرقـة ، وفوضى المجتمع المدني هي أساس **النظام العام** الحديث ، تماما كمـا أن النظام العام يضمن بدوره تلك الفوضى ، وبما أن الاثنين متعارضان الـى هذا الحد ، فان كل واحد يحدد الآخر ايضا

لقد اتضحت قدرة **النقد** على تمثيل الجديد ولكن ان بقينـا داخل ارتباطات « النقد الصافي » فستواجهنا مسألة لماذا لم يفهم النقد التناقض الذي كشفه فيما يتعلـق بمناقشات المجلس الفرنسي على انـه تناقض شامل ، مع ان ذلك في رايه الخاص هو ما **يجب** أن يكون ؟

« اذن **كانت** تلك الخطوة ، على اي حـال ، مستحيلة ـ ليس فقط بسبب ليس فقط بسبب ... **ولكن** ايضا بسبب ان النقد مـن دون ذلك **الباقي الاخير** للورطةالداخلية معنقيضه،كان مستحيلا ، **ولا يستطيع ان يصل الى النقطة** التي خطا منها خطوة واحدة فقط »

كان مستحيلا بسبب انه كان مستحيلا ! ويؤكـد النقد اكثر من ذلك ، ان « الخطوة الواحدة » الحاسمة الضرورية « للوصول الى النقطة التي خطا منها **خطوة واحدة** فقط » كانت مستحيلة . من ينازع في ذلك ؟ وفي سبيل الوصول الىالنقطةالتيتوجدمنها **خطوة واحدة** فقط للقيام بها ، من المستحيل قطعا ان نقوم بتلك « الخطوة الواحدة » التي تقود الى

ما وراء النقطة التي لا تزال توجد ما وراءها خطوة واحدة بعد

كل ما هو جيد ينتهي نهاية جيدة ! وفي نهاية التصادم مع الجمهور ، الذي يعادي « المسألة اليهودية » للنقد ، يسلم « النقد » ان مفهومه عن « حقوق الانسان » ، « تقديره للدين في الثورة الفرنسية » « الجوهر انسياسي الحر الذي اشار اليه صدفة في **استنتاج** تقديراته وباختصار، لم يكن كل ذلك الزمن للثورةالفرنسية بالنسبة **للنقد** اكثر من رمز لا اكثر ولا اقل — أي ليس زمن الافعال الثورية للفرنسيين بالمعنى الدقيق والعادي ، **بل رمز ، فقط** تعبير **وهمي للاشكال التي شوهدت في النهاية ».** **لن نجرد** النقد **من العزاء انه** عندما **اخطأ** سياسيا ، **فانما فعل ذلك في** النتيجة فقط وفي « نهاية » مؤلفاته لقد اعاد سكير معروف ان يعزي **نفسه بالاعتقاد انه لم يشرب قبل منتصف الليل .**

يربح النقد الميدان **باستمرار ودون جدال في المسألة اليهودية من** الخصم .في رقم ١ من **المسألة اليهودية** كانت اطروحة « النقد » التي دافع عنها الهر **بوير لا تزال مطلقة** ، وكشفت الاهمية **« الحقيقية »** و **« العامة »** **للمسألة** اليهودية وفي المسألة اليهودية رقم /٢/ لم يتوفر لا **« الارادة »** ولا **« الحق » في ان يتخطى النقد . وفي المسألة اليهودية رقم /٣/ كان لا يزال مضطرا ان يقوم بـ « الخطوة الواحدة » ولكن تلك الخطوة كانت « مستحيلة » — لانها كانت « مستحيلة »** لم تكن **« ارادته » أو « حقه » بل ورطته في « نقيضه » هو ما منعه من القيام بتلك « الخطوة الواحدة » . كان بوده أن يوضح العقبة الاخيرة ، ولكن لسوء الحظ كان هناك الباقي الاخير للجمهور** عالقا بحذائه النقدي ذي الفراسح السبعة

حـ — معركة نقدية ضد الثورة الفرسية

ان **محدودية الجمهور** اجبرت الروح النقد الهر بوير ان يأخذ بعين الاعتبار **الثورة الفرنسية** ليس في زمن المساعي

الثورية للفرنسيين بـ « المعنى الدارج » بل « **فقط** » **على أساس « التعبير الرمزي والوهمي** » للتلفيقات النقدية ـ لدماغه الخاص . ويكفر النقد عن « سهوه باخضاع **الثورة لامتحان آخر** وفي الوقت نفسه يعاقب مضلل براءته ـ « الجمهور » ـ بابلاغه نتائج ذاك « الامتحان الآخر

« كانت الثورة الفرنسية تجربة لا تزال ترتبط كليا بالقرن الثامن عشر » الحقيقة التاريخية أن تجربة من القرن الثامن عشر كالثورةالفرنسية لا تزال كليا تجربة القرن الثامن عشر وليست ، على سبيل المثال ، تجربة للقرن التاسع عشر يبدو انها «لاتزال كليا» احدى تلكالحقائق «التي تفهم» بنفسها منذ البداية . ولكن في علم مصطلحات النقد ، المتحامل جدا **صد الحقائق « الواضحة البلورية » تسمى امثال هذه الحقيقة «امتحانا»، ولذلك من الطبيعي ان تحتل مكانها في « اختبار آخر للثورة » .**

« الافكار التي أفسحت لها الثورة الفرنسية المجال لم تتجاوز ، على اي حال ، النظام الذي تريده أن ينتهي بالقوة » .

الافكار لا يمكن مطلقا ان تتجاوز نظام العالم القديم بل تتجاوز افكار **نظام العالم القديم فقط لا يمكن للافكار أن تنفذ أي شيء على الاطلاق . ومن أجل تنفيذ الافكار يحتاج الناس الى من ينظم قوة عملية معينة . اما** الجملة النقدية بمعناها الادبي فهي مثال آخر لحقيقة تفهم من تلقاء نفسها، أي **« امتحان » آخر .**

والثورة الفرنسية انتجت ، دون أن يعوقها هذا الامتحان ، افكارا تجاوزت أفكار كل نظام العالم القديم ان الحركة الثورية التي ابتدات في ١٧٨٩ في **الحلقة الاجتماعية** * ، التي كان لها في منتصف مسيرتها ممثلوها الرئيسيون **ليكلير** و **رو** والتي اخيراً هزمت موقتا بمؤامرة **بابوف**

★ فئة من المثقفين الباريسيين ظهرت في السنوات الاولى للثورة الفرنسية وحملت افكارا ثورية رائعة : توزيع الثروة واعادة تقسيم الارض .. الخ . (المترجم)

هذه الحركة الثورية انتجت الفكرة **الشيوعية** التي ادخلها مـــن جديـد **بوناروتي** صديق بوبوف الى فرنسا بعد ثورة ١٨٣٠ هذه الفكرة ، وقد تطورت باستمرار ، هي **فكرة النظام العالمي الجديد** .

بعد ان اضطرت الثورة اذن » (!) « ان تلغي العوائق الاقطاعية في حياة الناس ، اجبرت على ارضاء الانانية الخاصة للامة ، وعلى اثارتها بنفسها ، ومن جهة اخرى ، اضطرت الى لحمها بتكملتها الضرورية ، بالاعتراف بكائن اسمى ، ذلك التثبيت الاعلى لنظام الدولة العام ، الذي وظيفته ان يجمع معا الذرات الفردية الباحثة عن نفسها

إن انانية الامة هي الانانية الطبيعية لنظام الدولة العام ، كنقيض لانانية المقاطعات الاقطاعية الكائن الاسمى هو التثبيت الاعلى لنظام الدولة العام ، اي الامة مرة اخرى ومع ذلك فان المفروض بالكائن الاسمى ان **يلجم** انانية الامة ، اي نظام الدولة العام إن مهمة نقديـــة حقيقية ، وهي لجم الانانية بوسائل من تثبيتها ، وحتى من تثبيتها الديني ، اي بالاقرار بأنه فوق بشري ولذلك لا يمكن ان يلجمه انسان ان خالقـــي الكائن الاسمى لم يدركوا ذلك الا وهو مقصدهم النقدي

ان السيد **بو شيز** الذي يدعم التعصب القومي بالتعصب الديني ، يفهم بطله روبسبيير بصورة افضل

لقد دمرت القومية روما واليونان ولذلك لا يقول النقد شيئا نوعيا عن الثورة الفرنسية عندما يقول ان القومية كانت سقوطا للثورة ، تماما كما انه لا يقول شيئا عن الامة عندما يعرف انانيتها بأنها انانية **خالصة** تظهر هذه الانانية الخالصة أنانية مظلمة للغاية وطبيعية وزائفة لحما ودما اذا ما قورنت ، مثلا ، بـ « **انا** » **فيخته** ولكن بالمقابلة مع انانية المقاطعات الاقطاعية فان صفاءها نسبي فقط ، ولا حاجة « الى امتحان آخر للثورة » لنرى ان الانانية التي تملكها الامة باعتبارها مضمونا لها هي اكثر عمومية او صفاء من تلك التي تملكها المقاطعة الخـــاصة او التعاونية الخـاصة كمضمون لهـــا

إن تفسيرات **النقد** لنظام الدولة العام ليست اقل تثقيفا . انـها تقتصر

على القول ان على النظام العام ان يجمع معا الذرات المفككة الباحثة عـن ذاتهـا

واذا تحدثنا بدقة وبالمعنى الدارج ، فان اعضاء المجتمع المدني ليسوا **ذرات** . **إن الخاصة النوعية** للذرة هي انها لا تملك خصائص لذلك لا ترتبط مع الكائنات الموجودة خارجها بأي علاقات تحدد **ضرورتها الطبيعية** الخاصة. ليس للـذرة **حاجـات** ، انها مكتفية **ذاتيـا** ؛ والعـالـم الموجـود خارجها **فراغ** مطلق اي خاو لا شعور له ولا معنى والسبب في هـذا ان للذرة **امتلاءها الكامل** في ذاتها ويمكن للفرد الاناني في المجتمع المدني في تصوره اللاشعوري وتجريده الحالي من الحياة ان ينفخ نفسه الى حجم الذرة ، اي الى كائن مبارك بلا صلة ، ومكتف ذاتيا ، وبلا ارادة ، وهو **ممتلىء امتلاء** مطلقا **والواقع الحسي** غير المبارك لا يقلق على تصوره ؛ فكل احساس من أحاسيسه يضطره ان يؤمن بوجود العالم والافراد خـارج ذاته وحتى معدته **الدنيوية** تذكره كل يوم ان العالم **خارج** ذاته **ليس فارغا** بل هو ما يملأ حقا وفعلا. ان كل نشاط وكل خاصة من خصائص كينونته، وكل حافز من حوافزه الحيوية يصبح **حاجة** ، **وضرورة** تحول **بحثه عن ذاتـه** الى بحثه عن الاشياء الاخرى والكائنات البشرية الموجودة خارجه ولكن بما ان حاجة الفرد الواحد لا تملك معنى يفهم ذاتيا بالنسبة الى الفرد الاناني الآخر القادر على اشباع تلك الحاجة ، ولذا ليس ثمة ارتباط مباشر مع اشباعها ، فان كل فرد عليه ان يخلق ذاك الارتباط ؛ وبذلك تصبح وسيطا بيـن حاجة الآخر وموضوع تلك الحاجة ولذلك فانها ضرورة طبيعية ، لأن **الخصائص الانسانية** الاساسية مهما بدا انها تغترب ؛ ومهما جمعت المصلحة بين اعضاء المجتمع المدني مع بعضهم ، فان الحياة **المدنية** وليس الحيـاة **السياسية** هي رابطتهم **الحقيقية** ولذلك فان الدولة ليست هي التي توحد **ذرات** المجتمع المدني مـع بعضهم ، بـل حقيقة انهـم ليسوا ذرات الا في **الخيال** ، وفي **سماء** وهمهم ، ولكن في الحقيقة كائنات تختلف اختلافا مروعاً عـن الذرات ، وبكـلام آخـر ليسوا **انانيين الهيين** ، بـل

كائنات بشرية انانية **الخرافة السياسية** اليوم هي وحدها التي تتخيل ان الدولة يجب ان توحد الحياة الاجتماعية ، بينما الحياة المدنية هي في الواقع ، التي توحد الدولة

ان فكرة **روبسبير** و **سان جوست** المرعبة في صنع شعب حر سوف يحيا فقط طبقا لقوانين **العدالة والفضيلة** ــ قارن تقرير سان جوست عن جرائم دانتون وتقريره الآخر عن البوليس العام ــ لايمكن الاحتفاظ بها لفترة محدودة الا بواسطة الارهاب فقط وكانت **تناقضا** ارتكست ضده العناصر الاساسية الباحثة عن ذاتها **الجوهر الشعبي** بالطريقة الاشد جبنا ومكرا المتوقعة منهم

ان كلمات **النقد المطلق** هذه . التي تصف « شعبا حرا » على انه « تناقض » لابد ان ترتكس ضده عناصر الجوهر الشعبي هي كلمات فارغة بشكل مطلق ، لأنه ، حسب راي روبسبيير وسان جوست ، لا يمكن للحرية والعدالة والفضيلة ان تكون الا مظاهر فقط لحياة « الشعب » وخصائص ل الجوهر الشعبي لم يتحدث روبسبيير وسان جوست بشكل وضوح الا عن « الحرية والعدالة والفضيلة » في « **الازمان القديمة** ، الخاصة بالجوهر الشعبي إن **السبارطيين والاثينيين والرومان** قد كانوا في ايام عظمتهم شعوبا حرة وعادلة وفاضلة

يسأل روبسبير في خطابه عن مبادىء الاخلاق العامة (جلسة الميثاق في ٥ شباط ١٧٩٤) ما هو **المبدأ الاساسي** للحكومة الديمقراطية او الحكومة الشعبية ؟ إن هذا المبدأ هو **الفضيلة** ، واقصد الفضيلة **العامة** التي حققت المعجزات في **اليونان وروما** والتي يجب ان تحقق معجزات اعظم ايضا في فرنسا الجمهورية الفضيلة التي ليست سوى حب البلاد وحب قوانينها »

ومن ثم يدعو روبسبير **الاثينيين والارسبارطيين** ببساطة « شعوبا حرة » انه يذكر باستمرار « بالجوهر الشعبي القديم » ويستشهد بابطالهم كما يستشهد بمخربيهم ــ ليكورغوس ، ديموستين ، ملتياو ، ارستيد ، بروتوس ، وكاتلينا وقيصر وكلوديوس وبيسون .

وفي تقرير سان جوست عن اعتقال **دانتون** (رجع اليه النقد) **يقول** سان جوست ببساطة

لقد فرغ العالم منذ **الرومان** ولا تملؤه الا ذكراهـم التي لا تزال تتنبأ بالحرية

لقد صاغ تهمته بالاسلوب القديم ووجهه ضد **دانتون** كمـا وجهـهَ ضد **كاتيلينا**

وفي تقرير آخر **لسان جوست** وهو التقرير الذي يتناول **البوليس العام** ، وصف **الجمهوري** بالمفهوم **القديم** على انه **صلب ، متواضع بسيط** وهكذا دواليك . . . والبوليس يجب ان يكون مؤسسة شبيهة من حيث الجوهر **بالمراقبة** الرومانية ولا ينهي ان يشير الى كلودروس وليكورغوس وقيصر وكاتو وكاتيلينا وبروتوس وانطونيو وكاسيس وفي الختـــام ، **يصف سان جوست الحرية** والعدالة والفضيلة التي يريدها بكلمة واحدة عندما يقول الثوريون يجب ان يكونوا رومانا »

لقد سقط روبسبيير وسان جوست وحزبهما لخلطهم الجمهوريـــة القديمة **الواقعية والديمقراطية** القائمة على **العبودية الفعلية بالدولـــة التمثيلية الديمقراطية الروحية الحديثة** التي تقوم على **العبودية المتحررة** ، على **المجتمع البورجوازي** فيا لها من خطيئة عملاقة الاعتراف والاقرار في **حقوق انسان** بالمجتمع البورجوازي الحديث ، **مجتمع** الصناعة ، **مجتمع** المنافسة الشاملة ، مجتمع المصلحة الخاصة التي تندفع الى اهدافها **بحرية،** مجتمع الفوضى ، مجتمع الفردية الروحية والطبيعية المغتربة ذاتيا ، ومع ذلــك الغاء مظاهر حياة ذلك المجتمع في افراد منفصلين وفي الوقت نفسه الرغبة في قولبة الهيئة السياسية لذلك المجتمع على طريقة نمط القدماء !

تبدو هذه الخطيئة مأساوية عندما يشير سان جوست يوم اعدامه الـى اللوحـــة الكبيرة **لحقوق الانسان** المعلقة في قاعة Conciergerie ويقول بأنفة مبتكرة « ومع ذلك فأنا الذي صنعت تلك » . لقد كانت تلك

اللوحة هي التي أعلنت **حقوق الانسان** الذي لا يستطيع ان يكون انسان الجمهورية القديمة اكثر من كون علاقاته **الاقتصادية والصناعية** هي علاقات **الازمنــة القديمة** .

وليس هنا مكان التبرئة التاريخية لخطيئة الارهابيين تلك

وبعد سقوط روبسبير اندفعت **الحركة والتنوير السياسي** الــى حيث يكونان ضحية **نابليون** الذي بات بامكانه أن يقول ، وعلى الاخص بعد الثامن عشر من برومير استطيع بحكامي وشرطتي وكهاني ان اصنع ما اريد بفرنسا

ويقرر التاريخ **الدنيوي** ، من جهــة ثانية بعــــد سقوط روبسبير طفقت حركة التنوير **السياسي** التي رغبت من قبل ان تتخطى نفسها ، وكانت قد اشتطت ، تتطور تطوراً **مملاً** وفي ظـــل حكومة **المجتمــع البرجوازي الاداري** الذيحررتهالثورةمنالقيود الاقطاعيةواعترفتبهرسميا رغم رغبة **عهد الارهاب** في ان نضحي به على مذبح الشكل القديم للحياة السياسية في ظل هذه الحكومة انفجرت ينابيع الحياة القوية وهبت عاصفة جامحةللمشاريعالتجاريةواندفاع للاغتناء،وفورةللحياة البورجوازية الجديدة التي كانت مباهجها الذاتية الاولى القحة والكسل والحذاقــــة والسكر ، وعمت استنارة **حقيقية الارض** الفرنسية وصار البناء الاقطاعي الذي سحقته مطرقة الثورة مجالا للاستثمار الزراعي الشامل ، والخطوات الاولى للصناعة اصبحت الآن طليقة ــ تلك هي بضع علامات حياة المجتمع البرجوازي الصاعد الجديد وقد مثلت **البرجوازية بايجابية** هذا المجتمع البرجوازي وبذلك **تبدأ** البورجوازية حكمها ولــم تعد **حقوق الانسان** موجودة نظريا فقط فلم تكن الحركــــة الثورية ككل هي التي غـــدت ضحية نابليون في الثامن عشر من برومير كما اعتقد **النقد** في ايمانه **بالهر** **مون** روتيك او الهر ويلكر لقد كانت **البرجوازية الليبرالية** هي الضحية. ويحتاج المرء فقط لقراءة خطابات مشرعي ذلك العصر ليقتنع بهذا . ويكون

المرء انطباعا بأنه يخرج من الميثاق الوطني الى مجلس النواب الحديث

كان **نابليون** الفصل الاخير لنضال **عهد الارهاب الثوري** ضد **المجتمع البورجوازي** وضد سياسته ، وقد نادت الثورة بهما جميعـــا ولنسلم ان نابليون تبين مسبقاً جوهر **الدولة الحديثة** ؛ فقد فهم أن هذا الجوهر قائم على اساس الحركة المنطلقة للمجتمع البرجوازي ، على الحركة الحرة للمصلحة الخاصة الخ لقد قرر الاعتراف بذلك الاساس وصيانته لم يكن ارهابيا راسه في الفيوم،ومع هذا فقد كان فيالوقتنفسهلايزاليعتبر **الدولة** وكأنها **نهاية** بذاتها ، والحياة المدنية **كخازن** فقط **وتابع ليس له ارادة** خاصة وجاء **ليكمل** عهد الارهاب فجعل **الحرب الدائمة** تحل محل **الثورة الدائمة** لقد غزى أنانية القومية الفرنسية حتى التخمة ولكـــن طالب بتضحية العمل البرجوازيوالمباهجوالثروة...الخ،بقدر مايكونذلكمناسبا لمتطلبات الهدف السياسي للغزو واذا كان نابليون قد اضطهد باستبداد ليبرالية المجتمع البرجوازي ـ المثالية السياسية بممارسته اليومية ـ فانه لم يظهر شفقة اعظم على مصالـــح هذا المجتمع **المادية** الاساسية ، كالتجارة والصناعـة طالما انهـــا متصارعة مع مصالحـــه السياسية ، أما احتقاره لرجال الاعمـــال الصناعيين فقـــد كان تتمة لاحتقـــاره **للايديولوجيين** وقد حارب ، في سياسته الداخلية ايضا ، المجتمـــع البرجوازي معتبرا إيّاه عدو الدولة التي كانيعتبرها بعد فيشخصهالخاص هدفا مطلقا قائما بذاته وهكذا اعلن في مجلس الدولة انه لن يتهاون فيما اذا كان اصحاب الاقطاعاتالكبيرةسوفيستثمرونها ام لا علىهواهم. وهكذا اقتنع مرة أخرى بالحاق التجارة بالدولة بالاستيلاء على **طرق النقـــل** فهيأ رجال الاعمال الفرنسيون للحادث الذي كان اول هزة لسلطة نابليون. لقد اجبره سماسرة باريس عن طريق احداث مجاعة مصطنعة على تأخير الشروع بالحملة الروسية مدة تقرب من الشهرين ، بحيث لم يباشرهـــا الا في وقت متأخر من السنة

وكما واجهت البورجوازية الليبرالية مره اخرى الارهاب الثوري **في** شخص نابليون **كذلك** واجهته مرة أخرى من قبل الثورة المضادة **في عهد** عودة الملكيه في شخص آل بوربون واخيرا في عام ١٨٣٠ **نفذت** البورجوازية الرغبة التي كانت تشعر بها منذ عام ١٧٨٩. مع اختلاف واحد فقط هو ان حركتها **التنويرية السياسية** كانت الآن **قد تمت** ، وأنها لم **تعد** تعتبر الدولة التمثيلية الدستورية مثال الدولة ولم **تعد** ترمي الى القتال من اجل خلاص العالم والاهداف الانسانية الشاملة **بل على العكس** ، أعتبرتها تعبيرا **رسميا** لسلطتها الخاصة **الحصرية** والاقرار **السياسي** بمصالحها **الخاصة** الصرفة

إن تاريخ الثورة الفرنسية الذي بدأ في عام ١٧٨٩ لم ينته في عام ١٨٣٠ بانتصار احدى فئاتها المفتنية بادراك اهميتها الاجتماعية

ب ـ الحملة النقدية ضد المادية الفرنسية

سادت **السبينوزية** في القرن الثامن عشر بواسطة مكمليها الفرنسيين الاخيرين الذين جعلوا المادة جوهرا تماما كما في المذهب الالهي (Deism) ، الذي اضفى على المادة اسما آخر اكثر روحية لم تكن المدرسة **السبينوزية** الفرنسية وانصار المذهب الالهي سوى طائفتين متنازعتين حول المعنى الحقيقي **لنظامه** * . . . وكان المصير البسيط لهذه الحركة التنويرية اغراقها في **الرومانسية** بعد ان اضطرت الى الاستسلام لردة الفعل التي ابتدات في اعقاب الحركة الفرنسية

هذا ما يقوله النقد

سوف نعارض التاريخ النقدي للمادية الفرنسية بخلاصة موجزة للتاريخ الدنيوي الجماهيري وسوف نوافق على اعتبار الهوة قائمة بين التاريخ كما حدث فعلا والتاريخ كما حدث طبقا لقرار **((النقد المطلق))**

★ أي نظام سبينوزا (المترجم)

حالق كلا التاريخين القديم والجديد على حد سواء واخيرا سوف نطيع وصفات **النقد** فنجعل أسئلة التاريخ « لماذا ؟ » و « متى ؟ » و « الى اين ؟ موضوعات للدراسة الدؤوبة »

« اذا ما تحدثنا **بدقة** وبالمعنى **المألوف** » فان حركة التنوير الفرنسية للقرن الثامن عشر ، وبشكل خاص **المادية الفرنسية** ، لم تكن مجرد نضال **المؤسسات** السياسية القائمة والدين واللاهوت السائدين ، بل شنت **كذلك** نضالا **مكشوفاً** ضد **ميتافيزياء** القرن السابع عشر وضد كل الميتافيزياء ، وبشكل خاص ميتافيزياء **ديكارت ومالبرانش وسبينوزا وليبنتز** وقد عارضت **الفلسفة الميتافيزياء** كما عارض **فيورباخ** ، في هجومه الاول الحاسم على هيغل ، **بالفلسفة الرصينة التامل المخمور** وقد انفسح المجال امام **ميتافيزياء** القرن السابع عشر ، وقد هزمت من قبل عصر التنوير الفرنسي وعلى الاخص **المادية الفرنسية** للقرن الثامن عشر ، لأن تنبعث **انبعاثا قويا ومنتصرا في الفلسفة الالمانية** وبشكل خاص **الفلسفة الالمانية التاملية** للقرن التاسع عشر وبعد ان ربطها **هيغل** مع كل الميتافيزياء اللاحقة ومع المثالية الالمانية واقام مملكة ميتافيزيائية شاملة ، كان الهجوم على الفلسفة **الميتافيزيائية التامليه والميتافيزياء بشكل عام** يقابل من جديد الهجوم على اللاهوت كماكانت الحال في القرن الثامن عشر ولسوف تدمر الى الابد على يد **المادية** التي اكتملت الآن بواسطة عمل التأمل والتي تتطابق مع النزعة **الانسانية** . وكما مثل **فيورباخ المادية** في الميدان **النظري** مثلت **الاشتراكية والشيوعية** الفرنسية والانكليزية في الحقل **العملي المادية** التي **تتطابق** الآن مع **النزعة الانسانية** .

اذا ما تحدثنا **بدقة** وبالمعنى **المألوف** » فهناك **اتجاهان في المادية** الفرنسية الاول يرجع في نشأته الى **ديكارت** ، **والآخر الى لوك** والاخير هو بشكل رئيسي تطور فرنسي ، ويؤدي مباشرة الى **الاشتراكية** والأول ، وهو المادية **الميكانيكية** ، يندمج مع **العلوم الطبيعية** الفرنسية بشكل خاص. والاتجاهان يتصالبان في مجرى التطور ولا حاجة بنا هنا الى ان نتعمق اكثر في المادية الفرنسية التي تنحدر مباشرة من **ديكارت** اكثر من التعمق في مدرسة **نيوتن** الفرنسية أو تطور العلوم الطبيعية الفرنسية بشكل عام

ولذلك فسوف نلاحظ ما **يلي**

عزا **ديكارت** في **فيزيائه** للمادة قوة الخلق الذاتي ، وتصور الحركة **الميكانيكية** على أنها عمل حياة المادة وفصل نهائيا **فيزياءه** عن **ميتافيزيائه.** في فيزيائه **المادة** هي **الجوهر** الوحيد والاساس الوحيد للوجود والمعرفة

وتبعت المادية **الميكانيكية** الفرنسية **فيزياء ديكارت** في تعارض مع ميتافيزيائه وكان اتباعه يجاهرون بأنهم **أعداء الميتافيزياء** أي انهم **فيزيائيون**

تبدأ المدرسة **بالطبيب ليروا** وتصل الى ذروتها مع الطبيب **كابانيس** اما الطبيب **لامتري** فهو مركزها كان ديكارت لا يزال حيا عندما حوّل **ليروا** مثل لامتري في القرن الثامن عشر البنية الديكارتية **للحيوانات** الى النفس البشرية واكد بأن **النفس هي طريقة** حياة **الجسد والافكار** هي **حركات ميكانيكية** حتى ان ليروا ظن ان ديكارت احتفظ برايه الحقيقي سرا واحتج ديكارت على ذلك واحكم كابانيس في نهاية القرن الثامن عشر الماديه الديكارتيةفي اطروحته **العلاقة بين فيزياء الانسان وأخـــلاقـــه .**

ولا تزال المادية **الديكارتية** موجودة اليوم في فرنسا ، وقد لاقت نجاحا عظيما في **العلوم الطبيعية الميكانيكية** التي « اذا ما تحدثنا **بدقـــة** وبالمعنى **المألوف** فانها اقل العلوم التي يمكن اتهامها **بالرومانسية .**

إن **ميتافيزياء** القرن السابع عشر ، التي يمثلها **ديكارت** في فرنسا ، وجدت خصمها في **المادية** منذ ولادتها المبكرة وقد تصدت المادية لديكارت بشخص **غاسندي** محيي المادية **الابيقورية** وكـــانت الماديتان الفرنسية والانجليزية وثيقتي الصلة دائما **بديموقريط** و **ابيقور** وقـــد وجدت الميتافيزياء الديكارتية عدواً آخر في شخص المادي **الانكليزي هوبز** ، وقـــد انتصر غاسندي وهوبز على عدوهما بعد مدة طويلة من موتهما عندمـــا كانت الميتافيزياء تسود سلفاً كل المدارس الفرنسية بشكل رسمي

لاحظ **فولتير** ان تدخـــل الفرنسيين في النـــزاع بين اليسوعيين

والجانسينيين* في القرن الثامن عشر كان يرجع الى الفلسفة أقل مما يرجع الى مضاربة لوو المالية والواقع ان سقوط ميتافيزياء القرن السابع عشر لا يمكن ان يفسر بالنظرية المادية للقرن الثامن عشر الا بقدر ما تفسر تلك الحركة النظرية نفسها بالطبيعة العملية للحياة الفرنسية في ذلك الوقت. فقد كانت تلك الحياة متجهة الى الحاضر المباشر. والى الملذة الدنيوية والمصالح الدنيوية اي الى العالم الارضي إن النشاط العملي المادي لتلك الحياة المعادي للميتافيزياء واللاهوت يتطلب ان تقابله نظريات مادية معادية للميتافيزياء واللاهوت لقد فقدت الميتافيزياء رصيدها في النشاط العملي وليس لنا هنا الا ان نشير فقط باختصار الى العملية النظرية .

كانت ميتافيزياء القرن السابع عشر قارن دكارت وليبنتز ، وآخرين لا تزال تملك عنصرا من مضمون ايجابي، دنيوي وقد قامت باكتشافات في الرياضيات والفيزياء والعلوم الدقيقة الاخرى التي بدت وكأنها تدخل في حظيرتها هذا المظهر جرى التخلص منه منذ البداية المبكرة للقرن الثامن عشر

وانفصلت عنها العلوم الايجابية ، وحددت ميادينها الخاصة المستقلة. وارجعت ثروة الميتافيزياء الى كائنات الفكر والاشياء السماوية ، مع ان هذا الزمن كان الزمن الفعلي الذي فيه أخذت الكائنات الواقعية والاشياء الارضية تحتل مركز كل اهتمام لقد غدت الميتافيزياء ممجوجة. وفي العام الذي توفي فيه مالبرانش وارنولد آخر ميتافيزيائيي القرن السابع عشر الكبار ، ولد هالفتيوس وكونديك .

والرجل الذي جرد ميتافيزياء القرن السابع عشر من كل رصيد في الميدان النظري كان بيير بايل . وكان سلاحه المذهب الريبي Scepticism الذي صاغه من العبارات السحرية الخاصة بالميتافيزياء لقد انطلق اولا من الميتافيزياء الديكارتية وكما أن النضال ضد اللاهوت التأملي قد دفع فيورباخ الى النضال ضد الفلسفة التأملية لانه عرف ان التأمل هو الدعامة الاخيرة للاهوت ، ولانه لم يكن له بد من اجبار اللاهوت على الارتداد من عمله المزعوم الى الايمان الكرية الفظ ، كذلك دفع الشك

★ نسبة للكاهن الهولندي جانسينيوس وكانوا يعارضون الايديولوجيا الاقطاعية في الكاثوليكية .

الديني بايل الى الشك في الميتافيزياء أيضا التي كان يدعمها **ذلك الايمان** ولذلك يستقصي الميتافيزياء بصورة نقدية منذ نشأتها الاولى وقد اصبح مؤرخها وغرضه من ذلك ان يكتب تاريخ موتها وقد دحض بشكل رئيسي كلا من **سبينوزا وليبنتز**

ان **بيير بايل** لم يمهد لاستقبال المادية وفلسفة الحس العام في فرنسا بتحطيمه الميتافيزياء بريبيته . لقد بشر **بالمجتمع** الالحادي ، الذي سرعان ما ظهر الى الوجود عن طريق **اثبات** ان مجتمعا يتألف فقط من الملحدين **هو مجتمع ممكن ، وان الملحد يمكن** أن يكون انسانا محترما وانه ليس الالحاد الذي يجعل الانسان منحطا ، بل الخرافة والوثنية

وإذا اقتبسنا قول احد الكتاب الفرنسيين قلنا **إن بيير بايل** كان **« أخر ميتافيزيائي حسب مفهوم الكلمة في القرن السابع عشر ، وأول فيلسوف حسب مفهوم القرن الثامن عشر »** •

والى جانب الدحض السلبي للاهوت القرن السابع عشر وميتافيزيائه كان الامر يتطلب مذهبا **ايجابيا مناهضا للميتافيزياء** واحتاج الامر الى كتاب ينظم ويبرر نظريا النشاط العملي لذلك العصر وجاءت عبر القنال اطروحة **جون لوك** عن اصل الفكر البشري كما لو كانت جوابا على ذلك النداء وقد استقبلت هذه الاطروحة بحماسة مثل ضيف طال انتظاره

اما السؤال هل كان **لوك** من اتباع **سبينوزا** عن طريق الصدفة ؟ **فإن** التاريخ « الدنيوي يستطيع أن يجيبنا عنه :

المادية هي **الابن الشرعي** لبريطانيا العظمى حتى ان السكولائي **وانس سكوتس** يتساءل مندهشا **« هل تستطيع المادة أن تفكر »** .•

وحتى يحقق هذه المعجزة لجأ سكوتس الى القدرة الكلية لله أي اجبر اللاهوت نفسه ان يبشر **بالمادية** وبالاضافة الى ذلك كان اسميا والاسمية هي عنصر رئيسي في المادية الانجليزية ، وهي بشكل عام **التعبير الاول عن المادية** •

إن المؤسس الحقيقي **للمادية الانكليزية** وكل العلوم **التجريبية** الحديثة هو **فرنسيس بيكون** ، وعلوم الطبيعة هي العلم الحقيقي عنده ، **والفيزياء** التي تقوم على الادراك هي أفضل اقسام علوم الطبيعة وكان **اناكساجوراس** بمذهبه في « الجسيمات المتشابهة (Homocomeria **وديموقريط** بمذهبه في **الذرات** المرجعين اللذين يرجع اليهما **والحواس** ، بحسب تعاليمه ، لا تخطىء وهي **مصدر** المعرفة والعلم تجريبي ويقوم في تطبيق الطريقة العقلية على **المعطيات** التي تمدنا بها الحواس ان الاستقراء ، والتحليل ، والمقارنة ، والمشاهدة والتجربة هي المتطلبات الاساسية للطريقة العقلية ان الحركة هي اهم صفات **المادة** والصقها ليس الحركة **الميكانيكية** والحركة **الرياضية** فقط بل **الاندفاع** ، **روح الحياة الحية** ، **التوتر** ، او اذا ما استخدمنا تعبير يعقوب بوهمي **صيحات مخاض** المادة إن الاشكال الاولية للمادة هي **قوى الوجود** الفردية الحية اللاصقة بها والمولدة للتمايزات بين الانواع

وتضمنت المادية عند بيكون ، **مؤسسها** الاول بصورة كامنة وبصورة ساذجة بعد ، بذور كل التطور الشامل ان المادة ابتسمت للانسان ببريق حسي شاعري ومن جهة ثانية كان المذهب الحكمي* نفسه يعج بالتهافتات اللاهوتية

واصبحت المادية في تطورها اللاحق **أحادية الجانب** . فكان هوبز أول من مذهب** مادية **بيكون** . وفقدت الحسية زهوتها واصبحت كحسية **عالم الهندسة** المجردة وضحي بالحركة **الفيزيائية** على مذبح الحركة **الميكانيكية والرياضية** ، وتوجت **الهندسة** على انها العلم الاساسي اصبحت المادية **معادية للانسانية** ، وحتى تتغلب على الروح **غير الجسدية المناوئة للانسانية** في ميدانها الخاص ، اضطرت المادة نفسها لأن تميت جسدها وان تصبح مادية **متقشفة** وظهرت كأنها **كائن عقلي** ، بل إنها طورت المنطق العنيد للعقل ايضا

★ أي الذي يقوم على الحكم (المترجم

★★ أي جعل مادية بيكون مذهبا متكاملا (المترجم)

يناقش هوبز انطلاقا من بيكون إذا كانت احاسيس الانسان هي مصدر معرفته ، اذن فان التصور والفكر والخيال الخ ليست سوى اشباح العالم المادي المعرّى اكثر او اقل من شكله الحسي والعلم يستطيع فقط ان يمنح اسما لتلك الاشباح والاسم الواحد يمكن تطبيقه على عدة اشباح حتى ان هناك اسماء الاسماء ولكن سيكون من قبيل تناقض القول ، من جهة واحدة ، ان كل الافكار تملك اصلها في عالم الحواس والاعتقاد ، من جهة اخرى ، ان الكلمة هي اكثر من كلمة ، وان هناك الى جانب الكائنات المثلة ، التي هي دائما فردية ، كائنات عامة ايضا ان الجوهر غير المادي هو بلا معنى تماما كالجسم غير المادي الجسم ، الكائن ، الجوهر ، هي نفس الفكرة الحقيقية الواحدة ولا يستطيع المرء ان يفصل الفكر عن المادة التي تفكر فالمادة هي موضوع كل التغيرات وكلمة غير محدود لا معنى لها الا اذا كان المقصود بها قدرة فكرنا على الاستمرار في اضافة المعلومات بلا نهاية وما دام ما هو مادي فقط هو الذي يدرك ويعرف ، فلا شيء يمكن ان يعرف عن وجود الله إني على يقين فقط من وجودي انا ان كل انفعال انساني هو حركة ميكانيكية تنتهي او تبدأ ان موضوعات الدوافع هي ما يسمى خيرا والانسان يخضع للقوانين نفسها التي تخضع لها الطبيعة ؛ فالقدرة والحرية هما شيء واحد

جعل هوبز من افكار بيكون مذهبا ولكنه لم يقدم دليلا ادق عن مبدئه الاساسي بأن معرفتنا وافكارنا لها مصدرها في عالم الحواس

اثبت لوك مبدأ بيكون وهوبز في مقالته عن أصل الفكر البشري

وكما تخلص هوبز من المستبقات الالهية في مادية بيكون ، كذلك فعل كولنز ودودول وكوارد وهارتلي وبريستلي بحسية لوك اذ حطموا الحدود الاخيرة لهذه الحسية والمذهب الإلهي بالنسبة للماديين على الأقل ، ليس اكثر من طريقة ملائمة سهلة للتخلص من الدين

وقد أشرنا من قبل كيف ان كتاب لوك كان مناسبا جدا للفرنسيين ان لوك اسس فلسفة الحس السليم ، فلسفة الحس العام ، اي انه قال

بشكل غير مباشر انه لا يوجد فيلسوف يمكن ان يختلف مع الحواس البشرية السليمة والعقل الذي يقوم عليها

إن **كوندياك** ، التابع **المباشر** للوك ، والذي ترجمه ايضا الى **الفرنسية** ، عارض بصورة مباشرة حسية لوك **لميتافيزياء** القرن السابععشر. لقد أثبت ان الفرنسيين على حق كامل في رفض الميتافيزياء باعتبارها تجميعا اعتباطيا للوهم والمستبق اللاهوتي وقد نشر دحضا **لمذاهب ديكارت وسبينوزا وليبنتز ومالبرانش** .

وفي كتابه « **بحث في اصل المعارف الانسانية** » شرح افكار لوك واثبت انه ليست النفس وحدها ، بل الحواس ايضا ، ليس فن خلق الافكار وحده ، بل ايضا فن الادراك الحسي... هي جميعا من شأن **التجربة والعادة** ولذلك فان كل تطور الانسان يتوقف على **التربية والبيئة** . وبالفلسفة الانتقائية وحدها طرد كوندياك من المدارس الفرنسية

ان الفرق بين المادية **الفرنسية** والمادية **الانجليزية** ينشأ عن الفرق بين الامتين لقد منح الفرنسيون المادية الانكليزية الحصانة واللحم والدم والبلاغة لقد منحوها الحساسية والرشاقة اللتين هي في حاجة اليهما لقد **مدنوها** .

واصبحت المادية عند **هلفتيوس** ، الذي اعتمد هو الآخر على لوك مادية فرنسية حقا وقد استوعب هلفتيوس المادية مباشرة في تطبيقها على الحياة الاجتماعية (هلفتيوس « **في الانسان ، قدراته العقلية وتربيته** ») . فالصفات الحسية ، وحب الذات واللذة والفهم السليم للمصالح الشخصية ، تلك هي أسس الاخلاق وان المساواة الطبيعية للذكاء الانساني، ووحدة تقدم العقل وتقدم الصناعة والطيبة الطبيعية عند الانسان والقدرة الكلية للتربية ، هي النقاط الرئيسية لمذهبه

ونجد في كتب **لامتري** تجميعا لمذهب ديكارت والمادية الانكليزية لقد استخدم فيزياء ديكارت بالتفصيل وكتابه الانسان الآلة هو اطروحة تحذو حذو اطروحة ديكارت عن الوحش الآلة والقسم الفيزيائي لكتاب هولباخ « **نظام الطبيعة** » ، **او قوانين العالم الفيزيائي** والعالم الاخلاقي .هو

ايضا نتيجة تجميع المادية الانكليزية والمادية الفرنسية بينما القسم الاخلاقي يقوم اساسا على أخلاق هلفتيوس اما **روبينيه (في الفلسفة) ،** المادي الفرنسي الذي له اعظم الارتباط مع الميتافيزياء ولذلك قرظه **هيغل ،** فينتمي بصورة صريحة الى ليبنتز

ولا حاجة بنا ان نتوقف عند فولني ودوبوي ودىدرو والآخرين اكثر من التوقف عند الفيزيوقراطيين فقد اثبتنا من قبل الاصل المزدوج للمادية الفرنسية من فيزياء ديكارت والمادية الانكليزية ، ومعارضة المادية الفرنسية **لميتافيزياء** القرن السابع عشر وميتافيزياء ديكارت وسبينوزا ومالبرانش وليبنتز ولم يستطع الالمان ان يروا هذا التعارض قبل ان يدخلوا في المعارضة نفسها مع **الميتافيزياء التاملية .**

وان كانت المادية **الديكارتية** تندمج في **العلوم الطبيعية بالخاصة ،** فان الفرع الآخر للمادية الفرنسية تقود مباشرة الى **الاشتراكية والشيوعية**

ولا حاجة بنا الى الايغال اكثر حتى نتبين من تعاليم المادية حول الطيبة الاصلية والذكاء المتساوي عند البشر ، والقدرة الكلية للتجربة والعادة والتربية ، وتأثير البيئة في الانسان ، والاهمية الكبرى للصناعة وتبرر اللذة الخ كيف ان المادية ترتبط بالضرورة مع الشيوعية والاشتراكية واذا استمد الانسان كل معرفته وشعوره الخ من عالم الحواس والتجربة المكتسبة فيه ، فان العالم التجريبي يجب ان ننظم **بحيث يجرب الانسان فيه ويعتاد ما هو انساني حقا ، وبذلك يصبح واعيا** لنفسه كانسان واذا فهمت المصلحة فهما صحيحا فهي مبدأ كل اخلاق. ويجب ان توفق المصلحة الخاصة للانسان مع مصلحة الانسانية واذا كان **الانساني للجريمة ، ويجب ان يمنح كل انسان مجالا اجتماعيا من اجل لتجنب هذا او ذاك ، بل حر من خلال القوة الايجابية ليؤكد فرديته الحقيقية،** فان الجريمة يجب الا تعاقب في الفرد وانما يجب ان يحطم المصدر غير **الانساني للجريمة ، ويجب ان يمنح كل انسان مجالا اجتماعيا من اجل** التظاهر الحيوي لوجوده اذا كانت البيئة هي التي تشكل الانسان ، فانه من الواجب تشكيل البيئة انسانيا اذا كان الانسان اجتماعيا بالطبع .

فسوف يطور طبيعته في المجتمع **فقط** ويجب ان تقاس قوة طبيعته ليس بقوة الافراد المتفرقين ، بل بقوة المجتمع

هذه الفرضية وامثالها من الفرضيات نجدها تقريبا بحرفيتها حتى عند الماديين الفرنسيين القدامى ولا مجال هنا لتقييمها

ونجد نموذجا للاتجاهات الاجتماعية في كتاب **خرافة النحل** او **الرذائل الخاصة المصيرة منافع عامة** بقلم **مانديفيل** وهو واحد من اتباع لوك الانجليز المبكرين فهو يثبت ان الرذيلة في المجتمع الحديث **لا غنى عنها ومفيدة** وكان هذا ولا شك دفاعا عن المجتمع الحديث

ينطلق **فوربيه** مباشرة من تعاليم الماديين الفرنسيين وكان **البابوفيون** ماديين خشتين وغير متمدنين ، ولكن الشيوعية الناضجة ايضا تأتي مباشرة من **المادية** الفرنسية وقد رجعت هذه المادية الى وطنها الام ، الى **انكلترا** ، في الشكل الذي اعطاها اياها **هلفتيوس** واسس **بنتام** مذهبه في **المصلحة المفهومة فهما صحيحا** على اخلاق **هلفتيوس** ، وانطلق **اوين** من مذهب **بنتام** ليؤسس الشيوعية الانكليزية ووقع الفرنسي كابيه ، ابان نفيه الى انكلترا، تحت تأثير الافكار الشيوعية هناك ، وبعودته الى اوروبا اصبح اعظم ممثلي الشيوعية شعبية ، وان يكن اكثرهم سطحية وان الشيوعيين العلميين الاكثر علمية ، مثل **ديزامي وغاي** وآخرين ، طوروا ، مثلما فعل اوين ، تعاليم **المادية** باعتبارها التعاليم **الانسانية** الحقيقية والقاعدة **المنطقية للشيوعية** .

اذن من اين حصل الهر بوير صاحب النقد على الوثائق لتاريخه النقدي للمادية الفرنسية ؟

١ ـ ان كتاب هيغل **تاريخ الفلسفة** يقدم المادية الفرنسية وكأنها **تحقيق** لجوهر سبينوزا الذي هو ، مهما كان الامر ، أقرب فهما بما لا يقاس من مدرسة سبينوزا الفرنسية

٢ ـ اكتشف الهر بوير في المادية الفرنسية . في تاريخ **هيغل** ، **مدرسة** سبينوزا عندئذ ، بما انه وجد في كتاب آخر من كتب هيغل ان **المذهب** **الالهي** والمادية **فريقان** يمثلان المبدأ الاساسي **نفسه** **فقد استنتج من ذلك** ان لسبينوزا مدرستين تتنازعان حول معنى مذهبه ولقد كان **في مقدور** الهر بوير ان يجد التفسير المطلوب في **فينومينولوجيا** هيغل حيث يقول « فيما يتعلق بذلك الكائن المطلق ، فان **حركة التنوير** انقسمت على نفسها وتوزعت بين آراء فريقين الاول يسمي ذلك **الكائن المطلق** بلا محمول والفريق الآخر يسميه **مادة** وكلاهما يمثل العقيدة **نفسها** ـ ان الفرق لا يكمن في الواقع الموضوعي ، بل في تباين نقطة البدء التي تتبناها كلتا الحركتين هيغل الفينومينولوجيا الصفحات ٤٢٠ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٤

٣ ـ اخيرا يستطيع الهر بوير ان يجد ، مرة اخرى في هيغل ، ان الجوهر لا يتطور في مفهوم ، في وعي ذاتي ، فانه يندمج ب « الرومانسية ». وقد شرح صحيفة Hullische Jahrbucher ذات **مرة** نظرية مشابهة

ولكن مهما كلف الامر ، فان « الروح مضطرة ان ترسم **مصيرا بليدا** » لخصمها « **المادية** » .

ملاحظة ارتباط المادية الفرنسية بديكارت ولوك ومعارضة فلسفة القرن الثامن عشر لميتافيزياء القرن السابع عشر كل ذلك معروض بالتفصيل في معظم التواريخ الفرنسية الحديثة للفلسفة وبهذا الخصوص فقد كنا نكرر ضد **النقد النقدي** ما كان معروفا من قبل ولكن ارتباط مادية القرن الثامن عشر **بالشيوعية** الانكليزية والفرنسية للقرن التاسع عشر لا يزال يحتاج الى شرح مفصل وسنقتصر هنا على اقتباس مقاطع نموذجية قليلة من هلفتيوس وهولباخ وبنتام

١ ـ هلفتيوس ليس الانسان شريرا ، لكنه يخضع لمصالحه .

وعلى المرء الا يتذمر اذن من شر الانسان بل من جهل المشرعين الذين وضعوا دائما المصلحة الخاصة في تعارض مع المصلحة العامة — لم ينج الاخلاقيون حتى الآن ، لانه يجب علينا أن نحفر في التشريع كي نجتث الجذور التي تخلق الرذيلة ان للنساء في نيو اورليانز الحق في ان يطلقن ازواجهن حالما يسأمن منهم وفي الاقطار الشبيهة بنيو اورليانز النساء نسن بلا ايمان ، اذ لا مصلحة لهن في ان يكنّ هكذا» «ليست الاخلاق سوى علم تافه عندما لا تجتمع مع السياسة والتشريع الاخلاقيون المراؤون يمكن ان يميزوا من جهة برباطة الجأش التي ينظرون بها الى الرذائل التي تهدد الدولة ومن جهة اخرى بالغضب الذي به يدينون الرذيلة الفردية » —

الكائنات البشرية لم تخلق شريرة ولا خيرة ولكنها على استعداد لان تكون شريرة او خيرة تبعا للمصلحة الاجتماعية التي توحدها او تفرقها » —

اذا لم يستطع المواطنون تحقيق الخير الخاص لانفسهم دون تحقيق الخير العام ، فلا يوجد عندئذ شعب آثم سوى الاغبياء » (في كتابه « حول الروح» باريس ١٨٢٢ من الفصل ١ الى ٢٣ ، ص ١١٧ ٢٤٠ ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٢٥١ ، ٣٦٩ ، ٣٣٩)

اذا كانت التربية عند هلفتيوس (قارن الفصل الاول ص ٣٩٠) ، هذه التربية التي لا يعني بها فقط التربية بمعناها العام وانما مجموع الظروف الفردية للحياة ، هي التي تشكل الانسان واذا كان لا بد لاصلاح ما من الغاء التناقض بين المصالح الخاصة ومصالح المجتمع فلا بد ، من جهة اخرى من احداث تحول في الوعي ، لانجاز مثل هذا الاصلاح ان الاصلاحات العظمى يمكن ان تتحقق فيما لو اضعفنا الاحترام البليد عند الناس للقوانين والعادات القديمة المؤلف السابق الصفحة ٢٦٠) او كما يقول في مكان آخر ، بالقضاء على الجهل

٢ — **هولباخ** يمكن للمرء ان يحب نفسه فقط في الموضوعات التي يحبها يمكنه ان يتعاطف مع نفسه فقط في الكائنات الاخرى التي من نوعه» .

لايمكن للانسان ان يفصل نفسه عن نفسه ولو للحظة في حياته لا يستطيع ان يفقد بصيرة نفسه « دائما قناعتنا ، اي مصلحتنا هي التي

تجعلنا نكره الاشياء او نحبها » **(النظام الاجتماعي ، او المبادىء الطبيعية للاخلاق والسياسة** ، باريس ١٨٢٢ ، الصفحتان ٨٠ ، ١١٢ ولكن الانسان توجب عليه مصلحته الخاصة ان يحب الناس الآخرين لانهم ضروريون لرضائه الاخلاق تثبت له انه من بين الكائنات جميعا **الانسان هو الكائن الاكثر ضرورة** (ص ٧٦) الاخلاق الحقيقية ، والسياسة الحقيقية ايضا ، هي التي تبحث لتجعل الناس اكثر قربا من بعضهم لتجعلهم يعملون بجهود موحدة من اجل سعادتهم المشتركة اي احلاق **تفصل مصالحنا من مصالح شركائنا هي اخلاق باطلة لا معنى لها وغير طبيعية »** ص١١٦) « ان نحب الآخرين هذا يعني ان **نندمج مصالحنا مع مصالح شركائنا ، ان نعمل للصالح العام** ليست الفضيلة سوى منفعة الناس المتحدين في مجتمع ص ٧٧) « انسان بلا رغائب ولا تفاعلات ليس انسانا لقد انفصل عن نفسه تماما ، فكيف يستطيع أن يقرر الارتباط بالآخرين ؟ أن انسانا لا يبالي بشيء ، وليست لديه اهواء ويكفي نفسه بنفسه يكف عن ان يكون مخلوقا اجتماعيا ليست الفضيلة سوى **تبادل الخير »** (انظر الفصل الاول ص ١١٨) « ان الاخلاق الدينية لم تخدم ابدا في جعل الناس اكثر قابلية للاجتماع الفصل الاول ٣٦)

٣ ـ بنتام نقتبس فقط مقطعا واحدا من بنتام ، ذاك الذي يعارض فيه « **المصلحة العامة** بمعناها السياسي ان مصلحة الافراد يجب ان تفسح مجالا للمصلحة العامة ولكن ماذا يعني ذلك ؟ أليس كل فرد جزءا من الجمهور مثله مثل غيره ؟ ليست هذه المصلحة العامة التي تجسدها انت سوى اصطلاح مجرد انها لا تمثل سوى جمهرة من مصالح فردية **اذا كان من الخير أن تضحي بثروة احد الافراد لتزيد ثروة الآخرين** ، فسيكون من الافضل ان تضحي بثروة الثاني ، والثالث و...الخ وهكذا الى ما لا نهاية (Ad Infinitum) .. المصالح الفردية هي وحدها المصالح الحقيقية » (بنتام ، نظرية العقاب والثواب باريس ١٨٢٦ الطبعة الثالثة الفصل ١١ الصفحة ٢٣٠)

هـ ـ الانحدار الاخير للاشتراكية

« وضع الفرنسيون سلسلة من الانظمة حول **كيف يجب تنظيم الجمهور**، **ولكن لم يكن لهم بدٌ من ان يلجؤوا الى الوهم** لانهم اعتبروا الجمهور، كما هو، شيئا نافعا »

لقد اثبت الفرنسيون والانكليز، على العكس من ذلك، واثبتوا **بتفصيل عظيم**، **ان النظام الاجتماعي الحالي ينظم الجمهور، كما هو**، ولذلك فان هذا النظام هو **تنظيم** للجمهور

والنقد يتبع مقال **الصحيفة الالمانية** ويصرف كل الانظمة الاشتراكية والشيوعية باعتبارها **تجميعا وهميا**.

أما وقد حطم النقد الاشتراكية والشيوعية في الخارج، فانه نقل عملياته القتالية الى المانيا

عندما وجد المتنورون الالمان انفسهم فجأة خائبين في آمالهم عام **١٨٤٢**، ارتبكوا، **ولم يعرفوا ماذا يفعلون**، **فأخبار المذاهب الفرنسية** الاخيرة وصلت في الوقت المناسب لذلك كانوا قادرين على التحدث عن **رفع الطبقات الدنيا من الناس** وبهذا الثمن كان بامكانهم تجاهل السؤال **فيما اذا كانوا هم انفسهم من الجمهور** الذي لا يجب الا يبحث عنه في الطبقات الدنيا وحدها »

وهكذا يستنزف **النقد** كما هو واضح ذخيرته من الدوافع الكريمة **في الدفاع عن ماضي بوير الادبي بحيث لا يستطيع** ان يجد تفسيرا آخر للحركة **الاشتراكية الالمانية** سوى ارتباك » المتنورين في عام ١٨٤٢ والحسن **الحظ** تلقوا الاخبار من المذاهب **الفرنسية** الاخيرة لماذا لم يتلقوها من **المذاهب** الانكليزية ؟ وللسبب **النقدي** الحاسم بأن بوير لم يجد أخبارا عن **المذاهب** الانكليزية الاخيرة في كتاب شتاين

(Der Communismus und Sozialismus des Heutigen Frankreichs).

وهذا هوايضا السببالحاسم في ان **المذاهب الفرنسية** وحدهاموجودة بالنسبة الى **النقد** في كل ثرثرتــه عــن المذاهب الاشتراكية

ويستمر النقد في الشرح فيقول ان المتنورين الالمان اقترفوا خطيئة ضد الروح القدس انهم شغلون انفسهم بـ طبقات الشعب الدنيــا التي سبق ان وجدت عام ١٨٤٢ ، من اجل ان يتخلصوا من المسألة التي لم تطرح حتى الآن ، بشأن المرتبة التي دعوا لاحتلالها في **النظام العالمي النقدي** الذي كان قد تأسس عام ١٨٤٣ ، خراف أم ماعز ، نقد نقدي ام جمـــهور دنس ، **روح** ام **مادة** ولكن يجب قبلا ان يفكروا جديا بالخلاص النقــدي لارواحهم ، اذ ما الفائدة التي اجنيها اذا ربحت كل العالم بما في ذلك الطبقات الدنيا من الشعب ، وخسرت نفسي ؟

ولكن الكائن الروحي لا يستطيع ان يرتفع ما لم يتبدل ولن يستطيع ان يتبدل قبل ان يعاني من المقاومة المتطرفة

لو أن **النقد** كان على معرفة افضل بحركة الطبقات الدنيا من الشعب، فقد كان يعرف ان المقاومة المتطرفة التي يعانونها من الحياة العملية تفيدهم يوما فيوما ان النقد والشعر الحديثين المنبثقين في انكلترا وفرنســا عن الطبقات الدنيا من الشعب سوف يظهران ان الطبقات الدنيا من الشعب تعرف كيف تنهض بنفسها روحيا حتى وان لم **تظللهــا مباشرة** روح قدس النقد النقدي

يتابع النقد المطلق العودة الى الوهم هؤلاء الذين **كل ثروتهم** عبــارة عن كلمة « تنظيم الجمهور الخ

لقد قيلت اشياء كثيرة عن تنظيم العمل » مع ان هــذا الشعار » لم يصدر عن الاشتراكيين انفسهم وانما عن الحزب السياسي الراديكالي في فرنسا ، الذي حاول التوسط بين السياسة والاشتراكية ولكن لا احد

قبل النقد النقدي تحدث عن تنظيم الجماهير نقضية مطروحـــة الآن فقط للحل لقد أقيم الدليل ، على العكس ان **المجتمــع البورجوازي ،** وهو انحلال المجتمع **الاقطاعي** القديم ، هو ذلك المنظم

نضع النقد النقدي اكتشافه في علاقات تنصيص (Gansefusse)* والاوزة التي تقوقي للهر بوير بكلمة الـ نقد الكابيتول ليست ســـوى **اوزته الخاصه** ، النقد النقدي لقد نظم الجمهور تنظيما جديدا بتسميته عدوا مطلقا للروح ان الطباق بين الروح والجمهور هو تنظيم نقــدي للمجتمع يوفر فيه الروح ، او النقد العمل المنظم والجمهور المادة الخام والتاريخ المنتج

بعد الانتصارات العظيمة للنقد المطلق على الثوره والمادة والاشتراكية في حملته الثالثة يمكن ان نسأل ما النتيجة النهائية لتلـــك البطـــولات الهرقلية ؟ النتيجة هي ان تلك الحركات اندثرت دون اي نتيجه لانها امـــا كانت **نقدا مغشوشا بالجمهور او روحا مغشوشة بالمادة** وحتى في الماضي الادبي الخاص بالهر بوير اكتشف النقد غشا متعددا **للنقد** مـــن قبـــل الجمهور هنا نكتب دفاعا بدلا من النقد ونطلب « الامان بــدلا مــن الاستسلام وبدلا من ان نرى موت **الروح** أيضا في **انخداعها بالجسد** ، انــه نعكس القضية ويجد في خداع الجسد **للروح** حياة حتى **لجسد بوير** ومن جهة اخرى فانه يزداد قسوة وارهابا حالما يكون النقد الناقص الـــذي لا يزال مغشوشا بالجسد ليس من **عمل** الهر بوير بل عمل شعوب كاملـــة وعدد من الفرنسيين والانجليز الدنيويين ، حالما لا نكون النقد الناقص بعد الآن « **المسالة اليهودية** » او « **القضية الجديدة للحرية** » او «الدولة والدين والحزب بل نسميه الثورة او المادة او الاشتراكية او الشيوعيـــة وهكذا تملص النقد من غش الروح من قبل المادة والنقد من قبل الجمهور بصيانة جسده وصلب اجساد الآخرين

---

* (Gansefusse) تعني قدم الاوزة وتطلق على علامـــات التنصيص * أيضا فكأنما قال : وضع النقد اكتشافه في قدم الاوزة (المترجم)

بطريقة او بأخرى ان « الروح المغشوش بالجسد » و « النقدالمغشوش بالجمهور » قد ازيحا من الطريق وبدلا من هذا الغش غير النقدي يظهر انحلال نقدي بشكل مطلق للروح والجسد ، للنقد والجمهور ، تعارضهما الخالص هذا التناقض في مشكلة التاريخ العالمي ، الذي فيه ينشىء المصلحة التاريخية الحقيقية للزمن الحاضر ، هو معارضة الهر بوير وشركته لبقية الجنس البشري او المادة

ولذلك فان الثورة والمادية والشيوعية حققت غرضها التاريخي وبسقوطها افسحت الطريق للاله النقدي هلليلويا هاليلويا

و — الحركة التاملية الدائرية للنقد المطلق وفلسفة الوعي الذاتي

ان النقد وقد افترض انه حاز الكمال والصفاء في ميدان واحد ، قد تبعه على الفور ظرف مخفف وهو ان الورطة كانت «على العموم طفيفة جدا» صافيا كاملا » في كل الميادين والميدان النقدي « الواحد » ليس سوى ميدان اللاهوت والبقعة الصافية لهذا الميدان تمتد من نقد السينوبتيك بقلم الهر برونو بوير ، الى Das entdechte christenthum بقلم الهر برونو بوير آخر مركز على الحدود

تخبرنا الصحيفة الادبية الالمانية عالج النقد الحديث السبينوزية،
ولذلك فان الثورة والمادية والشيوعية حققت غرضها التاريخي
في حقل واحد حتى ولو في نقاط فردية مشروحة شرحا مزيفا »

ان التسليم السابق للنقد بأنه كان قد تورط في المستبقات السياسية تبعه على الفور ظرف مخففوهو انالورطة كانت «علىالعمومطفيفة جدا » والتسليم الآن بالتهافت تخففه جملة اعتراضية هي آن هذا التهافت اقترف فقط في نقاط فردية مشروحة شرحا مزيفا . فلم يكن الهر بوير هو الملوم وانما النقاط المزيفة التي ولت الادبار مع النقد مثل الجياد

وبضعة شواهد سوف ترينا ان النقد بتغلبه على السبينوزية انتهى

الى المثالية الهيغلية ، فانتقل بذلك من « **الجوهر** » الى **وحش ميتافيزيكي آخر** هو « الذات » ، الى **الجوهر كعملية** » ، الى الوعي الذاتي المطلق والنتيجة النهائية للنقد « الكامل » و «الصافي» هي احياء **النظرية المسيحية في الخالق في شكل هيغلي تأملي** .

دعنا الآن نفتح **كتاب نقد السينوبتيك** . يبقى شتراوس مخلصا لوجهة النظر القائلة ان **الجوهر** هو المطلق وما السنة المتبعة في هذا الشكل الشامل الذي لم يحرز بعد اليقين المعقول والحقيقي للشمول ذلك اليقين الذي يمكن ان يتحقق فقط في **الوعي الذاتي** ، في وحدة الوعي الذاتي ومطلقيته ، ما هذه السنة سوى **الجوهر** الذي انبثق من بساطته المنطقية واتخذ شكلا محددا للوجود كسلطة للجماعة » (نقد السينوبتيك المجلد الاول المقدمة ص ٦ — ٧)

ونترك الآن الشمولية التي تبلغ اليقين الوحدة واللامحدودية (**مفاهيم هيغل**) الى مصيرها وبدلا من القول ان وجهة النظر المنادى بها في نظرية **شتراوس** حول « سلطة الجماعة » و « السنة » كان **لها تعبيرها** المجرد ، كان **لها هيروغليفيتها** الميتافيزيكية والمنطقية. في المفهوم السبينوزي عن الجوهر نجد الهر بوير يجعل « الجوهر ينشأ من بساطته المنطقية ويتخذ شكلا محددا للوجود في سلطة الجماعة انه **يطبق جهاز المعجزة الهيغلية** التي بواسطتها نجد « **المقولات الميتافيزيكية** » — التجميدات المستخرجة من **الواقع** — تنشأ من المنطق ، حيث تنحل في « **بساطة** » الفكر ، وتتخذ « شكلا **محددا** » من الوجود الفيزيائي او البشري انه يجعلها تصبح متجسدة **فالنجدة يا هنريك** .

يتابع النقد جدله ضد شتراوس « السري هو هذه النظرة لانها في اللحظة التي ترغب فيها بتفسير العملية وجعلها مرئية ، هذه العملية التي يدين لها تاريخ الانجيل بنشأته فان من غير الممكن تقديم شيء سوى **مظهر** العملية والجملة التي تقول ان لتاريخ الانجيل مصدره ونشأته في السنة » تقرر الشيء نفسه مرتين — « السنة » و « تاريخ الانجيل » ومع

ذلك فان من المسلم به انها تحدد علاقة بينهما ولكنهـــا لا تخبرنا الى **اي عملية داخلية للجوهر** يدين تطورهما وعرفهما بنشأتهما

ان**الجوهر** عند **هيغل** يجب ان يفهم على انه **عملية داخلية** . ويشخص هيغل التطور من وجهة نظر الجوهر كما يلي

ولكن اذا أمعنا النظر اكثر في هذا **الامتداد** فسوف نجد انه لم يجـر الوصول اليه بالمبدأ نفسه الذي يتخذ شكلا بطرق متنوعة ، انه تـــكرار لا شكل له للفكرة الواحدة نفسهـــا محتفظا بمظهـــر النـــوع (الفينومينولوجيا المقدمة ص ١٢) النجدة يا هنريك ؟

ويتابع الهر بوير يجب على النقد طبقا لهذا أن ينقلب ضد نفسـه ويجد الحل للجوهرية السرية حيث **تطـور الجوهر نفسـه** يؤدي الى الشمولية واليقين بالفكرة ووجودها الحقيقي ، الى **الوعي الذاتي المطلق »** المرجع السابق ص ٧)

ويستمر **نقد هيغل** لوجهة نظر الجوهرية ينتظر من الفلسفة... ان تحطم الصلابة الكثيفة وتأتي بها الى الوعي الذاتي

ان **الوعي الذاتي** لبوير هو أيضا **جوهر ارتفع** الى الوعي الـذاتي او **وعي ذاتي** باعتباره جوهرا **ان الوعي الذاتي** يتحول من صفة الانســـان الى **ذات قائم بذاته** هذا هو كاريكاتور الانســـان **اللاهـوتي الميتافيزيـكي** في انفصاله عن الطبيعة ولذلك فان **كائن** هذا الوعي الذاتي ليس **الانسان** ، بل الفكرة التي يشكل الوعي وجودها الحقيقي انها الفكرة **تصبح انسانـا** ولذلك فانها **غير محدودة** وهكذا تتحول كل الصفات البشرية بطريقة سرية الى وعي ذاتي مطلق موهوم ولذلك يقول الهر بوير **بوضوح** ان **كل شيء له نشاته** ، **له تفسيره** في هذا « الوعي الذاتي المطلق » اي يجـد فيه **أساس وجوده** فالنجدة يا هنريك

ويتابع الهر بوير ان قوة **العلاقة الجوهرية** تملك في دافعها ، الذي

يؤدي بنا الى **المفهوم** ، **الفكرة والوعي الذاتي** »

يقول هيغل وهكذا **فالبدعة** * هي **حقيقة الجوهر** » تحــول العلاقة الجوهرية يتخذ مكانه خلال ضرورته اللازبة الخاصة ويتــكون في هذا فقط ، ذلك ان **المفهوم** هو حقيقة الجوهر « ان **الفكرة** ** بدعــة (**Notion**) ملائمة » « ان البدعة وقد حققت وجودها الحــر ليست سوى « الأنا » او **الوعي الذاتي الخالص** » (**المنطق** ، **مؤلفات هيغل**، الطبعة الثانية ، المجلد الخامس ، الصفحات ٦ ، ٩ ، ٢٢٩ ، ١٣) النجدة ــا هنريــك

يبدو مضحكا للغاية عندما لا يزال الهر بوير يقول في **صحيفته الادبيــة** فشل شتراوس لأنه كان عاجزاً عن **تقديم نقد كامل لمذهب هيغل** ، مــع انه اثبت في نقده الناقص ضرورة تكميل هذا النقد الخ

لم يكن **نقداً كاملا** لمذهب هيغل ذاك الذي ظن الهر بوير أنه يقدمــه في كتابه (**نقد السينوبتيك**) بيد انه على الاغلب **تكملة لمذهب** هيغــل ، على الاقل في تطبيقه على اللاهوت

انه يصف نقده (نقد السينوبتيك ، التمهيد ص ٢١) بأنه آخر اعمال **لمذهب مجدد** ، **الذي** ليس اكثر من نظام **هيغل** .

ان النزاع بين **شتراوس** و **بوير** حول **الجوهر** و **الوعي الذاتي** هو نزاع في اصل التأمل الهيغلي بالنسبة لهيغل هنــاك **ثلاثة** عناصر **جــوهر سبينوزا** ، و **الوعي الذاتي لفيخته** ، والوحدة الضروريــة والمتصارعــة للاثنين لدى هيغل ، وهي **الروح المطلقة** العنصر الاول هو **طبيعة تقليدية منتزعة** من الانسان ميتافيزيائيا والعنصر الثاني هو **روح** تقليديــة منتزعة من الطبيعة ميتافيزيائيا والعنصر الثالث هو وحدة **تقليدية** للعنصريــن

** Notion المثال او الفكرة المجردة المترجم)

السابقين ، **الانسان الحقيقي والجنس البشري الحقيقي .**

لقد شرح شتراوس **هيغل** من **وجهة نظر سبينوزا** وشرحه بوير **من وجهة نظر فيخته** في ميدان اللاهوت وكلاهما في تماسك تام كلاهما انتقد هيغل بقدر ما كان كل عنصر من العنصرين مزورا لديه بالعنصر الآخر ، بينما دفع كل من شتراوس وبوير كل عنصر من العنصرين الى زاويته **الاحادية ،** الى التطور **المتماسك** وكلاهما **تخطيا** هيغل في نقدهما ، ولكن كليهمـــا ايضا بقي **في داخل** تأمل هيغل ، وكل واحد منهما يمثل جانبا **واحـــدا** من مذهبه كان **فيورباخ** اول من اكمل هيغل ونقده من وجهة نظر **هيغـــل ،** بحله الروح **المطلقة** ميتافيزيائيا الى الانســـان الحقيقي على اســـاس الطبيعة » واكمل نقد الدين برسمه البارع **للسمات الاساسية العامة لنقـد هيغل ، وبالتالي اي نوع** من الميتافيزياء

بالنسبة للهر بوير ، من المسلم به ، ان الـــذي أملى الكتابات عـلى الرسول الانجيلي* ليس **الروح القدس** بل **الوعي الذاتي المطلق**

« لا نستطيع ان نخفي اكثر من ذلك حقيقة ان المفهوم الصحيـــح لتاريخ الانجيل له أيضا **اساسه الفلسفي ،** الذي هو **فلسفة الوعي الذاتي».**
(برونو بوير ، نقد السينوبتيك ، التمهيد ص ١٥)

فلسفة بوير هذه ، **فلسفة الوعي الذاتي ،** مثل **نتائج** الهـر بوير التي حققها في نقد اللاهوت ، يجب ان نلخصها بمقاطع قليلة نأخذها من كتابـه (Das entdechte christenthum) ، وهو كتابه الاخير عن فلسفة الدين

يقول متحدثا عن **الماديين الفرنسيين :**

« عندما تنكشف **حقيقة** المادية،حقيقة **فلسفة الوعي الذاتي** ، ويجري

★ الرسل الانجيليون هم الرسل الذين كتبوا الاناجيل متى ، لوقا ، مرقس،يوحنا (المترجم)

الاعتراف **بالوعي الذاتي** على انه **الكل بالكل** ، كحل للغز جوهر سبينوزا وكقضية حقيقية قائمة بذاتها فما غرض الروح ؟ **ما غرض الوعي الذاتي** ؟ كما لو ان **الوعي الذاتي** ، بافتراضه**العالم** يفترض **التمييز** وينتج **نفسه** في كل ما ينتج ، ما دام يتخلص مرة اخرى **من تمييز ما انتجه من ذاته،** **لانه هو نفسه** في الانتاج فقط وفي الحركة ـ كما لم يكن للوعي الذاتي غرض ، ولا يملك ذاته في تلك الحركة التي هي نفسها موجودة Das entdechte christenthum) ص ١١٣

في الحقيقة فهم الماديون الفرنسيون حركة **الوعي** الذاتي على انها حركة الكائن الشامل ، المادة ، ولكنهم لم يستطيعوا **بعد** ان يروا ان **حركة الكون ا**صبحت **حقيقية** لذاتها واجتمعت في وحدة مع ذاتها بوصفها حركة الوعي الذاتي فقط (الفصل الاول ١١٤ ـ ١١٥) النجدة يا هنريك

ان المقطع الاول يعني بلغة بسيطة ان حقيقة **المادة** هي **نقيض** المادة ، المطلق ، اي **المثالية** غير المخففة ، الحصرية آن الوعي الذاتي ، « **الروح** ، هو **الكل بالكل** ، وخارجه **لا شيء يوجد** ان « الوعي الذاتي الروح » هو الخالق الكلي القدرة للعالم ، وللسماء والارض ان **العالم** مظهر لحياة الوعي الذاتي الذي لم يكن له بد **ان يفرغ نفسه** وقد اتخذ **شكل عبد** ، ولكن الاختلاف بين العالم والوعي الذاتي هو **اختلاف ظاهري** فقط ان الوعي الذاتي لا يميز شيئا حقيقيا عن نفسه وليس العالم بالاولى سوى تمايز ميتافيزيائي فقط ، تلفيق للدماغ الاثيري وتخيل **الوعي الذاتي** ولذلك فانه يتخلص من المظهر الذي اتخذه للحظة بأن شيئا ما يوجد خارجه ويعترف إن ما انتجه ليس موضوعا حقيقيا ، يعني انه ليس موضوعا يميز في الواقع عن الوعي الذاتي وبهذه الحركة ينتج الوعي الذاتي نفسه اولا باعتباره مطلقا لان المثالي المطلق حتى يكون مثاليا **مطلقا** ، يجب بالضرورة ان يمر باستمرار عبر **العملية السوفسطائية** التي تقوم في تحويل العالم اولا **خارج نفسه** الى **كائن ظاهري** ، الى مجرد تخيل لدماغه الخاص وبعد ذلك اعلان ان الوهم هو ما هو فعلا ، اي وهم

خالص ، بحيث انه آخيرا يكون قادرا على اعلانوحدانيته،وجوده الحصري، الذي لا نعكره بعد الآن حتى مظهر العالم الخارجي

والمقطع الثاني نعني من المسلم به ان الماديين الفرنسيين فهمـــوا حركات المادة على انها حركات فيها روحانية ، ولكنهم ما كانوا يستطيعـون ان يروا بعد انها ليست حركات مادية ، بل هي حركات **مثالية** ، حركـات الوعي الذاتي وحركات خالصة للفكر لم يكونوا قادرين بعد ان يروا ان الحركة الحقيقية للكون اصبحت حقيقية وفعلية فقط بقدر ما هي حركـة مثالية للوعي الذاتي حرة ومحررة من **المادة** أي من **الواقع** ، وبكلام آخر بقدر توجد تلك الحركة **المادية** متميزة من حركة الدماغ المثالي في المظهـــر فقط فالنجدة يا هنريك

هذه النظرية التأملية عن الخلق نجدها تقريبـا بنصها كلمة كلمـة في مؤلفات هيغل ؛ ويمكن ان نجدها في اول كتبه وهو **الفينومينولوجيا** .

هذا الاغتراب **للوعي الذاتي** يؤسس **الشيئية** بنفسه وفي هذا الاغتراب يؤسس الوعي الذاتي نفسه **كموضوع** أو يقيم الموضوع على انـه ذاته ومن جهة أخرى هناك ايضا هذه اللحظة الاخرى انه أبطل هـــذا **الاغتراب** وهذا التشيؤ (Objectification) واستأنفهمـا في ذاته هذه هي حركة الوعي » (هيغل **الفينومينولوجيا** ص ٥٧٤ ــ ٥٧٥)

يملك الوعي الذاتي **مضمونا** يميزه عن **نفسه** هـذا المضمون في تمييزه هو « **الأنا** » ، لأنه **حركة** الابطال الذاتي وآذا تحدثنا بدقـــة اكثر قلنا ليس هذا المضمون سوى تلك الحركة **بالذات التي سبقت الاشارة اليها** ؛ لانها **الروح** التي تنتشر في **ذاتها** ومن **أجل ذاتها** كروح » (المرجـــع السابق الصفحتان ٥٨٢ و ٥٨٣)

وبالرجوع الى نظرية الخلق الهيغلية هذه يلاحظ **فيورباخ** « المـادة هي الاغتراب الذاتي للروح ولذلك فالمادة نفسها تكتسب الروح والفـكر ولكن في الوقت نفسه تفترض على انها لا شيء ، على انها كائن غير واقعي

بقدر ما نكون نتاج هذا الاغتراب فقط اي الكائن الـذي يخلق نفسه من المادة من الحسية ، الكائن في تمامه ، معبرا عنه في شـــكله وهيئتـــه الحقيقيين ولذلك فالطبيعي والمادي والحسي هي اشياء منفيـة هنـا ، **كالطبيعة التي افسدتها الخطيئة الاصلية** في اللاهوت

وهكذا يدافع الهر بوير عن المادية ضد اللاهوت غير النقــدي ، وفي الوقت نفسه يلومها لعدم كونها « بعد » **لاهوتا نقديا** ، **لاهوت العقل** ، **تأمـلا هيغليا** هنريك هنريك !

ان الهر بوير الذي ينجز معارضته الخاصة **للجوهر** ، فلسفته **الخاصة** في **الوعي الذاتي** أو الروح في كل الميادين ، يجب عليه بالتالي ان يعـــالج تلفيقات دفاعه الخاص فقط في كل الميادين. ان **النقد** في يده هو الاداة التي بها يصعّد الى مجرد **مظهر** وفكر خالص ، كل ما يستدعي وجـــودا ماديا **محددا خارج الوعي الذاتي اللامحدود** في مفهوم الجوهر لايهاجم النقـــد **الوهم الميتافيزيكي** بل يهاجم نواته**الدنيوية** ، **الطبيعة** الطبيعة الموجـودة **خارج** الانسان وبوصفها طبيعة الانسان على حد سواء ان عدم افتراض **الجوهر** في اي مجال – لا يزال ستخدم هذه اللغة – يعني إذن بالنسبـــة عدم الاعتراف بأي **كائن** متميز عن الفكر ، اي **طاقة طبيعية** متميزة عن**عفوية الروح** ، أي **قوة بشرية للكائن** متميزة عن العقل أي **سلبية** متميـزة عـن **الايجابية** ، اي **تأثير** متميز عن **الفعل الخاص** ، أي شعور او رغبة متميزة من **المعرفة** ، اي **قلب** متميز عن الرأس ، اي **موضوع** متميز عن **الذات** ، اي **ممارسة** متميزة عن **النظرية** ، أي انسان متميز عن **الناقد** ، اي **شموتيـة حقيقية** متميزة عن العمومية **المجردة** اي **انت متميزة** عن **انا** ولذلك فان الهر برونو بوير حازم عندما يعني حتى توحيد نفسه مـــع **الوعي الذاتي المطلق** ، مع **الروح** ، اي يستبدل مبدعاته هذه بمبدعها وهـو لا يقل عـن ذلك حزما في رفض **بقية العالم** على انه **جمهور عنيد ومادة . بقيـــة العالم** التي تنادي بعناد انها شيء ما **متميز** عما انتجه **هو** الهر بوير وهـــكذا فانه يرجو

«لن يطـــول الزمـــن

حتى تحين نهايــة الاجساد»

ان سخطه الخاص لانه حتى الآن لم يكن قادرا على بلوغ شيء ما مـــن « **هذا العالم الأخرق** » ليصنع منه بحزم **سخطا ذاتيا** لهذا العالم ، كمـــا صنع من نقمة نقده على تطور الجنس البشري نقمـــة الجنس البشـــري **الجماهيرية** على نقده ، على الروح ، **على الهر برونو بوير وشركاه**

كان الهر بوير **لاهوتيا** من البداية الاولى ولكنه لاهوتي غير عادي كان **لاهوتيا نقديا** او **ناقدا لاهوتيا** **وبينما لا يزال الممثل المتطرف للأرثوذكسية** الهيغلية القديمة ، المنظم التأملي لكل **هراء لاهوتي وديني** ، **فانه يدعي بعناد النقد ميدانه الخاص** وفي ذلك الوقت سمى نقد شتراوس نقـــــد! **انسانيا** ودافع بصراحة عن حق النقد المقدس **في تعارض مع ذلك النقد** ولقد جرد فيما بعد **الاعتماد على الذات** او الوعي الذاتي ، الذي كان النواة المخبوءة لتلك الالوهية ، من غلافه الديني ، **جاعلا منه وجودا ذاتيا وكأنـه** كائن مستقل ، ورفعه باسم العلامة التجارية **« الوعي الذاتي المطلق »** الى مصاف مبدأ النقد عندئذ انجر في حركته الخاصة **الحركة التي تجتازها « فلسفة الوعي الذاتي »** كعمل مطلق للحياة **والغى من جديد « التمييز »** بين النتاج » وهو **الوعي الذاتي المطلق** ، والمنتج ، وهو برونو بويـــــر نفسه ، واعترف **ان الوعي الذاتي المطلق** لم يكن في حركته **« الا هو نفسه »** ولذلك فان حركة الكون تغدو لاول مرة **حقيقية وواقعية في** حركته الذاتيه المثـــاليـــة

ان النقد الالهي **في عودته الى ذاته** قد **اعيد بطريقـــة نقديـــة واعيـــة** عقلانية . ان **الكائن في ذاته** حوّل الى **كائن في ولاجل ذاته معـــا** ، وفي النهايه فقط حدثت البداية المتجلية ، **المتحققة** ، **المنجـــزة** ان **النقـــد الالهي** باعتباره **متميزا** عن النقد **الانساني** ، تجلى كنقد ، **كنقد خالص** ، **كنقـــد**

★ **الشعر لغوته في (فاوست)** **(المترجم)**

نقدي وعوضا عن الدفاع عن **العهدين** القديم والجديد ، نحصل على الدفاع عن مؤلفات الهر بوير **القديمة والجديده** ان الطباق اللاهوتي للاله والانسان والروح والجسد والمطلق والمحدود قد حوّل الى الطباق **النقدي اللاهوتي** بين الروح ، أي للنقد او بوير ، وبين المادة ، أي الجمهور العالم الدنيوي وقد انحل الطباق **اللاهوتي** بين الايمان والعقل في الطباق اللاهوتي النقدي بين **العقل الانساني السليم** والتفكير النقدي الصافي لقد تحولت **صحيفة اللاهوت التأملي** الى الصحيفة الادبية النقدية وقد اصبح **المخلص الديني للعالم** واقعا قائما في **المخلص النقدي للعالم** ، الا وهو الهربوير

والمرحلة الاخيرة للهر بوير ليست شذوذا في تطوره انها **عودة** تطوره الى **ذاته** من **اغترابه** ومن الطبيعي ان اللحظة التي اغترب فيها النقد الالهي المقدس عن نفسه وخرج من ذاته تطابقت مع اللحظة التي كان فيها **غير صادق مع نفسه جزئيا وخلق شيئا ما انسانيا .**

والنقد المطلق ، بعودته الى نقطة البداية يهي **الحركة الدائرية** التأملية وبذلك ينهي **سيرة حياته** الخاصة وحركته اللاحقة نقية **تدور حول ذاتها** فوق كل مصلحة **جماهيرية** ، ولهذا فهي **فارغة** من اي مصلحة **لاحقة يستفيد منها الجمهور**

الفصل السابع

مراسلة النقد النقدي

١ - الجمهور النقدي

اين يمكـن للمـرء ان شعر بالراحـة
اكثر من راحتـه في النطاق العائلي*

ان النقد النقدي ، وقد تجسد بصورة مطلقة في الهر برونو ، **قد اعلن** ان كل الانسانية غير النقدية ، جمهور الانسانية ، هو ضده ، هو **موضوعه الاساسي ، اساسي** لان الجمهور **إنما** وجد من اجل مجـد الرب الاعظـم (Ad Majoren Glarion dei) من اجـل مجد النقـد ، مجـد الـروح ، وموضوعه ، لانه مجرد المادة التي عليها يعمل النقد النقدي ونادى النقد النقدي بعلاقته بالجمهور على انها علاقة تاريخية ـ عالمية للوقت الحاضر

على اي حال لا يتشكل **تعارض تاريخي ـ عالمي** عن طريق التصريـح ان المرء معارض لكل العالم ويمكن ان يتخيل المرء انـه حجر عثرة امـام العالم لانه اخرق بما فيه الكفاية بحيث نتعثر في كل مكان ، ولكن بالنسبة للتعارض التاريخي ـ العالمي فلا نكفي ، بالنسبة الي ، ان اعلن ان العالـم نقيضي فالعالم ايضا يجب ان يعلـن انني نقيضه الجوهري ، ويجب ان يعاملني ويقر بي على هذا الاساس ويضمن النقد النقدي هذا الاقرار لنفسه عن طريق **مراسلته** المقدر لها ان تشهد للعالم علـى **وظيفته النقـدية**

★ الشعر لكاتب فرنسي (مار موتيل) من احدى كوميدياته

(المترجم)

كمخلص ، وعلى استيلاء العالم العام من الانجيل النقدي والنقد النقدي موضوع لنفسه بوصفه موضوعا للعالم ، والغرض من المراسلة ان تظهره على هذا الشكل ، باعتباره المصلحة العالمية للوقت الحاضر

النقد النقدي في نظر نفسه هو الذات المطلقة والذات المطلقة تحتاج الى عبادة ، والعبادة الحقيقية تحتاج الى الافراد المؤمنين ، وهذا هو السبب في ان العائلة المقدسة في (شارلوتبرغ) تحصل من مراسليها على العبادة المتوجبة لها ، والمراسلون يخبرونها ما هي عليه وما ليس عليه الجمهور الذي هو خصمها

وعلى اي حال ، فان النقد وقع في تهافت عن طريق تشخيص رايه في ذاته بأنه راي العالم وتغيير مفهومه الى واقع ان تشكيل نوع من الجمهور يحدث داخل النقد نفسه ، تشكيل جمهور نقدي مهمته البسيطة ان يردد ، بلا كلل ، صدى معجزات النقد ، وفي مصلحة الحزم يمكن التغاضي عن هذا التهافت وبما ان النقد النقدي لا يحس العالم الخاطىء فعليه ان يخلق عالما خاطئا في بيته الخاص

ان طريق مراسل النقد النقدي عضو الجمهور النقدي ، ليس مفروشا بالورد ، انه طريق وعر وشائك ، انه طريق نقدي ، والنقد النقدي استاذ روحاني ، انه تلقائية خالصة وعمل صاف (Actus purus) لا يتحمل اي تأثير من الخارج لذلك يمكن للمراسل ان يكون موضوعا في المظهر فقط ، ان يصنع مظهرا من الاستقلال تجاه النقد النقدي ، مظهرا من الرغبة في نقل شيء ما جديد ومن خاصته الى النقد النقدي ، وفي الحقيقة انه من صنع النقد الخاص ، انه الاصاخة لصوته وقد جعلت لبرهة من الزمن موضوعية وذاتية الوجود

وهذا هو السبب في ان المراسلين لا يتوانون عن التأكيد باستمرار على ان النقد النقدي نفسه يعرف ، ويتحقق ، ويفهم ، ويستوعب ، ويجرب ما ينقل اليه في اللحظة نفسها من اجل المظهر ولذلك يستخدم زيرليدر

التعابير « هل استوعبه » « وانت تعرف ، انت تعرف للمرة الثانية والمرة الثالثة لا شك انك سمعت ما فيه الكفاية لتكون قادرا ان تفهم من نفسك »

وهكذا يقول ايضا فليشهامر مراسل يريسلو « ولكن ذلك الخ سوف يكون لغزا لك كما هو لغز بالنسبة الي » او مراسل زوريخ واسمه هرزل فيقول « الأرجح انك سوف تستنبط بنفسك » والمراسل النقدي يملك مثل هذا الاحترام القلق للفهم المطلق **للنقد النقدي** ، بحيث انه يعزو الفهم اليه حتى لا يوجد شيء للفهم على الاطلاق فمثلا يقول فليشهامر سوف تفهم » (!) « على اكمل وجه » (!) عندما اخبرك ان المرء لا يكاد يستطيع ان يخرج من دون مقابلة كهنة الكاثوليك الشباب في البستهم وقلنسواتهم السوداء »

ان المراسلين في الحقيقة يسمعون في خوفهم النقد النقدي **يقول** ، **ويجيب ويهتف ويسخر منهم عاليا** .

يقول زيرليدر مثلا « لكن ـ انت **تقول** حسن ، اذن ، استمع » ويقول فليشهامر « نعم انا اسمع **ما انت تقول** ، اني عنيت فقط ان ... » اما هرزل فيقول يا اولمان ، انت سوف تعجب » اما مراسل نيوبنجن فيقول **« لا تضحك مني ! »** .

ولذلك فان المراسلين ايضا يستعملون التعابير كما لو انهم ينقلون **الوقائع** الى النقد النقدي ويتوقعون منه ان يشرح ذلك **شرحا روحيا** ، انهم يزودونه **بالمقدمات** ، ويتركون **النتيجة** له ، او حتى انهم يعتذرون عن تكرار الاشياء التي يعرضها النقد منذ زمن بعيد

فزيرليدر مثلا يقول يستطيع مراسلك ان يقدم فقط صورة ، وصفا للوقائع ـ ان الروح التي تحيي تلك الاشياء ليست **بالتأكيد مجهولة** منك » او ايضا « من المؤكد انك ستستخلص **النتيجة بنفسك** » . **ويقول** هرزل « انا لا اتجرأ على ان آخذ وقتك بالفرض التأملي ان اي **مخلوق** اهله في الحد الاقصى لتصفيته »

وليس **ما يلاحظ** المراسلون احيانا سوى **اثبات نبوءات** النقد **وانجازها.** ويقول ، مثلا ، **فليشهامر** ان **نبوءتك** قد تحققت ويقول **زيرليـــر** « ان الاتجاهات التي وصفتها لك على انها تزداد انتشارا في سويسرا لابعد ما تكون عن الحاق الضرر بل هي مشكورة جدا **لانها تثبت تماما الفكرة التي غالبا ما كنت تعبر** عنها الخ

يشعر النقد النقدي احيانا بدافع للتعبير عن التلطف الذي يراه في **مراسليه** ويبرره بواقع ان ... سل بعض **المهمة** بنجاح وهكذا يكتب (الهر برونو) الى مراسل بونيحن ... ان من قبيل التهافت حقا من جهتي ان ارد على رسائلك — ... حية اخـــرى ... قدمت مرة اخـــرى **ملاحظه جديرة** هي انني **لا استطيع** رفض الشرح الذي طلبته

وللنقد النقدي رسائل ... من ... ـــن **المقاطعات** ليس مقاطعات بالمعنى السياسي التي كما نعرف لا توجد في اي مكان في المانيا ، بـــل من **المقاطعات** النقدية التي عاصمتها برلين ، **برلين** التي هي مقر البطارقـــة النقديين والعائلة النقدية المقدسة اما ما يسمى مقاطعات فهو هناك حيث يقيم الجمهور النقدي ولا يجرؤ اهالي المقاطعات النقدية ان يلفتوا نظر السلطة النقدية العليا دون الانحناءات والاعتذارات

وهكذا كتب احدهم بصورة مغفلة الى الهر ادغار الذي هو احد اعضاء العائلة المقدسة وفي الوقت نفسه هو جنتلمان محترم جدا من الفئة العليا

سيدي المبجل آمل ان تجد تلك السطور **الصفح** منك على اساس ان الشباب يجب ... تتجمع باسم المساعي المشتركة ليس ثمة اكثر مـــن سنتين من **الفروق** بين عمرينا)

هذا الرفيق في العمر للهر ادغار يصف نفسه مصادفة على انه **جوهر الفلسفة الاخيرة .** هل من الامور العادية تماما بالنسبة للنقد ان يتراسل مع **جوهر** الفلسفة ؟ واذا اكد رفيق الهر ادغار في السن انه قد فقد **اسنانه** من قبل ، ليس ذلك سوى تلميح الى **جوهره المجازي** هذا « الجوهر للفلسفة

الاخيرة تعلم من فيورباخ ان يضع عنصر التربية في « النظرة **الموضوعية** ». وهو يقدم في الحال نموذجا **لتربيته وآرائه** بتأكيده للهر آدغار **انه اكتشف نظرة شمولية** لقصته « عاشت المبادىء الثابتــة ! » **وفي نفسه يسلم** بشكل صريح ان وجهة نظر الهر ادغار ليست واضحة له في حال من الاحوال، واخيرا مثل التأكيد بأنه اكتسب نظرة شمولية بالسؤال التالي « **اوهــل** تراني **اسات فهمك كليا** ؟ » وبعد هذا النموذج سيتبين بصورة طبيعية تماما ان جوهر الفلسفة الاخيرة ، بالاشارة الى الجمهور ، **يجب ان يقول** « يجب علينا ان **نتناول** ولو مرة على الاقل لنختبر ونفك العقيدة السحرية التي تحول دون الدنو من **الطوفان المطلق للفكر** من العقل البشري العام »

وبغية الحصول على نظرة كاملة عن الجمهور النقدي ، **يجب على المرء** ان يقرا **مراسلات** (الهر هرزل) من زرويخ (رقــم ٥) ، **ان هذا الرجــل** اسيىء الحظ يغترف معجزات النقد في ذاكرته المشرفة **ببساطة موثرة حقا**، دون حذف العبارات المغفلة (للهر بوير) عن المعارك التي خاضها ،**والحملات** التي خطط لها وتراسها ، ولكــن (الهر **هــرزل**) **يمارس مهنتــه كعضو في** الجمهور النقدي وخاصة **بتهجمه** على **الجمهور الدنيوي** **وموقفه** من **النقــد النقدي** يتحدث عن الجمهور المطالب بدور في التاريخ ، عن الجمهور النقي » عن « النقد الصافي » عن « صفاء هذا التناقض » ـ « **تناقض اصفى** مما وفره اي تاريخ » عن « **الكائن المستاء** » عن الخواء التــام ، **والفكاهة** الرديئة ، والكآبة ، والقسوة ، والجبن ، والضراوة ، والمرارة التــي يميز بها جميعا الجمهور تجاه النقد ، الجمهور الذي لا يوجد الا **لكي تزيد** مقاومته النقد حدة واحتراسا انه يتحدث عــن « **الخلق من الحــد** الاقصى ، عن كيف ان النقــد هو فــوق **الكراهية** والمــواطف الدنيوية المشابهة وكل ما يزود به (الهر هرزل) الصحيفة الادبية **يمكن اختصاره** بهذه الوفرة من مهابط وحي النقد . وبينما نلــوم **الجمهور** **لاكتفائه بمجرد** « الاستعداد » و « النية الحسنة الجملة » « الايمان » **الخ نجده هــو** نفسه باعتباره عضوا من اعضاء **الجمهور النقــدي** راضيا بالجمل وتعابــير « استعداده النقدي » و ايمانه النقدي » نيته الطيبة النقدية » ويترك

بالرغم من الصورة المرعبة «للتوتر التاريخي العالمي القائم بين العالم الدنيوي والنقد النقدي» الذي يمثله اعضاء «الجمهور نقدي فان واقع القضية واقع هذا التوتر **التاريخي ــ العالمي** لم يقرر على الاقل لغير المؤمن ان هذا التكرار الذليل وغير النقدي لـ تخيلات النقد و ادعاءاته قبل المراسلين يثبت ان افكار المعلم الثابتة هي افكار الخادم الثابتة ايضا وصحيح ان احد المراسلين قام بمحاولة تقديم دليل مبني على **الواقع**

انه يكتب للعائلة المقدسة « آنت ترى ان **الصحيفة الادبية** قد حققت غرضها ، يعني آنها لم تقابل **بالاستحسان** لا يمكنها ان تقابل بالاستحسان الا اذا ترددت بانسجام مع عدم التفكير ، آذا سرت امامها بأجراس ترن بتعابير كل العصبة الانكشارية للمقولات الشائعة »

من الواضح ان المراسل يبذل مجهوده لان يهرول حاملا التعابير غير « الشائعة » وآن شرحه لواقع ان **الصحيفة الادبية** لم تقابل بالاستحسان يجب ان يرفض باعتباره شرحا **تبريريا** خالصا هذا الواقع يمكن آن يفسر بطريقة معاكسة تماما بالقول ان النقد النقدي في **انسجام** مع **الجمهور** العظيم ، واذا اردنا الدقة قلنا مع الجمهور العظيم من المخربشين الذين **لا يقابلون بالاستحسان** ولذلك فلا يكفي بالنسبة للمراسل **النقدي** ان يوجه تعابير النقد آلى العائلة المقدسة « كصلوات » وفي الوقت نفسه الى الجمهور « كلعنات » آن الحاجة هي لمراسلين **جماهيريين** ، غير «نقابيين» موفدين حقيقيين من الجمهور الى النقد النقدي ، لاظهار التوتر الحقيقي بين الجمهور والنقد هذا هو السبب في آن النقد النقدي يفسح مكانا **للجمهور غير « النقدي »** . انه يجعل **الممثلين** غير المتحيزين للاخير **يتراسلون** معه ، ويعترف بالمعارضة ضده ، هو النقد ، باعتبارها ذات شأن ، وتطلق صرخة مخيفة من اجل الفداء من تلك المعارضة

٢ ـ « الجمهور غير النقدي » و « النقد النقدي »

ـ الجمهور الفظ و الجمهور المتعطش

ان قساوة القلب ، والفظاظة والكفر الاعمى لدى « الجمهور » لها ممثل معين ويتحدث هذا الممثل عن الثقافة الفلسفية الهيغلية على وجه الحصر لراية برلين »*

يقول ان التقدم الحقيقي الوحيد الذي نستطيع القيام به يكمن في الاعتراف بالواقع ولكنا تعلمنا منك ان معرفتنا لم تكن معرفة الواقع وانما معرفة شيء ما غير واقعي

انه يدعو العلوم الطبيعية اساس الفلسفة ان العالم الطبيعي الجيد يقف من الفيلسوف مثل موقف الفيلسوف من اللاهوتي

وفيما بعد يقدم الملاحظة التالية عن راية برلين

لا أظن أن من المبالغة في شيء اذا ما حاولنا ان نشرح حالة اولئك الناس بالقول انهم اجتازوا مرحلة **التجدد الروحي** ولكنهم لم يتمكنوا بعد من التخلص كليا من جلدهم القديم حتى يكونوا قادرين على امتصاص عناصر التجدد والمادة الشباب علينا نحن بعد ان نتمثل هذه المعرفة معرفة العلوم الطبيعية والمعرفة الصناعية ان معرفة العالم والانسان التي نحتاج اليها اكثر بكثير من غيرها لا يمكن ان تكتسب بحدة التفكير وحدها ؛ ان كل الحواس يجب ان تساهم وكل قابليات الانسان يجب ان تستخدم كأدوات لا غنى عنها والا فسوف يبقى التأمل والمعرفة

★ راية برلين لقب أطلق على جماعة من أنصار هيغل الذين يكونوا منضوين تحت لواء برونو بوير وكانوا ينتقدون الصحيفة الادبية الالمانية في بعض المسائل الصغيرة المحدودة ومن هذه الجماعة ماكس شتيرنر المترجم

دائما في عجز ، وسيؤديان **الى الموت الاخلاقي** .

ولكن هذا المراسل يموه الدواء الذي يسلمه للنقد النقـــدي انه يجعل كلمات بوير تجد تطبيقها الصحيح و « يتبع **تفكـــير بوير** » و يوافق على ان **بوير يقول الحقيقة** » ، ويبدو في النهاية انه يناظر،ليس ضد النقد نفسه بل ضد رابة برلين » التي تتميز عنه

ان النقد النقدي ، وقد شعر بنفسه آنه اصيب ، وهو الحساس مثل عذراء قديمـــة تجاه كل **قضايا الايمان** ، لن يؤخذ بتلـك التمييـــزات والاطراءات انه يجيب « انت مخطىء ان ظننت الحزب الذي وصفتــه في بداية رسالتك **خصما** لك ، واحرى بك ان توافق (وهنا تأتي اللعنـــة الساحقة) على انك **خصم للنقد نفسه** » البائس الانسان الجماهيري خصم النقد نفسه لكن بقدر ما يتعلق الامر بهذه المناظرة **الجماهيرية** فـــان النقد النقدي يعلن **احترامه** لموقفها النقدي من **الصناعة والعلوم الطبيعية** .

كل **الاحترام للعلوم الطبيعية !** كل الاحترام لجيمس واط » (وانها لفته كريمة حقا !) لا احترام مطلقا للملايين التي كسبها لانسبائه كل الاحترام لاحترام النقد النقدي » وفي الرسالة نفسها التي يلوم فيها النقد النقدي « رابة برلين الآنفة الذكر لانها تتخلص بسهولة فائقة من مؤلفات ذكية ومتينة ولانها تنتهي دون دراستها من مؤلف ما بمجرد القول انه يبدأ مرحلة جديدة من التاريخ الخ في تلك الرسالة نفسها يصرف **النقـد النقدي** العلوم الطبيعية **والصناعة** بمجرد الاعلان عن احترامه لهـــا وان المادة التي يجعل النقد اعلان احترامه للعلوم الطبيعية متوقفا عليها ، تذكر المرء بالعوائق الاولى للفارس الراحل **كروك** ضد الفلسفة الطبيعية

ليست الطبيعة الواقع الوحيد ، لاننا **نأكلها ونشربها في منتجاتهـا الفرديـة** » .

ان كل ما يعرفه النقد النقدي عن **المنتجات الفردية** للطبيعة هو اننـا « **نأكلها ونشربها** » . فكل الاحترام لعلوم النقد النقدي الطبيعية والنقد

اشد حزما في الطريقة التي ساجز فيها الطلب المسلح لدراسة « الطبيعة » و الصناعة بهذا التعجب الخطابي الذكي الذي لا نزاع فيه

أو هل تعتقد ان معرفة الواقع التاريخي قـد اكتملت سلفا ؟ « او هل تعرف اي فترة من فترات التاريخ قد عرف فعلا من قبل ؟

او ربما يعتقد النقد النقدي انه قـد وصل حتى الى بداية معرفـة الحقيقة التاريخية بينما لا يزال يستثني من الحركة التاريخية العلاقات العملية والنظرية للانسان مع الطبيعة العلوم الطبيعية والصناعة ؟ او هل يعتقد انه يعرف فعلا اي عصر من دون أن يعرف مثلا صناعة ذلك العصر والطريقة المباشرة لانتاج الحياة نفسها ؟ طبعا ان النقد النقدي اللاهوتي الروحي يعرف فقط (أو على الاقل يتصور انه يعرف) الاعمال اللاهوتية والادبية والسياسية الرئيسية التاريخ وكما انه يفصل الفكر عن الحواس والنفس عن الجسد ويفصل ذاته عن العالم فانه ايضا يفصل التاريخ في الانتـاج المادي الفظ على الارض بل يراه في الغيوم الضبابية في السماء

ان ممثل الجمهور الفظ و القاسي مع ارشاداته وتأنيباتـه يعامل على انه **مادي جماهيري** والمراسل الآخر الـذي ليس خبيثـا او جماهيريا بهذا القدر ، والذي يعلق آماله على النقد النقدي ولكن يصـاب بالخيبة لا يعامل بأفضل من تلك المعاملة ويكتب ممثـل الجمهـور «المتعطش» يجب علي ان اسلم بأن العدد الاول لصحيفتك لم يكن **مرضيا**، لقد توقعنا شيئا آخر

ويرد البطريرك **النقدي** شخصيا « كنت اعلم من قبل انها لن ترضي التوقعات لاني كنت استطيع ان اتصور بسهولة تلك التوقعات وهكذا فالمرء يضنيه ان يرغب في امتلاك **كل شيء دفعة واحدة** كل شيء ؟ لا ! اذا كان ذلك ممكنا « كل شيء ولا شيء في الوقت نفسه ، كل شيء لا يكلف مشقة وعناء ، كل شيء يستطيع المرء ان يمتصه دون المرور بأي تطـور كـل شيء في كلمة واحدة » .

وفي استيائه للمطالب غير الجديرة « للجمهور » الذي يطلب **شيئا ما**، وفي الحقيقة يطلب **كل شي** ، من النقد الذي « **لا يعطي** شيئا » ، **يخبرنا** البطريرك النقدي نادرة على اسلوب القدماء ، وليس من **امد** طويل ، **بدافع** المبدأ والاستعداد عنده شكا احد **المعارف** البرلينيين بمرارة من الغزارة والاسهاب في التفاصيل في مؤلفاته ـ المعروف عن الهر برونو انه يصنـــع كتبا ضخمة من أقل بارقة فكرية ، وقد عزاه بالوعـــد بارسال الحبـــر الضروري له لطبع الكتاب في حبة صغيرة يمكنه ان يتجرعهـــا بسهولة وشرح البطريرك طول **مؤلفاته** بالتعبير الرديء للحبر ، كمـــا شرح لا شيئية **« الصحيفة ـ الادبية** بخواء « الجمهور الدنيوي » الـــذي ارآد ابتلاع كل شيء ولا شيء دفعة واحدة ليكون متخما وكما ان من الصعب ننكر ما قد روي لنا حتى الآن ، فكذلك من الصعب ان نرى تناقضـــا تاريخيا عالميا في واقع ان احد المعارف الجماهيريين للنقد النقدي يعتبـــر النقد فارغا ، بينما يعلن النقد من جهة ثانية عن هذا الشخص انه غـــير نقدي ، وان صاحبا ثانيا لا يجد **الصحيفة الادبية** متفقة مع توقعاته . وآن صاحبا **ثالثا** وصديقا للعائلة يجد كتاب النقد بالغ الضخامة ايضا وعلـــى اي حال فان الزميل رقم (٢) الذي يتعلل بالتوقعات ، وصديق العائلـــة رقم (٣) الذي على الاقل يرغب في ان يستنبط اسرار النقـــد النقدي ، يشكلان الانتقال الى علاقة اوثق وآكثر جوهرية بين النقد و الجمهـــور غير النقدي ومهما يكن النقد ظالما بالنسبة للجمهور القاسي » الذي لا يملك سوى « فكر بشري مبتذل » ، فاننا سنجده متلطفاً مـــع الجمهور الذي يتشوق الى الخلاص من التناقض

ان الجمهور الذي يلوم النقد بقلب منسحق ، وبروح الندم ، والفكر المتواضع سوف يكافأ على كفاحه الشريف بكلمـــات **النبوءة الثقيـــلة والموزونة جيداً .**

ب ـ الجمهور « الرقيق القلب » المتعطش الى « الخلاص » ان ممثل الجمهور **« الرقيق القلب » ، العاطفي ، المتعطش الخـــلاص** ، يتذلـــل ويتوسل للنقد من أجل كلمة طيبة بكل تدفقات القلب والانحناءات التي

تلامس الارض ، ورفات العينين على النحو التالي

لماذا أقوم بكتابة هذا إليك ؟ لماذا ابــرر نفسي امامــك ؟ لانني **احترمك** ولذلك **ارغب في احترامك** ، لانني **مدين** لك كليـــا من اجـــل تطوري ، ولذلك **احبك** ان **فؤادي** يلح علي ان **ابرّر نفسي امامك** انت يا من توبخني ما حاشا ان **افرض** نفسي عليك ، لكني اعتقــدت ، وانا احكم علــى الامور حسب **استعداداتي** الخاصة ، انك ستمتلىء **غبطـة** اذا ما قدم اليك مصداق عاطفته شخص لا تعرف عنه الا القليل ولا يدور في خلدي انك سترد على رسالتي انا لا ارغب قطعا ان اجتزىء من وقتك، الذي يمكنك الاستفادة منه بصورة افضل ، ولا ان اكون مزعجا لك ، ولا ان اعرض نفسي لمذلة عــدم مشاهــدة مطامحي تتحقق يمكــن ان تفسر رسالتي **بالعاطفية والتطفل والغرور** (!) او كما تشاء تفسيرها ويمكنك ان تجيب او لا تجيب ، فلا يمكنني ان اقاوم **حافز** ارسالها ، وكلي امل انــك سوف تتحقق من شعور الصداقة الذي الهمني كتابتها

وكما اشفق الله منذ البدء على **الفقراء بالروح** ، فان هــذا المراســل الجماهيري ، لكن المتواضع ، الذي يجأر طالبا الرحمة من النقد النقدي ، قد تحققت امنيته ، فقد منحه النقد النقدي جوابا رقيقا بل منحة اكثر من ذلك منحه **شرحا عميقا جدا** حول الموضوعات التي تشغله

يعلم النقد النقدي قائلا كان من المناسب ان نتذكر قبــل سنتين عصر التنوير في فرنسا في القرن الثامن عشر لنكون قادرين علــى استخدام **الكتائب الخفيفة** ايضا في مكان ما من المعركة التي كانت قد شنت الوضع الآن **مختلف تماما** ان الحقائق تتغير حاليا بسرعة فائقة وما كان يومئذ مناسبا هو الآن خطأ

بالطبع كان خطأ ايضا ولكنه خطأ مناسب عندما يدعو النقــد المطلق السامي بنفسه تلك **الكتائب الخفيفة** * قديسينا و انبياءنا و بطارقننا » الخ

★ قارن الانكدوتا الكتاب الثاني ص ٨٩

منذا يدعو **الكتائب الخفيفة كتيبة من البطارقة ؟** لقد كان خطأ مناسبا ان نتحدث بحماسة عن الرفض الذاتي ، **والطاقة الاخلاقية** ، والالهام الذي به تمضي الكتائب **الخفيفة** حياتها « تفكر وتعمل وتدرس بحثا عن الحقيقة » لقد كان خطأ » عندما بين في مقدمة (**Das entdeckte** christenthum) ان تلك الكتائب الخفيفة بدت لا تغلب واي امرىء جيد الاطلاع سوف يراهن أنها **ستمزق « العالم اربا اربا »** وانه « كان يبدو من غير المشكوك فيه ان هذه الكتائب سوف تنجح في اعطاء **شكل جديد للعالم »** يا لها من كتائب خفيفة

ويتابع النقد النقدي تعليم ممثل «الجمهور الودي » « **لقد كانت** جدارة تاريخية **جديدة** للفرنسيين ان يحاولوا وضع نظرية اجتماعية **انهم الآن** مع ذلك **منهكون** لم تكن نظريتهم الجديدة **صافية** بعد ، ولم تكن أوهامهم الاجتماعية **وديمقراطيتهم السلمية** خالية من فرضيات المذهب القديم

يتحدث النقد هنا عن مذهب **فورييه** ــ ان كان ثمة ما يتحدث عنه ــ وبشكل خاص من مذهب فورييه كما شرحته صحيفة **الديمقراطية السلمية** * .

ولكن هذا ابعد من ان يكون النظرية الاجتماعية للفرنسيين . ان للفرنسيين **نظريات اجتماعية** وليس نظرية اجتماعية واحدة وما الفورييه المحددة التي تدعو اليها صحيفة **الديمقراطية السلمية** سوى مذهب اجتماعي لقطاع من قطاعات البرجوازية الخيرية (Philantropie) ان الشعب ذو نزعة شيوعية ولكنه في الواقع مقسوم جماعات مختلفة ، والحركة الحقيقية واعداد تلك الظلال الاجتماعية المختلفة ليس فقط لم

★ صحيفة للفوريين كانت تصدر في باريس (المترجم)

يستنفد ، وانما في الحقيقة هو في بدايته بعد ولكن لن تنتهي **بنظرية** خالصة ، تعني مجردة كما تحب النقد النقدي تكون وانما ستنتهي **بممارسة عملية** جدا ، لا تهتم على الاطلاق بالمقولات الجارمه للنقد

ويصرح النقد ليس لاي امة **حتى الان** تفوق على امة اخرى

واذا كان لامة ان تكسب تفوقا روحيا على امة اخرى فهي ستكون الامة التي في وضع يمكنها من نقد نفسها ونقد الامم الاخرى واكتشاف اسباب الانحطاط الشامل

كل امة تتمتع **حتى الآن** بتفوق ما على الامم الاخرى ، ولكن اذا كانت النبوءة النقدية صحيحة ، فلن تتفوق امة على امة اخرى ، لان كل الشعوب المتمدنة الاوروبية كالانكليز والالمان والفرنسيين ينقدون الآن انفسهم والآخرين وهم في وضع يخولهم اكتشاف اسباب الانحطاط الشامل واخيرا فان من الحشو الصاخب القول بأن الانتقاد و الاكتشاف تعني النشاطات **الروحية** ، تعطي **تفوقا روحيا** ، وان النقد الذي بوعيه الذاتي المطلق يحل نفسه فوق الامم ويتوقع منها ان تركع على اقدامه وتجار اليه ان ينيرها ، انما يرينا فقط بهذه المثالية الالمانية المسيحية الممسوخة انه لا يزال غارقا حتى رقبته في حمأة **القومية الالمانية**

ان نقد الفرنسيين والانكليز ليس نقدا مجردا ، ليس شخصية خارقة للطبيعة خارج الجنس البشري ، انه **النشاط الانساني الحقيقي** للافراد الذين هم اعضاء فعالون في المجتمع والذين يتألمون ويشعرون ويفكرون ويعملون ككائنات بشرية وهذا هو السبب لماذا نقدهم هو في الوقت نفسه نقد عملي وشيوعيتهم هي اشتراكية تقدم مقاييس حسية عملية ، هذه المقاييس التي بواسطتها لا يفكرون بل يعملون اكثر ، انه النقد الواقعي الحي للمجتمع القائم ، اكتشاف اسباب الانحطاط

بعد الشروحات التي قدمها النقد للعضو الجماهيري الطلعة يذهب الى القول في **الصحيفة الادبية :** هنا نمارس نقد صاف محسوس ومناسب

يبد انه لا يضيف شيئا » هنا « لم يقدم اي شيء موجود ذاتيا » **هنا لا نجد** شيئا على الاطلاق ما عدا **النقد** الذي لا يقدم شيئا ، اي النقد الذي تطور الى اللانقد المتطرف وللنقد مقاطع طبعت بالخط البارز وتصل ذروة تفحها في **المقتطفات** وقام **ولففانغ مانز وبرونو بوير** بنزهة متآخيين يداً بيد وحيث وقف **فلسفة الهوية** في بداية هذا القرن★ عندما احتج **شلينغ** ضد الفرض الجماهيري القائل انه اراد ان يقدم شيئا ما ، اي شيء ما عدا الفلسفة الفلسفية الشاملة الصافية ، هناك يقف النقد النقدي

جـ ـ النعمة تنهمر على الجمهور

كان المراسل الطيب القلب الذي سبق وحضرنا تعليمه ، على علاقة **متآلفة** مع النقد كان لديه مجرد بارقة رومانسية للتوتر بين الجمهور والنقد. فكلا طرفي **التناقض التاريخي ـ العالمي** ، تصرف **بلطف وكياسة** ، وبالتالي كان سلوكهما **باطنيا**

ان النقد النقدي ، في تأثيره المزق **وغير الصحي** على الجمهور ، يظهر اولا في مراسل لا يملك سوى قدم واحدة في النقد ، اما القدم الاخرى فلا تزال في العالم الدنيوي ، إنه يمثل «الجمهور» في صراعه **الداخلي** مع النقد.

واحيانا يبدو له «ان الهربرونو واصدقاءه لا يفهمون **الجنس البشري**» انهم عميان فعلا وعندئذ يصحح هذا المراسل في الحال

نعم ، انه لواضح لي وضوح ضوء النهار انك على صواب وان افكارك صحيحة ولكن اعذرني فالشعب ليس مخطئا **ايضا** طبعا الشعب على صواب انا لا استطيع ان انكر انك على صواب انا لا اعرف فعلا الام يؤدي ذلك ؟ انت سوف تقول، حسنا ابق في المسكن... آه انا لا استطيع البتة آه لا بد ان يصبح المرء ممسوسا في النهاية اقبل **بلطف** صدقني ان المعرفة التي يحصل عليها المرء

★ أي القرن التاسع عشر (المترجم)

تجعله في بعض الاحيان يشعر بالبلادة وكأن حجر طاحونة يدور في رأسه

ويكتب ايضا مراسل آخر انه يرتبك بين **الفينة والفينة** ويمكن ان يرى المرء ان **النعمة النقدية تنهمر** على هذا المراسل الجماهيري يا للبائس المسكين ان الجمهور الآثم شده من جهة والنقد النقدي شده من جهة اخرى ليست المعرفة التي اكتسبها هي التي تذهل هذا المتعلم على يد النقد النقدي ، ان ما يذهله هو مسألة **الايمان والوعي** المسيح النقدي الشعب ، الله او العالم برونو بوير واصدقاؤه ام الجمهور الدنيوي ! ولكن بما ان وابل الشكر **المقدس** قد سبقه ارتباك يائس من جهة الخاطىء . فان الشكر **النقدي** سبقه **الذهول** الساحق واخيرا عندما تنفذ النعمة النقدية، فان الفرد الذي اختير لهذه النعمة لا يفقد العباء وانما يفقد **الوعي بالغباء**.

٣ ـ الجمهور النقدي اللانقدي

او النقد و راية برلين

لم ينجح النقد النقدي في تقديم نفسه **كنقيض اساسي** ولهذا فانه في الوقت نفسه لم ينجح في تقديم نفسه **كموضوع اساسي** لجمهور الانسانية ان ممثل الجمهور **الفظ** يلوم النقد النقدي على عدم موضوعيته، ويفهمه بطريقة لينة انه لم يحقق بعد التبدل الروحي ويجب قبل كل شيء ان يحصل على معرفة متماسكة والى جانب هذا هناك المراسل **الرقيق القلب** انه ليس نقيضا على الاطلاق ولكن السبب الحقيقي لشدانه النقد هو سبب **شخصي** محض ويمكننا ان نرى ، **اذا** ما واصلنا قراءة رسالته انه يريد حقا ان يوفق بين اخلاصه للهر **ارنولد روج** مع اخلاصه للهر **برونو بوير** ان محاولة التوفيق تشرف قلبه الرقيق، ولكن تلك لا تشكل في حال من الاحوال مصلحة جماهيرية واخيرا ، لم يعد المراسل الاخير الذي رأيناه عضوا حقيقيا في الجمهور بعد الآن بل كان فقط متعلما على يد النقد النقدي

وبشكل عام ان **الجمهور** مجرد موضوع غير **محدد** ، ولذلك لا يمكن

ان ينفذ عملا محددا ولا ان يدخل في علاقة محددة ان الجمهور كموضوع للنقد النقدي ، لا يملك شيئا مشتركا مع الجماهير **الحقيقية** التي ،بدورها، تشكل تناقضات جماهيرية جدا فيما بينها اما **جمهور النقد النقدي** فقد صنع نفسه بنفسه ، كما هي الحالة مع العالم الطبيعي الذي بـدلا من ان يتحدث عن الاصناف المحددة ، يجابه بين « الصنف » بنفسه

ولذا ففي سبيل وجـود تناقض جماهيري حقيقي ، يحتـاج **النقـد النقدي** ، الى جانب هذا الجمهور **المحدد** ، الذي هو مـن اختلاق دماغـه الخاص ، الى جمهور محدد يستطيع آن يثبت بالتجربة وليس بالافتراض. وهذا الجمهور يجب آن يرى في النقد النقدي جوهره وابطال جوهره على حد سواء عليه ان يرغب في آن يكون نقدا نقديا ، لا جمهوراً **دون آن يكون قادرا على ذلك** هذا الجمهور غير النقدي هو ما اشير اليه من قبل تحت اسم « راية برلين » ان جمهور الانسانية الذي ينهمك جديا في النقـد النقدي محصور في « راية برلين »

ان جماعة « راية برلين » **« المـوضوع الاساسي »** للنقـد النقـدي ، التي دائما يفكر فيها ، والتي تتخيل النقد النقدي انها تفكر دائما بالنقـد النقدي محصور في راية برلين » **« الموضوع الاساسي »** للنقد النقدي ، (Eidevout) الذين يؤكد النقد النقـدي أنه يوحي اليهـم مـن جهـة **برعب الخواء** (Horrer Vacui) ومن جهة اخرى بالشعور **باللاشيئية** . اننا لا نتحرى الوقائع الحقيقية بل نعتمد على ما قاله النقد

ترمي **المراسلة** بشكل رئيسي ان تكشف بالتفصيل للرأي العام هـذه العلاقة التاريخية للنقد مع راية « برلين » ، للكشف عن اهميته البعيدة ، لاظهار لماذا يتوجب على النقد آن يكون قاسيا تجاه هذا «الجمهور» ، واخيرا لتظن آن العالم اجمع في اضطراب مخيف بشأن هذا التناقض فآنا يؤيد ، وآنا يعارض عمل النقد فمثلا يكتب النقد **المطلق** الى مراسل ينحاز الى جانب « راية برلين « **كثيرا** ما سمعت اشياء من هذا **القبيل مـن قبل** بحيث قررت اهمالها »

ليس لدى العالم فكرة عن عدد المرات التي لا بد منها **في معالجة** الاشياء النقدية **التي من هذا القبيل** فدعنا الآن نسمع ماذا تكتب عضو من اعضاء **الجمهور في تقريره** عن راية **برلين**

اذا كان ثمة امرؤ يعترف بآل بوير **العائلة المقدسة** يجب ان يعترف **بها دائما** شذر مذر) ، «فانه **يبدأ جوابه انا هو ذلك الرجل ولكن الصحيفة الادبية !** لكل واحد حقه لقد كان من الامور الهامة عندي ان اسمع فيك رأي احد هؤلاء الرادكاليين اولئك الرجال الاذكياء لعام ٤٢

ويستطرد **المراسل فيقول** ، ان الانسان السيىء الحظ لديه كل انواع اللوم ننهال بها على **الصحيفة الادبية**

وهو **يعتقد** ان قصة الهر ادغار **(الزملاء الثلاثة الطيبون)** ينقصها الصقل **وفيها** مبالغات **انه** لم يستطع ان يفهم ان الرقابة ليست حربا للانسان ضد الانسان الحرب الخارجية ، بقدر ما هي الحرب الداخلية انهم لم يجهدوا انفسهم ويستبدلوا **المقطع الذي اعترض عليه الرقيب** بالفكر **النقدي** المشروح **بذكاء** والمطور **في** جميع الاتجاهات لقد راى ان مقالة الهر ادغار عن بيرود تحتاج الى النفاذ وظن كاتب التقرير ان هذه المقالة لاتحتاج **الى ذلك** وهو نفسه يعترف لم اقر كتاب بيرود ولكنه **اعتقد** ان الهر ادغار **نجح** الخ والخلاص في الايمان كما نعرف وتابع **المؤمن** النقدي **فقال** بشكل عام هو اي هذا الذي من راية برلين) غير راض على الاطلاق عن **مؤلفات** الهر ادغار ووجد ايضا ان **برودون** لم يعالج بنفاذ كاف وهنا يقدم التقرير هذه الشهادة للهر ادغار

« انا اسلم انني اعرف » ؟! برودون واعرف ان عرض الهر ادغار اخذ نقاطه **المميزة** منه وعرضها بوضوح

والسبب الوحيد كما يقول كاتب التقرير في ان نقد **الهر ادغار** الممتاز لبرودون لم يستحب يجب ان يكون ان الهر ادغار **لم ينفجر** ضد

الملكية وتصوروا ذلك فقط يجد الخصم مقالة الهر ادغار عن « اتحاد العمل » تافهة

وحتى يعزي كاتب التقرير الهر ادغار يقول من الطبيعي انها لن تقدم اي شيء شخصي وهؤلاء الناس ارتدوا فعلا الى وجهة نظر **كروب** التي لا شك انهم **يتمسكون بها دائما** • يجب على النقد ان يقدم ويقدم ويقدم

فكأن النقد لم يقدم اكتشافات تشريعية اقتصادية سياسية فلسفية تاريخية لغوية جديدة كل الجدة والنقد من التواضع بحيث انه يسمح بأن يقال عنه انه لم يقدم اي شيء شخصي حتى مراسلنا النقدي قدم الى الميكانيك شيئا لم يكن معروفا حتى ذلك الحين حين جعل الناس يرتدون الى وجهة النظر التي **تمسكوا بها دائما** ان من الحماقة ان نذكر بوجهة نظر **كروب** وفي كتابه البائس الذي لا يستحق الاشارة اليه سأل الهر برونو عن النقد الذي يمكن ان يقدمه حول **المنطق التأملي** ، واحاله الهر برونو الى اجيال المستقبل والى

غبي ينتظر جوابا*

وكما عاقب الرب فرعون الكافر فقسى قلبه، معتبرا اياه غير جدير بالاستنارة ، هكذا يؤكد كاتب التقرير لذلك فانهم **لا يستحقون** البتة ان يروا او يدركوا مضمون « صحيفتك الادبية

وبدلا من ان ينصح صديقه ادغار في الحصول على المعرفة والافكار يقدم اليه **النصيحة** التالية « ليحصل الهر ادغار على حقيبة **افكار** ويأخذ منها دون تبصر عندما يكتب مقالاته في المستقبل ، في سبيل تحصيل اسلوب ينسجم مع العامة

والى جانب تأكيدات عن العضب والسخط والخواء ونقص التفكير والتخمينات حول الاشياء التي ليسوا قادرين على الوصول الى

★ الشعر لهايني . المترجم

لبها والسعور بالبهتان (كل الصفات بالطبع **لراية برلين**) ، تقدم تقريظات كالتالية الى العائله المقدسه

المعالجه الواضحة التي تنفذ في القضيه الحكم في المقولات البصيرة المكتسبه بالدراسه وباختصار الحكم في موضوعاته انه (الذي هو احد اعضاء راية برلين ياخذ الاشياء بسهولة وانت تجعل الاشياء سهله او نقدك صاف ومحسوس وواضح في **الصحيفةالادبية**»

وفي النهار نقرا لقد كتبت كل ذلك اليك بمثل هذا التفصيل لعلمي انني ادخل السرور الى قلبك بتسجيل آراء اصدقائي من هنا يمكنك ترى ان **الصحيفة الادبية** قد حققت غرضها

ان غرضها هو معارضة راية برلين وبما اننا كنا شاهد عيان لمناظرة **راية برلين** ضد النقد النقدي والتوبيخ الذي نالها منه على ذلك فسوف يكون لدينا صوره مزدوجة عن مجهوداتها من اجل الحصول على النعمة من النقد النقدي

ويكتب احد المراسلين اخبرني زملائي في برلين عندما كنت هناك في بداية العام انك صددت الجميع وابعدتهم وانك تعيش في عزلة ، ولا تسمح لاحد بالدنو منك متجنبا عن قصد كل علاقة وانا بالطبع لا استطيع ان اقول اي الجانبين يجب ان يلام

ويجب النقد **المطلق** النقد لا يؤلف **اي حزب** ولن يكون **له حزب** خاص به انه وحيد لانه غائص (!) في موضوعه ويعارضه بنفسه لقد عزل نفسه عن كل شيء

يعتقد النقد النقدي انه يرتفع فوق كل التناقضات العقائدية اذا ما استبدل التناقض الخيالي **بينه** وبين **العالم** ، بين **الروح القدس والجمهور الدنيوي** بالتناقضات الحقيقية وبالطريقة نفسها يعتقد انه يرتفع فوق كل الاحزاب بالوقوع دون **وجهة النظر الحزبية** ، بمعارضة نفسه كحزب لباقي الجنس البشري ، وتركيز كل مصلحته في شخص الهر برونو بوير

كاه ...قة **اعتراف** النقد بانه يحرحر في عزلة **التجريد** ، وانه حتى عندما يبد ...مهمكا في **موضوع** ما فانه لا نخرج من عزلته **الخاوية** من الموضوع الى اية **علاقة اجتماعية** حقيقية مع اى **موضوع حقيقي** ، لان **موضوعه** هو موضوع **خياله** هو موضوع متخيل فقط ـ ان حقيقة كل هذا تثبت صحة كل ما ذهبنا اليه في مناقشتنا ولا نقل عن ذلك صحه تعريفه بتجريده على انه تجريد **مطلق** بمعنى انه **يعزل نفسه** عن كل **شيء** ، وبالطريقة نفسها تماما فان هذه العزلة **للاشيء** من **كل شيء** ، **من كل** فكرة تأمل الخ هي **هراء مطلق**

وبالمناسبة فان العزلة تحققها بعزل نفسه وتجريدها من **كل شيء** ليست متحررة من الموضوع الذي منه حرد نفسه اكثر **مما جرد اوريجنس*** نفسه من عضو التناسل الذي قطعه من جسده

مبدأ مراسل آخر وصف عضو من اعضاء رابطة لين رآه وتكلم معه بأنه كئيب و حزين و «غير قادر بعد الآن على فتح فمه» على الرغم من انه قبل ...مهمئا دائما وعلى فمه كلمة صفيقة و قانط وقد روى عضو رابطة برلين هذا القول التالية للمراسل الذي بدوره نقلها الى النقد

انه لا نستطيع ان نفهم كيف ان اناسا امثالك ممن يحترمون مبدأ الانسانية مسبقا يمكن ان يتصرفوا بمثل هذه الطريقة المتعالية البغيضة المتكبرة هو لا نعرف « لماذا يوجد بعض الناس الذين يسمون الانشقاق عن عمد فيما يبدو الا نملك كلنا وجهة النظر نفسها ؟ السنا جميعا **نجل** النقد حتى التطرف ؟ السنا قادرين ان لم يكن على انتاج الفكر المتطرف فعلى الاقل على فهمه وتطبيقه ؟ وهو نجد ان هذا الانشقاق لم يحركه مبدأ آخر غير مبدأ الانانية والكبرياء

وعندئذ سجل المراسل كلمة طيبة الم ستوعب بعض اصدقائنا

★ لاهوتي وكاتب مسيحي من ١٨٥ ٢٥٤ تقريبا . (المترجم)

النقد ، او على الاقل **الارادة الطيبة** للنقد بالرغم من انعدام القــوه ، فان الارادة على اية حال في يده

ويجيب النقد **بالطباق** التالي بينه وبين راية برلين

هناك مواقف **متنوعة** حول النقد فاعضاء **راية برلين** يظنــون انهم يضعون النقد في جيبهم ولكن النقد يعرف فعلا قوة النقـــد ويطبقها اي لا يحتفظ بالنقد في جيبه .النقد بالنسبة لاولئك شكــل محض بينما هو بالنسبة للنقد ((**اعظم شيء جوهري**)) ، او بالاحرى الشيء **الجوهري** الوحيد وبما ان التفكير المطلق لنفسه هــو كل الواقــع فهكذا هو ايضا بالنسبة للنقد النقدي وهذا هــو السبب في انه لا يــرى مضمونا **خارج نفسه** ولذلك فهو ليس نقدا للموضوعات **الحقيقية** الموجودة خارج الذات النقدية بل على العكس انه **يصنع** الموضوعات صنعا انــه **الموضوع ــ الذات** المطلق بل اكثر من ذلك ان النوع الاول مــن النقــد يتخطى كل شيء وكل بحث عن الاشياء بالعبارات امــا الثاني فيعزل نفسه عن كل شيء بالعبارات الاول ذكي في جهله والثاني يتعلم وبالمناسبة ، ان الثاني ليس ذكيا انه يتعلم هنا وهناك (par ça par la) ولكن بالمظهر فقط ، حتى يكون قادراً فقط على طرح ما تعلمه تعلما سطحيا من الجمهور فيعيده الى الجمهور بشكل «شعار» على انه حكمة اكتشفها بنفسه ، وحتى يحله في هراء النقد النقدي

بالنسبة للاول ، الكلمات من نمط تطرف انطلق « لا يوغل » بعيدا بما فيه الكفاية » هي على درجة من الاهمية وهي مقولات مبجلة جدا. والثاني **يردد وجهات النظر** ولا يطبق عليها مقاييس تلك المقولات النقدية

هتافات النقد رقم (٢) هي ان المسألة ليست بعد الآن مسألةسياسة وان الفلسفة ازيحت من الطريق انه يعرف الانظمة الاجتماعية والتطور بكلمات من نمط وهمي خيالي الخ ــ فماذا يكون كل ذلك ان لــم يكن **نسخة منقحة بصورة نقدية** عن الانطلاق و وعدم الايغــال بعيــدا بما فيه الكفاية لا اوليست « مقاييسه من نمط « التاريخ و «النقد»

و تلخيص الموضوعات و القدم والجديد و النقد والجمهور البحث في المواقف وباختصار اوايست كل شعاراته مقاييس مقولية، ومقولية بصورة مجردة فضلا عن ذلك ؟ الاول لاهوتي ، حاقد ، حسود ، وقح والثاني عكس كل ذلك » بعد ان اطرى النقد نفسه على هذا الفرار عشرات المرات في نفس مطرد واحد ، ونسب الى نفسه كل ما تفتقر اليه راية برلين كما ان الله هو كلما ليس الانسان هو ، يؤدي الشهادة على نفسه قائلا انه حقق الوضوح ، والتعطش للعلم وطمأنينة لا يمكن فيها مهاجمته ولا قهره

ولهذا يمكنه على الاغلب ان يعامل نقيضه راية برلين بالضحك الاولمبي هذا الضحك ــ انه يفسر بنفاده المعتاد ما هو وما ليس هو ــ هذا الضحك ليس غطرسة حاشا الله انه نفي النفي انه مجرد العملية التي يجب على الناقد ان يطبقها بكل هدوء ورباطة جأش ضد الموقف التابع الذي يظن نفسه مساويا للناقد ما هذا الغرور !) عندما يضحك الناقد فانه يطبق عملية اذن و بكل رباطة جأش يطبق عملية الضحك ليس ضد الاشخاص بل ضد المواقف فحتى الضحك مقولة يطبقها بل يجب ان يطبقها

ان النقد العيبي ليس نشاطا اساسيا للذات الانسانية الحقيقية التي ، لكونها حقيقية تحب وتتألم في المجتمع الحالي ، وتشارك في آلامه ومسراته ان الفرد الحقيقي هو صدفة فقط ، وعاء ارضي للنقد النقدي الذي يكشف نفسه فيه باعتباره جوهرا ابديا وليست الذات نقد الفرد البشري ، بل الفرد غير البشري للنقد ، ليس النقد تظاهرة للانسان، بل الانسان هو اغتراب للنقد ، وهو هو السبب في ان الناقد يعيش كليا خارج المجتمع

هل يستطيع الناقد ان يحيا في المجتمع الذي ينقده ؟ »

او بالاحرى أيجب على الناقد الا يعيش في ذلك المجتمع ؟.. الا

يجب ان يكون هو نفسه تظاهرة لحياة ذلك المجتمع ؟ لماذا **يبيع** الناقد منتوج فكره ما دام بواسطته يجعل القانون الاسوأ للمجتمع القائم قانونه الخاص ؟..

يجب على الناقد الا يتجرأ حتى على الاختلاط شخصيا بالمجتمع» هذا هو السبب في انه يقيم لنفسه عائلة مقدسة ، تماما كما ان الاله الوحيد يحاول ان يتخلص من عزلته المضجرة عن المجتمع في العائلة المقدسة واذا اراد الناقد ان **يحرر نفسه** من **المجتمع السيىء** ، فعليه قبل كل شيء ، ان يحرر نفسه من مجتمعه الخاص

وهكذا يتخلص الناقد من كل **مسرات المجتمع** ، ولكن **آلامه ايضا** تظل في منأى عنه ، إنه لا يعرف **الصداقة** » (ما عدا الصداقة النقدية) ولا الحب (عدا **حب الذات**) ، ولكن بالمقابل ليس للافتراء قوة ضده ، فلا شيء يزعجه ولا ضغينة ولا حسد يؤثران فيه ، والغضب والاسى شعوران **لا يعرفهما** »

وباختصار ان الناقد متحرر من كل **الاهواء البشرية** ، انه **شخص الهي** ، ويستطيع ان يطبق على نفسه اغنية الراهبة

انا لا افكر في عاشق

انا لا افكر في زوج

انا افكر في الله الاب

لانه يهبني الحياة

ان النقد النقدي لا يستطيع ان يكتب حول نقطة واحدة دون ان يتناقض مع نفسه وهكذا يخبرنا اخيرا عن « المراءاة التي ترجم الناقد رجما (لا بد للناقد ان يرجم قياسا على التوراة) « التي تسيء الحكم عليه وتعزو اليه البواعث **الدنيئة** اي (تعزو البواعث **الدنيئة** للنقد **الطاهر**) « لتجعله مساويا لها (الكبرياء المساواتية المفضوحة اعلاه) يسخر

الناقد منها ، لانها لا تستحق ذلك ، ولكن يميط اللثام عنها ويردها بهدوء الى اهميتها التافهة »

اضطر النقد ان يعلق من قبل **عملية الضحك** على الموقف التابع الذي يظن نفسه مساويا له » يبدو ان تردد النقد النقدي بشأن الطريقة الواجب اتباعها لمعاملة « الجمهور الكافر يشير الى استياء باطن ، الى نوع من الغضب ليست المشاعر مجهولة » منه

يجب الا نخطىء بهذا الشأن حين شن النقد النقدي صراعا جبارا ليحرر نفسه من « الجمهور الدنيوي » غير النقدي ، ومن « كل شيء » فقد انتهى اخيرا بكل سرور الى امداد وجوده **المطلق ، والرباني ، والوجداني، والمكتفي ذاتيا** اذا بدا ان عالم المشاعر الخاطئة القديم في البيان الاول لطوره الجديد لا يبرح يملك بعض السيطرة عليه ، فاننا سنجد النقد الآن وقد صادف التجدد الجمالي **والتجلي في شكل فني** ، وهو يكمل توبته بحيث يستطع آخر الامر أن ينفذ **الدينونة النقدية الاخيرة** مثله كمثل **مسيح** ظافرثان ، وبعدما يهزم التنين يصعد بطمأنينة الى السماء

الفصل الثامن
الارتحال الدنيوي وتحول النقد النقدي
أو
النقد النقدي في شخص رودولف أمير جيرولدشتاين

رودولف ، امير جيرولدشتاين ، يكفر في **ارتحاله الدنيوي** عن جريمة مزدوجة جريمته **الشخصية** ، وجريمة **النقد النقدي** ، وايضا نحوف في جدل غاضب بمشاعر آثمة ضد الجمهور ان النقد النقدي **لم** يكشف سرا واحدا ورودولف يكفر عن ذلك ويكشف **كل** الاسرار

يخبرنا الهر زيليخا ان رودولف هو **اول** خادم **للدولة** الانسانية
الدولة الانسانية بقلم سوبيان اكيديوس ، راجع كتاب الدكتور كارل **فيل** Konstilationelle Jahrbucher عام ١٨٤٤ **المجلد الثاني**)

يؤكد الهر زيليخا انه لا يدمر **العالم** ، يجب ان

يظهر رجال النقد القساة

ورودولف رجل من **ذلك النوع** ان رودولف يستوعب فكرة **النقد الصافي** وهذا الفكر يعود عليه وعلى كل الانسانية بفائدة اعظم من كل تجربة الانسانية في **كل تأريخها** اعظم من **كل** المعرفة يستطيع رودولف انتزاعها من التاريخ بتوجيه حتى من اوثق **الاساتذة طرا** ان المحاكمة النزيهة التي يديم بها رودولف ارتحاله الدنيوي ليست **في الحقيقة** شيئا سوى

« انكشاف اسرار المجتمع » .
وهو **«سر كل الاسرار المنكشفة »** .

ولرودولف وسائل خارجية تحت تصرفه اعظم من رجال النقد النقدي الآخرين ولكن هذا الاخير يعزي نفسه

ان **نتائج** رودولف ممتنعة على اولئك الذين هم اقل حظا من العثور) اما هدفه الرائع فليس بممتنع

هذا هو السبب في ان النقد يترك تحقيق افكاره الخاصة لرودولف ، المحظوظ من القدر انه يغنّي له

هوينمان إمض قدما

فأنت تلبس جزمتين

ولن تتعرض للبلل

فلنرافق رودولف في ارتحاله الدنيوي النقدي الذي يعود على **الانسانية** بفائدة اعظم من **كل تجربة** الانسانية في كل تاريخها ، اعظم من كل المعرفة الخ الذي ينقذ العالم **مرتين من الدمار**

١ – التحويل النقدي لجزار الى كلب
او (شورينـــير)

كان شورينير (Chourineur) جزارا بالحرفة ولقد واتته الظروف **فجعلت** هذا الابن القوي للطبيعة سفاحا ويلتقي به رودولف مصادفة اذ **هو** يتحرش بفلوردي ماري (Fleur de Marie)ويوجه رودولف للمشاجر البارع بعض الكلمات المتقنة المؤثرة على الراس ، وهكذا يكسب احترامه وفيما بعد ، في خمارة المجرمين ، تتجلى طبيعة **شورينير** الطيبة يقول له رودولف « لا تزال تملـــك قلبا وشرفا » وبتلـــك الكلمات يلهب رودولف شورينير بالاحترام لنفسه ويتهذبشورينير، او على حد تعبير الهر زيليخا يتحول الى « كائن **اخلاقي** » ويشمله رودولف بعنايته . فلنتبع مجـــرى تربية شورينير تحت اشراف رودولف

المرحلة الاولى : الدرس الاول الذي يتلقاه شورينير هودرس **في** النفاق والمراءاة والمكر **والرياء** ويستخدم رودولف **شورينير** الموعوظ **بالطريقة** نفسها تماما التي يستخدم فيها فيدوك (Vidocg) المجرمين الذين لقنهم الاخلاق اي يجعله **مخبرا** (Mouchard) **وعميلا محرضا** وينصحه رودولف ان « يدعي لرئيس **العصابة** انه غيّر « مبداه في عدم السرقة » ويقترح عملية سرقة ليوقعه في المصيدة التي نصبها ردولف ويشعر شورينير انه يهان في هذه « المهزلة فيحتج على الاقتراح القاضي بأن يلعب دور **المخبر والعميل المحرض** وبسهولة يقنع رودولف ابن الطبيعة بواسطة **افتاء** النقد النقدي « الصافي » ان الخديعة الدنيئة ليست دنيئة عندما يقوم بها المرء بدوافع «**الخير والاخلاق**» ويستدرج شورينير كعميل محرض وتحت حجة الصداقة والثقة ، رفيقه الاسبق الى الدمار **ولاول مرة** في حياته يقترف **عارا**

المرحلة الثانية وبعد ذلك نجد شورينير يعمل **كمحرض** لرودولف ، الذي انقذه من الخطر القاتل

لقد اصبح شورينير **كائنا اخلاقيا محتشما** جدا بحيث يرفض اقتراح الطبيب الزنجي دافيد بالجلوس على الارض خشية ان يوسخ السجادة والحقيقة انه اشد **خجلا** من ان يجلس على كرسي فيقلب الكرسي اولا ثم يجلس على قوائمه الامامية ولا ينسى قط ان يمتد عندما يخاطب رودولف الذي انقذه من الخطر المميت على انه « صديق » او « سيد » بدلا من « **صاحب السيادة** » .

فياله من تهذيب عجيب لابن الطبيعة القاسي ويعبر **شورينير** عن السر العميق لتحوله النقدي عندما يعترف لرودولف بأنه اصبح متعلقا به مثل تعلق كلب البيت بسيده Je me sens pour vous comme qui

dirait l'attachement d'un bouledogue pour son maître

ان الجزار السابق يتحول الى كلب ولذلك فان كل فضائله سوف تنحل من الان فصاعدا في فضيلة واحدة هي فضيلة الكلب ، و «الاخلاص» الخالص لسيده اما استقلاله ، وارادته الفردية فلا ظهور لهما البتة ولكن كما يضع الرسام الفاشل لصاقة على لوحته يقول فيهما ما هو المقصود من هذا الرسم ، كذلك وضع اوجين سو لصاقته في فم شورينير الكلب بحيث يؤكد دائما ان الكلمتين انت لا تزال تملك قلبا وشرفا » خلقتا مني رجلا وحتى النفس الاخير سوف يجد شورينير الدوافع لاعماله ، ليس في شخصيته الانسانية ، بل في تلك اللصاقة وكدليل على تهذيبه الاخلاقي نجده يفكر مليا في ميزته الخاصة وشر الافراد الآخرين وفي كل مرة يرمي بالتعابير الاخلاقية يقول له رودولف اود دائما ان اسمعك تتحدث هكذا » ان شورينير لم يصبح كلبا عاديا بل اصبح كلبا اخلاقيا

المرحلة الثالثة لقد اعجبنا من قبل **بالاقتسام البرجوازي الصغير** الذي حل محل مكان فظاظة **شورينير** القاسيةلكن الجريئة والآن نعلم ، انه اذا اصبح « **كائنا اخلاقيا** » ، فقد تبنى أيضا **البرجوازي الصغير** وهندامه.

« اذا رايت مشيته حسبته اقل **البرجوازيين الصغار** ضررا في العالم ».

والاشقى من هذا الشكل هو المضمون الذي اعطاه رودولف لهذا الذي اصلحه نقديا انه يرسله الى افريقيا « ليظهر مثالا حيا ونافعا للندم امام العالم غير المؤمن وفي المستقبل سوف يعلن ، لا عن طبيعته الانسانية الخاصة ، بل عن العقيدة المسيحية

المرحلة الرابعة : ان التحول الاخلاقي النقدي جعل **شورينير** رجلا

هادئا حذرا يسلك يبقا لاحكام الخوف والحكمة الدنيوية

يقول **مورف** ، الـذي يروى **القصص** باستمرار ببساطته الحمقاء ، ان **« شورينير لم يقل كلمة واحدة في اعدام معلم المدرسة خوفا من تعرضه للشبهة »** .

« le Chourineur ne dit pas un mot de l'éxecution du maître d'école, de peur de se trouver compromis »

وهكذا يعرف شورينير ان اعدام الزعيم كان غير شرعي ولكنه لم يتحدث عن ذلك خوفا من تعرضه للشبهة **فيا لشورينير الحكيم !**

المرحلة الخامسة : ارتقى شورينير بتربيته الاخلاقية الى هذا الكمال بحيث يعطي اخلاصه الكلبي لرودولف شكلا متمدنا – يصبح واعيا . وبعد انقاذ **جيرمان** من الخطر المميت يقول له انني املك حاميا هو بالنسبة لي كالاله بالنسبة للكهنة ـ ما يكفي لان يجعل المرء يركع امامه »

وفي الخيال يركع أمام الهه .

يقول لجيرمان « ان السيد رودولف يحميك ، انا اقول السيد مع ان الواجب ان اقول صاحب السيادة ولكني اعتـدت ان ادعوه السيد رودولف ، وهو يسمح لي بذلك » .

يصرح الهر زيليغا في ابتهاج نقدي « يا لها من يقظة رائعة ، يا له من ازدهار مدهش »

المرحلة السادسة ينهي شورينير عـن جدارة ارتحاله الـدنيوي للاخلاص الصافي ، للكلبية الاخلاقية ، بان يترك نفسه يطعن حتى الموت في النهاية من اجل سيده الكريم ومثلما يهدد سكويليت الامير بمديته يمسك

شورينير بذراع السفاك ويوقفها ويطعنه سكويليت ولكن شورينير يقول محتضرا لرودولف :

« **انني كنت على حق عندما قلت أن حفنة من تراب** » (كلب) «**مثلي** يمكن احيانا أن تكون مفيدة **لسيد كريم عظيم** مثلك »

والى هذا التصريح الكلبي الذي يلخص كل حياة شورينير النقدية مثل القول المأثور تضيف اللصاقة التي وضعت في فمه

« لقد تعادلنا يا سيد رودولف. لقد أخبرتني أنني أملك قلبا وشرفا »

ويرتفع صوت الهر زيليخا صارخا ما وسعه الصراخ

« لقد كانت جدارة عظيمة لرودولف أنه أعاد « **شورينير** » (!) الى « الانسانية » ؟

٢ ـ انكشاف سر الدين النقدي

اوفلور دي ماري

آ ـ « ديزي » التاملية

كلمة اخرى عن « ديزي » الهر زيليخا التأملية قبل أن نصل الى فلور دي ماري لاوجين سو .

« ديزي » التأملية هي قبل كل شيء **تصحيح** الواقع ان القارىء يمكن ان يستنتج ان الهر زيليخا ، ان **اوجين سو** « فصل ما بين تقدم الاساس الموضوعي » (النظام العالمي) « وبين تطور القوى الفردية الفعالة الذي لا يمكن فهمه الا بواسطتها باعتبارها الارضية الاساسية »

الى جانب مهمة تصحيح هذا الحدس الخاطىء الذي يمكن انالقارىء

صنعه لدى قراءته عرض الهر زيليخا، فان لديزي آيضا رسالةميتافيزيائية في ملحمتنا ، او بالاحرى « ملحمة » الهر زيليخا

ان **النظام العالمي** واحـداث الملحمة **لا يمكـن** ان تجمع بعد جمعـا صناعيافي كل **وحيد** فعليا، اذا آقتصر الامر على تصالبها في خليط متنافر ـ فهنا شيء من النظام العالمي ، وهناك شيء من التمثيل المسرحي اذا كان لا بد للوحدة الحقيقية ان تنتج فان كلا الشيئين ، اسرار هذا **العالم** ذي الاهواء ، والـوضوح ، والانفتاح والثقة التي بهـا يخترق **رودولف** هـذه الاسرار ويكشفها يجب آن يتصادما في فرد واحد هذه هي مهمةديزي»

ان الهر زيليخا ينشيء ديزي قياسا على انشاء الهر بوير لام الله فمن جهة ثمة **رودولف** « الالهي » الذي اليه تعزى كل « قوة وحرية » المبـدا الفعال الوحيد ومن جهة آخرىهناك « النظام العالمي » السلبي والكائنات البشرية المرتبطة به ان النظام « اساس الواقع » . فاذا لم يهجر هـذا الاساس « هجرا كليا » آو « لم يبطل الباقي الاخير من الوضع الطبيعي »»، اذا كان لا بد للعالم آن تكون له مساهمته الخاصة في « مبدأ التطور »الذي يمركزه رودولف في نفسه في تناقض مـع العالم ، اذا لـم يكـن الانساني معروضا على انه غير حر وغير فعال ودون تأهيل » ، فان الهر زيليخا يجب ان يقع في « تناقض الوعي الديني » ومع انه يمزق النظام العالميوفعاليته كثنائية الجمهور الميت والنقد (رودولف) ، فانه مع ذلك يضطر ان يعزو شيئا من القدسية للنظام العالمي والجمهور ، وان ينشيء في ديزي الوحدة التأملية للاثنين ، لرودولف والعالم (راجع نقد السينوبتيك ـ المجلـد الاول ص ٣٩)

والى جانب العلاقات الحقيقية **للعالك** ، « القوة الفردية » الفعالة ،

« الاساس الموضوعي » ، فان التأمل الصوفي ببيته الخاص الذي هو التامل الجمالي ايضا ، يحتاجان الى **وحدة ثالثة تاملية حسية** ، الى **ذات موضوعية** هي البيت والمالك في **واحد** وبما ان التأمل لا يحب التوسطات الطبيعية في تفصيل شامل فانه لا يفهم ان نفس « النتفة من النظام العالمي » ، البيت مثلا الذي هو للواحد ، والمالك ، « اساسي موضوعي يكون « حدثا ملحميا » للآخر ، للبناء مثلا وفي سبيل الحصول على « الكل الواحد » الفعلي و الوحدة الحقيقية » نجد النقد النقدي ، الذي يأخذ على الفن الرومانسي « عقيدة الوحدة ، يضع مكان الارتباط الانساني والطبيعي بين النظام العالمي واحداث العالم الارتباط الوهمي ، الموضوع ، الذات الصوفي ، كما وضع **هيغل** مكان العلاقة الواقعية بين الانسان والطبيعة ، الذات ــ الموضوع المطلق ، اي كل الطبيعة وكل الانسانية في الوقت نفسه ، اي الروح المطلقة

في ديزي النقدية نرى « الاثم الشامل للعصر ، اثم الشر » يصبح « **سر الاثم** » تماما كما ان الدين الشامل للسر يصبح سر الديون عند البقال المدين .

وبحسب انشاء ام الله ، فان ديزي ولا شك ستكون فعلا **ام رودولف**، منقذ العالم يقول الهر زيليخا ذلك بوضوح « منطقيا يجب ان يكون رودولف ابنا شرعيا لديزي » .

وعلى اي حال فما دام رودولف ليس ابنها ، بل والدها ، فان الهر زيليخا يجد في هذا « السر الجديد بأن الزمن الحاضر يحمل الزمن الماضي الذي انقضى منذ فترة طويلة في احشائه بدلا من ان يحمل المستقبل » حتى انه يكتشف سرا آخر ، وهو سر اعظم من ذلك، سرا يتناقض مباشرة مع الاحصاءات الجماهيرية ، السر بأن « طفلا » ، ان لم يصبح بدوره ابا او

اما ، بل يذهب الى قبره نقيا طاهرا ، فهو **اساسا ، ابنة** »

آن الهر زيليخا يتبع باخلاص تأمل هيغل عندما يجعل منطقيا » الابنة تعتبر اما لوآلدها في كتاب هيغل **تاريخ الفلسفة** كما في كتابه **فلسفة الطبيعة** ، نجد ان الابن ينجب الام ، والروح تنجب الطبيعة كما ينجب الدين المسيحي الوثنية ، وتنجب النتيجة البداية

بعد ان يثبت « منطقيا » أن ديزي يجب آن تكون ام رودولف ، يثبت الهر زيليخا العكس ، « حتى يكون هناك تطابق تام بينها وبين **الفكرة** ، التي تتجسدها في ملحمتنا ، **يجب الا تصبح** ابدآ اما » آن هذا يرينا على الاقل ان فكرة الملحمة ومنطق الهر زيليخا يتناقضان بالتبادل

ليست ديزي التأملية شيئا سوى « تجسيد فكرة » ولكن اي فكرة! ان عليها مهمة تمثيل ، نوعا ما ، دمعة الاسى الاخيرة التي يريقها الماضي لدى آختفائه التام» انها تمثل الدمعة المجازية،وحتى الضآلة التي تمثلها لا تمثلها الا « نوعا ما »

لن نتبع الهر زيليخا اكثر من ذلك في عرضه لديزي ، سوف نترك لها ، على حد تعبير آلهر زيليخا ، الرضا بتكوين اعظم تناقض **حاسم لكل انسان »** تناقض سري بقدر سرية صفات آلله

ولن ننقب في « السر الحقيقي » آلذي اودعه آلله في صدر الانسان » والذي تشير آليه ديزي التأملية « نوعا ما على آي حال » سوف نعبر من ديزي زيليخا الى « فلور دي ماري اوجين سو ، والمعالجة الشافية العجائبية النقدية آلتي يمارسها عليها رودولف

ب ـ فلور دي ماري

لقد صادفنا ماري المحاطة بالمجرمين وبداعرة وخادمة لصاحبة خمارة المجرمين ، في وسط هذا الدرك المنحط نجدها تحافظ على نبل روحها الانساني ، والبراءة الانسانية والجمال الانساني الذي يؤثر في كل من حولها ، ويرفعها الى مستوى الزهرة الشعرية لعالم الاجرام ويكسبها اسم فلوردي ماري (الزهرة ماري)

علينا ان نلاحظ **فلور دي ماري** بعناية منذ ظهورها الاول حتى نكون قادرين على ان نقارن شكلها الاصلي **بتجليها النقدي**

بالرغم من ضعف **فلور دي ماري** ، تبدي حيوية عظيمة وطاقة وغبطة ومرونة في الشخصية ـ وهي صفات تفسر وحدها تطورها الانساني في وضعها **غير الانساني**

وعندما يسيء **شورينير** معاملتها ، تدافع عن نفسها بمقصها ذلك هو الوضع الذي يجدها فيه اولا انها لا تظهر كحمل وديع عديم الدفاع يستسلم دون اي مقاومة للظلم الماحق ، انها فتاة تستطيع ان تدافع عن حقوقها وان تشن النضال في سبيل ذلك .

في خمارة المجرمين في شارع اوفيف تخبر شورينير ورودولف بقصة حياتها واذ تفعل ذلك تسخر من فطنة **شورينير** وهي تتهم نفسها بعدم البحث عن عمل بعد اطلاق سراحها من السجن وبتبذير ثلاثمئة فرنك كانت قد كسبتها على ملذاتها وملابسها ، قالت « ولكن لم اجد من ينصحني ». ان ذكرى فاجعة حياتها ـ بيعها نفسها لصاحبة خمارة المجرمين ـ تدخل الاسى على نفسها وللمرة الاولى منذ طفولتها تتذكر هذه الاحداث .

« الواقع انني اتألم عندما انظر الى الخلف   لا بد ان يكون المرء سعيداً حين يكون شريفا   وعندما يسخر **شورينير** منها ويخبرها ان عليهــا ان تصبح شريفة تصرخ فيه « شريفة ! يا الهي ! مع اي شيء تريدني ان اكون شريفـــة ؟ ! » وتصر على انها ليست « تلـــك التي تلائمها الـــدموع (Je ne suis pas pleurnieheuse) ، ولكـــن وضعها في الحيـــاة حزين (ce n'est pas gai) . وفي النهاية ، وعلــــى عكس التوبـــة المسيحية تعبر عن المبدأ الانساني في **الرواقي والابيقوري** في الوقت نفسه في الطبيعة القوية والحرة .

★ En fin ce qui est fait est fait

لنرافق فلو دي ماري في خروجها الاول مع رودولف   يقول رودولف الراغب في القاء موعظة اخلاقية   ان وعي وضعك المرعب غالبا ما يحمل اليك الكآبة والحزن » فتجيبه « نعم ، اكثر من مرة نظرت من فوق حاجز نهر السين ولكنني عندئذ احدق في الازهار والشمس وافكر في ان النهــر سوف يبقى دائما في مكانه وانا في السابعة عشرة من عمــري فقط   مـــن يدري ؟ في مثل هذه المناسبات كنت اعتقد انني لا استحق مصيري هذا ، انني املك شيئا خيرا في نفسي   لقد آذاني الناس بما فيه الكفايـــة ، راعتدت ان اقول لنفسي ، ولكنني على الاقـــل لـــم اسبب اي اذى لاي انسان »

لا تعتبر فلور دي ماري وضعها خلقا حرا ، ولا تعبيرا عن شخصها الخاص ، وانما هو مصير لا تستحقه   ويمكن ان يتغير حظها السيء   فلا تزال فتية .

★ وفي النهاية ما تم كان قد تم

الخير والشر في ذهن فلور دي ماري ، ليسا التجريدين الاخلاقيين للخير والشر انها خيرة لانها لم تسبب الالم قط لاي انسان ، لقد كانت دائما انسانية تحاه محيطها اللاانساني انها خيرة لان الشمس والازهار تكشف لها عن طبيعتها المشرقة والمزهرة انها خيّرة لانها لا تزال فتية ، مليئة بالامل والحيوية. ان وضعها غير خير لانه يسبب لها عنفا غير طبيعي، لانه ليس تعبيرا عن دوافعها الانسانية ، ليس تحقيقا لرغباتها الانسانية ، لانه مليء بالعذاب وفارغ من اللذة .انها تقيس وضعها في الحياة بشخصيتها الخاصة ، بجوهرها الطبيعي وليس بالصورة المثالية عن الخير .

في المحيط الطبيعي تسقط قيود الحياة البرجوازية عن فلور دي ماري، وتستطيع بملء حريتها ان تعبر عن طبيعتها الخاصة ، وبالتالي فانها تغلي بحب الحياة ، بصحة المشاعر ، بالفرح الانساني بجمال الطبيعة . ان كل هذا يظهر ان النظام البرجوازي لامس سطح حياتها فقط وهو مجرد كارثة ، اذ هي نفسها ليست خيرة ولا سيئة وانما انسانة .

« يا للسعادة يا مسيو رودولف يا للعشب يا للحقول ! الطقس جميل ، حبذا لو تركتني اخرج فكم اتمنى لو اركض عبر تلك المروج »

واذ ترجلت من العربة راحت تقطف الزهور لرودولف « وهي لا تكاد تستطيع النطق من شدة الفرح الخ

يخبرها رودولف انه سيأخذها الى مزرعة مدام جورج هناك ترى ابراج الحمام وحظائر البقر وهلمجرا ولديهم هناك الحليب والزبدة والفاكهة الخ وتلك هي البركات الحقيقية لتلك الطفلة . سوف تكون سعيدة ، فذلك هو تفكيرها الرئيسي

« فانت لا تستطيع ان تصدق كم انا متشوقة الى شيء من المرح ! » **انها** تشرح لرودولف دون ادنى تكلف كم كانت مسؤولة عن مصيرها « ان سبب مصيري كله هو اني لم اوفر نقودي » وبالتالي تنصحه ان يكون مقتصدا او ان يضع نقوده في صندوق التوفير وراحت بوهمها تمرح وتتراكض في القصور التي بناها لها رودولف في الهواء انها لا تصبح حزينة الا لانها « تنسى **الحاضر** » و « تناقض الحاضر مع حلم الوجه السعيد الضاحك الذي يذكرها بقساوة وضعها »

حتى الآن راينا **فلور دي ماري** في شكلها الاصلي غير النقدي وهنا يرتفع صوت **اوجين سو** فوق افق نظرته العالمية الضيقة الخاصة . لقد صفع المستبق البرجوازي على وجهه وسوف يسلم **فلور دي ماري** للبطل رودولف ليكف عن جراته وينتزع التصفيق من كل الرجال والعجائز ، من كل بوليس باريس ، من الدين الشائع ، ومن « النقد النقدي »

ومدام جورج ، التي يترك لها رودولف **فلور دي ماري** هي امراة تعيسة متدينة سوداوية المزاج وترحب على الفور بالطفلة بكلمات منافقة : « ان الله يبارك اولئك الذين يحبونه ويخافونه ، اولئك التعساء **التائبين** » واستدعى رودولف وهو رجل « النقد الصافي » الكاهن الحقير **لابورث** ، الذي اشتعل رأسه شيبا بالخرافات ولهذا الكاهن اوكلت رسالة انجاز اصلاح **فلور دي ماري** اصلاحا نقديا

بفرح وبلا كلفة ، تأتي ماري الى الكاهن العجوز وفي قسوته المسيحية ، يجعل **اوجين سو** « غريزة عجيبة » تهمس في الحال في اذنها ان « العار ينتهي حيث يبدأ **الندم والتوبة** » ، اي في الكنيسة التي هي وحدها تستطيع ان تهب السعادة انه ينسى المرح المطلق للنزهة ، المرح

الذي ولده جمال الطبيعة وعاطفة رودولف الودية ، والذي افسد هذا المرح هو التفكير في العودة الى صاحبة خمارة المجرمين

ويتخذ الكاهن على الفور موقفا غيبيا ، وكانت كلماته الاولى هي

« رحمة الله لا تحد يا ابنتي العزيزة ! لقد برهن لك على ذلك بانه لم يتخل عنك في تجاربك المريرة لقد حقق الرجل الشهم الذي انقذك كلمة الكتاب المقدس » (ملاحظة ـ كلمة الكتاب المقدس ليس غاية انسانية)

« يقينا أن الله قريب من اولئك الذين يتوسلون اليه ، سوف يحقق لهم رغباتهم سوف يسمع صوتهم وسوف ينقذهم ان الرب سوف يتم عمله » .

لم تدرك ماري بعد المعنى الخبيث لملاحظة الكاهن فتجيب سأصلي من اجل اولئك الذين اشفقوا عليّ واعادوني الى الله

لم تكن فكرتها الاولى متجهة الى الرب ، بل الى منقذها الانساني ، ومن اجله هو تصلي ، وليس من اجل غفرانها الخاص . وتعزو الى صلاتها القدرة على خلاص الآخرين والحقيقة كانت من السذاجة بحيث اعتقدت انها قد اعدت من قبل للعودة الى الرب ويشعر الكاهن ان من واجبه أن يحطم هذا الايمان غير المستقيم .

يقاطعها قائلا « حالا حالا ستنالين الغفران ، الغفران من خطاياك العظيمة . . . لان الله ، كما قال النبي، ينقذ اولئك الذين على شفير الهاوية»

يجب الا يخطىء المرء في فهم التعابير غير الانسانية التي يستخدمها

الكاهن حالا ستنالين الغفران خطاياك **لم تغفر بعد** .

وكما يحاول الكاهن ، عندما يستلم الفتاة ، ان يبث فيهـا **الشعور بخطاياها** ، كذلك رودولف عندما يتركها يهديها **صليبا** ذهبيا رمز **الصلب المسيحي** الذي ينتظرها .

كانت ماري قـد عاشت لفترة من الـزمن في مزرعة مدام جـورج . فلنستمع الآن الى حوار بين الكاهن العجوز ومـدام جورج انـه يعتبر « الزواج » قضية لا يناقش فيها بالنسبة للفتاة « لان اي رجل بالرغم من ضمانة الكاهن لن تكون لـديه الشجاعة لأن يواجه الماضي الـذي اوث صباها » .

ويضيف « آن لها آثاما كثيرة للتكفير عنهـا فقد كـان يجب ان يسعفها الشعور الاخلاقي وهو يبرهن انها تستطيع ان تبقى خيرة مثل باقي البورجوازيين فهناك الكثير جداً من الناس الفاضلين في باريس اليوم ان الكاهن المنافق يعرف تماما ان هؤلاء الناس الفاضلين الذين في باريس يتجاوزون ، في الشوارع المزدحمة ، في كل ساعة مـن ساعات النهار ، الفتيات الصغيرات اللواتي عمرهن بين السابعة والثامنة ، واللواتي يبعن علب الثقاب وما شابه حتى منتصف الليل ، كما اعتادت ماري ان تفعل ، واللواتي ، بلا استثناء على وجه التقريب ، سيلاقين المصير نفسه الذي لاقته ماري

صمم الكاهن آن يجعل ماري تندم ، في دخيلة نفسه ، وقد ادانهـا مسبقا فلنرافق ماري عندما صحبها الكاهن في المساء الى البيت .

ابتدأ يحدثها بفصاحة منافقة « انظري يا بنية الـى الافق الـذي لا ترى حدوده » (تذكر ايها القارىء ان الوقت كان مساء) « يبدو لي آن

الهدوء والسعة يدخلان في اذهاننا فكرة الابدية ... اني اخبرك هـذا ، يا ماري ، لانك حساسة لجمال الخليقة فلشد ما هزت اعطافي الـروعة الدينية التي ادخلاها في روعك ، انت يا من بقيت مدة طويلة محرومة من العاطفة الدينية » .

لقد نجح الكاهن من قبل في تغيير سرور ماري الساذجة بجمال الطبيعة الى افتتان ديني ففدت **الطبيعة** بالنسبة اليها طبيعة ورعة طبيعـــة **مسيحية** ، منحطة الى مصاف **الخليقة** ان بحر الفضاء الشفاف ينقلب الى رمز مظلم **للابدية** الراكدة وقد تعلمت ان كل مظاهر الانسان فيهـا هي مظاهر دنوية » خالية من الدين،من التقديس الحقيقي ، بحيث كانت مظاهر دنسة ولا الهية لا بد للكاهن ان يفسدها في عيني نفسها ، يجب ان يدوس بقدمه قدراتها الاخلاقية ومواهبها ليجعلها تتلقى النعمة الغيبية التي يعدها بها وهي **المعمودية** .

وعندما تريد ماري ان تدلي باعترافها وتسأله ان يكون متسامحا معها يجيبها « ان الرب اظهر لك انه رحيم » وفي الرحمة التي يجب عليها الا ترى المحركة الطبيعية التي تدفع نحوها كائنا انسانيا ، هي الكائن الانساني الآخر يجب ان ترى فيها نعمة فوق البشر فوق الطبيعة ، وعطفا فائقا؛ ويجب ان ترى في **التسامـــح البشري نعمة الهية** يجب ان ترى كـل الكائنات البشرية والعلاقات البشرية بشكلها المتسامي **للعلاقات مع الرب**. والطريقة التي تقبل بها فلور دي ماري في اجابتها ثرثرة الكاهن حول النعمة الالهية تظهر لنا الى اي مدى افسدها المبدأ الديني

وقالت انها حالما دخلت وضعها الجديد المحسن شعرت **بسعادة جديدة**: « ما فتئت افكر في مسيو رودولف . فكم رفعت عيني الى السماء لابحث، لا عن الله ، بل عن المسيو رودولف هناك واشكره . نعم اني اعترف ايهـا

الأب لقد فكرت فيه **اكثر مما فكرت في الرب** ، لانه عمل من اجلي مالا **يستطيع عمله الا الرب وحده لقد كنت سعيدة ، كسعادة اي انسان نجا من خطر كبير الى الابد » .**

وجدت **ماري دي فلور** من الخطأ ان تأخذ الوضع السعيد الجديد في **الحياة ببساطة كما هو الواقع ، وانها شعرت به وكأنه سعادة جديدة ، وأن مرقفها منه كان طبيعيا ، وليس فوق الطبيعي . أنها تتهم نفسها بأنها ترى في الانسان الذي انقذها ما كان عليه فعلا ، اي منقذها ، بدلا من ان نفترض** منقذا ما خياليا الله » في مكانه لقد وقعت سلفا في النفاق الديني الذي **ينتزع من رجل آخر ما هو اهل له فيما يتعلق بي حتى يمنحه للرب ، والذي يعتبر اي شيء وكل شيء انساني في الانسان وكأنه غريب عن الرب،** وكل شيء غير انساني فيه وكأنه خاصة الرب **بصورة فعلية .**

تخبرنا ماري ان التحول الديني في افكارها ، في عواطفها ، في موقفها تجاه الحياة كان من تأثير مدام جورج والكاهن لابورث

عندما انتزعني رودولف من المدينة كان لدي سلفا وعي غامض عن **انحطاطي ولكن التربية والنصيحة والامثلة التي نلتها من مدام جورج ومنك جعلتني افهم أنني كنت آثمة اكثر مما كنت سيئة الحظ . ان مدام جورج وانت جعلتماني اتحقق من العمق السحيق للعنتي » .**

وذلك يعني أنها تدين لمدام جورج وللكاهن لابورث باستبدال وعيها الانساني لانحطاطها الذي يمكن احتماله بالوعي المسيحي للعنة الابدية الذي لا يمكن احتماله وهكذا فالكاهن والمرأة المتعصبة علماها ان تحاكم نفسها من وجهة النظر المسيحية

وتشعر ماري في اعماقها بتعاستها الاخلاقية التي تردت فيها فتقول

« ما دام وعي الخير والشر سيكون قاضيا حتى هذه الدرجة بالنسبة لي ، فلماذا لم اترك لمصيري البائس ؟ ولو لم أنتشل من العار ، فان البؤس واللطمات كانت ستقضي علي سريعا . فعلى الاقل كنت اموت وانا اجهل النقاوة التي سأندم ابدا على إنني لم انلها » .

ويجيب الكاهن الغليظ القلب

« ان الطبيعة الاعظم موهبة ، لو غرقت ليوم واحد في حماة الرذيلة التي نجت نفسك منها ، كانت احتفظت بعلامة لا تمحي . تلك هي العدالة الالهية الثابتة ! » .

فتصرخ فلور دي ماري وقد جرحتها بعمق لعنة الكاهن التي كانت كالسم في الدسم : « ترى بنفسك انه يجب ان اياس ! »

ويجيب خادم الدين الاشمط

« عليك ان تتخلي عن كل امل في محو هذه الصفحة القذرة من حياتك ، ولكن يجب عليك ان تثقي بالرحمة اللامتناهية للرب . هنا في هذا العالم الادنى سوف تذرفين الدموع وتندمين وتتوبين ، ولكن في يوم من الايام ، هناك في العالم العلوي ، ستنالين العفو والبركه الابدية » .

لم تكن ماري غبية بعد الى درجة الرضا بالعفو والسعادة الابدية في العالم العلوي .

وتصرخ الرحمة ، الرحمة يا إلهي ، آنا صغيرة جدا كم انا بائسة ! »

وعندئذ تصل سفسطة الكاهن المنافقة الى ذروتها

« على العكس ، السعادة لك يا ماري ، السعادة لك يا من أرسل الرب اليك هذا الندم المرير ولكنه ندم منقذ آنه يظهر الحساسية الدينية لروحك فكل آلامك سوف تسجل لك في الاعلى ... صدقيني ، أن

الرب تركك فترة على طريق الشر فقط ليدخر لك **مجد التوبة** والجزاء الابــدي للتكفير

ومنذ هذه اللحظة نجد ماري عبدة **لوجدان الخطيئة** وفي وضعها التعيس في الحياة كانت قادرة ان تصبح شخصية انسانية محبوبة ؛ وفي **انحطاطها** الخارجي كانت على وعي بأن **جوهرها الانساني** كان **جوهرها الحقيقي** والآن نجد حمأة المجتمع الحديث الذي دخل في تماس خارجي معها يجعلها كأنها الاكثر عمقا ان الالم الذاتي السوداوي سبب تلك **الحمأة** سوف يكون واجبها من الآن فصاعداً مهمة حياتها المعيّنة من قبل الله نفسه ، الهدف الذاتي لوجودها لقد تباهت من قبل قائلة « أنا لست تلك التي تلائمها الدموع. » وعرفت ان « ما تم قد تم » والآن سوف يكون **خيرها** في عذابها الذاتي وسيكون الندم **مجدها**

ويتبين فيما بعد ان **فلوردي ماري** هي ابنة رودولف ، فنجدها ثانية اميرة جولدشتاين ولنستمع الى محادثة مع والدها

« لقد صليت لله عبثا لينتشلني من تلك الهواجس ، ليملأ قلبي فقط بحبه الشفوق وآماله القدسية ، وباختصار ليأخذني كليا ، لأنني أرغب في ان أهب نفسي كلية له فلم يقبل رغائبي والسبب في هذا هو ولا شك ان مشاغلي **الارضية** جعلتني غير جديرة بالتعامل معه »

عندما يتحقق الانسان ان اخطاءه هي جرائم **غير محدودة** ضد الله فانه لا يستطيع ان يكون متأكدا من **الخلاص** و **الرحمة** إلا اذا قدم نفسه **كليا** للرب ، وانتهى **كليا** من العالم والمشاغل الدنيوية وعندما تتحقق **فلوردي ماري** ان انتشالها من وضعها اللاانساني في الحياة كان معجزة من **الرب** ، يجب عليها ان تصبح **قديسة هي نفسها** حتى تكون اهلا **للمعجزة** ويجب ان يتحول حبها الانساني الى حب ديني ، وان تتحول رغبتها في السعادة الى

سعي للبركة الابدية ، وان تتحول الراحة الدنيوية الى أمـل مقدس ، وان يتحول التعامل مع الانسان الى تعامل مـع الله ويجب ان يأخذهـا الرب كليا فهي لم تهبها له كليا ، فلا يزال قلبها منهمكا ومشغولا بالشؤون الارضية هذا هو التوهج الاخير لطبيعتها القوية انها تقدم نفسها كليـا للرب بأن تموت كليا من العالم وتذهب الى **الدير**

الدير ليس مكانا لذلك
الذي لا يملك مخزنا او دعت فيه خطايا
عظيمة ووفيرة
بحيث إن عاجلا او آجلا
يمكنه ان يفقـــد السرور العـذب
للتكفير عـن قلبه المنسحق

(غوته)

وفي الدير صارت **فلوردي ماري** راهبة من **خـلال** مكائـد رودولف ورفضت أولا أن توافق على هذا لانها تشعر بأنها غير جديرة ، ولكن الراهبة العجوز **تقنعها**

« ساقول اكثر من ذلك أيتها الابنة العزيـزة لو ان حياتك قبـل دخولك الحظيرة كانت عابثة بقدر ما هي نقيـــة وجديرة الآن فـــان **الفضائل الانجيلية** التي ضربت مثالا عنها منـــذ أن جئت ، ستكفر عنـك وتفتدي ماضيك في عيني الرب ، ولا عبرة لما كنت تحملين من آثام »

ومما تقوله الراهبة نرى ان الفضائل الارضية لفلوردي ماري تتحول الى فضائل انجيلية ، او بالاحرى إن فضائلها الحقيقية لا يمكن ان تظهر بعد الآن الا كصورة كاريكاتورية انجيلية

وترد ماري على الراهبة

ايتها الأم المقدسة أعتقد الآن أنني استطيع الموافقة »

وحياة الدير لم تلائم شخصية ماري فتموت والمسيحية تعزيهـــا بالخيال فقط ، أو بالاحرى عزاؤها المسيحي هـــو بالضبط افنـــاء حياتها وجوهرها الحقيقي ـ اي موتها

وهكذا حول **رودولف فلوردي ماري** أولا الى خاطئة نادمـــة ، وعندئذٍ حولها من خاطئة نادمة الى راهبة واخيرا حول الراهبـــة الى جثـــة والى جانب ذلك فان الكائن الكاثوليكي ، الكائن النقدي زيليخا يتلو موعظة على قبرهـــا

انه يسمي وجودها « البريء » وجودا « زائلا » معارضا اياه بـ «الاثم الأبدي الذي لا يغفر » وهو يطري واقع ان **نفسها الاخير** كان « صلاة من أجل المغفرة والعفو » ولكن كما ان القس البروتستانتي ، بعـــد ان شرح ضرورة بركة الرب ، ومشاركة الراحل في الخطيئة الاصلية الشاملة، وشدة شعوره بالخطيئة ، لا بد ان يقرظ فضائل الراحـــل بتعابير **دنيوية** ، هكذا ايضا يستخدم الهر زيليخا هذا التعبير

« وبعد فانها **شخصيا** لم ترتكب ما تسأل الغفران عنه »

وأخيرا يلقي على قبرها بالزهرة الاكثر ذبولا لفصاحة المنبر

« وبنقاء داخلي نادرا ما تتحلى به الكائنات الانسانية أسبلت جفنيهـــا عن هذا العالم » .

اميـــــن !

٣ ـ انكشاف اسرار القانون

آ ـ رئيس العصابة ، او نظرية الجزاء الجديدة
انكشاف سر نظام الزنزانة
الاسرار الطبيعية

رئيس العصابة مجرم ذو قوة جبارة وطاقة اخلاقية عظيمة ، وقد نشأ رجلا متعلما ومثقفا ويصطدم هذا البطل العاطفي بقوانين المجتمع البرجوازي وعاداته ، هذا المجتمع الذي مقياسه العام التفاهة والاخلاق اللينة والتجارة الهادئة ويصبح سفاكا وينساق مع مبالغات مزاجه التعيس الذي لم يستطع ان يجد في أي مكان حرفة انسانية ملائمة .

ويأسر رودولف هذا المجرم ويريد اصلاحه نقديا ليجعل منه مثالا **لدنيا القانون** وهو يتخاصم مع دنيا القانون ليس حول « العقاب »نفسه، بل حول انواع العقاب **وطرائقه** وهو يخترع كما يعبر الطبيب الزنجي دافيد ذلك جيدا نظرية جزائية جديرة بـ « **اعظم خبير الماني في الجريمة** ». وكانت النظرية محظوظة الى حد ان الاختصاصي الالماني بالجريمة دافع عنها بكل اللهفة والعمق الالمانيين وليس لدى رودولف اي فكرة عن ان المرء يمكن ان يحلق فوق خبراء الجريمة ان طموحه هو ان يكون « اعظم خبير في الجريمة والاول بين المتساوين ويعمي رئيس العصابة بواسطة الطبيب الزنجي دافيد »

يكرر رودولف أولا كل الاعتراضات التافهة على عقوبة الاعدام فليس لها اي اثر على الجريمة ، وكذلك لا اثر لها على الشعب ، هذا الشعب الذي لا يجد في عقوبة الاعدام سوى مشهد مسل

واكثر من ذلك فان رودولف يقيم فرقا بين رئيس العصابة وروح رئيس العصابة انه لا يرغب في انقاذ الرجل ، رئيس العصابة **الحقيقي** ، بل يرغب **في الخلاص الروحي لنفسه** .

ويعلمنا قائلا « خلاص الروح هو امر مقدس فكل جريمة يمكن التكفير عنها وافتداؤها ، هكذا قال المخلص* ، ولكن فقط اذا كان المجرم يرغب في الندم **والتكفير** عنها حقا انت (يقصد رئيس العصابة) اسأت استخدام قوتك بصورة آثمة ، وأنا سوف اشل قوتك لسوف ترتعد خوفا امام الاضعف .عقابك سوف يترك لك على الاقل مجالا واسعا **للتكفير** سوف افصلك فقط في العالم الخارجي لأغرقك في ليل لا يسير عوره فاتركك **وحيدا** مع ذكرى افعالك الحقيرة سوف تجبر ان تنظر في نفسك ان ذكاءك الذي انحدرت به سوف يستيقظ من جديد الى التكفير »

وكما يعتبر رودولف روح الانسان **مقدسة** ويعتبر جسده **مدنسا** ، وكما انه يعتبر فضلا عن ذلك الروح وحدها هي الجوهر الحقيقي لانها ، في وصف الهر زيليخا النقدي للانسانية تنتمي الى السماء ، بينما جسد رئيس العصابة وقوته لا ينتميان الى الانسانية ، فلا يمكن لتظاهر جوهرهما ان يتخذ شكلا بشريا او يدافع عن البشرية ، ولذلك يجب الا يعالج بانسانية كما يعالج الشيء الانساني جوهريا

لقد اساء رئيس العصابة استخدام قوته، فيشل رودولف ويدمر تلك القوة ولا توجد وسيلة **نقدية** للتخلص من المظاهر غير الصحيحة لقوة الانسان الاساسية سوى تحطيم تلك القوة الاساسية هذه هي الوسائل المسيحية ــ فاسمل العين ان اخطات وابتر اليد اذا اساءت وباختصار

★ المقصود بالمخلص هنا هو المسيح المترجم)

اقتل الجسد اذا أساء الجسد ؛ لان العين واليد والجسد ليست أصـــلا سوى ملاحق آثمة ونافلة للانسان يجب أن نقتل الطبيعة الانسانية حتى يشفى المرض ، والفقه الجماهيري ايضا ، تساوقا مع الفقه النقدي ، يرى في تدمير القوى الانسانية وشلها ترياقا للمظاهر غير المرغوبة لتلك القوة

أن ما يعترض عليه رودولف ، رجل النقد الصـــافي ، في العدالـــة الدنيوية الجزائية يتلخص في هذا الانتقال المفاجيء جدا من قاعة المحكمة الى منصة المشنقة . وانه يريد من جهة ثانية ، أن يربط **الانتقـــام** من المجـــرم **بالتوبة والوعي بالخطيئة** في المجرم ، ويربط العقـــاب الجسدي بالعقـــاب الاخلاقي والألم الحسي بألم الندم غير الحسي ويجب ان يكون العقـــاب الدنيوي في الوقت نفسه وسائل للتربية الخلقية المسيحية .

هذه النظرية الجزائية ، التي تربط **الفقه باللاهوت** ، « ســر الاسرار المتجلي » هذا ليس شيئا آخر سوى النظريةالجزائيةللكنيسة **الكاثوليكية.** وقد اثبت **بنتام** هذا بشيء من التفصيل في كتابه « نظرية الجزاء والمكافاة ». لقد اثبت بنتام في ذلك الكتاب أيضا عدم جدوى العقاب اخلاقيا في هـــذه الايام ويدعو الجزاء الشرعي بـ « المساخر القانونية »

إن العقاب الذي فرضه رودولف على رئيس العصابة هو العقـــاب نفسه الذي فرضه **اوريجين** على نفسه لقد **خصاه** هـذا العقاب وسلبه عضوا منتجا ، هو العين «أن العين هي نور الجسد » وانه لشرف عظيم بالنسبة لغريزة رودولف الدينية ان يلح على فكرة **العمى** من بين جميـــع الاشياء الاخرى كان ذلك العقاب مفضـــلا في الامبراطورية البيزنطيـــة المسيحية كليا ، وفي عنفوان شباب الدولة الالمانيـــة المسيحيـــة في انكلترا وفرانكونيا* فصل الانسان عن العالم الحسي الخارجي واعادته الى داخله

★ مقاطعة المانية . (المترجم)

المجرد لاصلاحه عن طريق عماه ، هو الثمرة الحتمية للمبـــدأ المسيحي الذي طبقا له يعتبر انفصال الانسان انفصالا تاما ، وعزلته التامة في «أناه» الروحية هو **الخير في ذاته** واذا لم يسجن رودولف رئيس العصابة في دير حقيقي كما كانت الحالة في بيزنطة وفرانكونيا فانه على الاقل يغلق عليــه في دير مثالي في رواق ليل لا يسبر غوره ولا ينفـــذ اليه ضـــوء العالم الخارجي ، رواق الضمير الكسول والاحساس بالخطيئة لا يملؤه شيء سوى اشباح الذكرى

ويمنع بعض الحياء التأملي الهر زيليخا من الموافقة صراحة على النظرية الجزائية لبطله رودولف بأن العقاب يجب ان يرتبط بالتوبة المسيحيـــة والتكفير وبدلا من ذلك يعزو اليه – طبعا على انه انكشف للعالم للتـــو واللحظة – النظرية التي تقول ان العقاب يجب ان يجعل المجرم « قاضيا » بحكم في جريمته « الخاصة »

إن سر هذا السر المنكشف نجده في نظرية **هيغل** الجزائية يـــرى هيغل ان المجرم يجب ان يلفظ الحكم على نفسه باعتبار ذلـــك عقابا له وطوّر **غانز** هذه النظرية عن هيغل بشيء من التفصيل وهذا هو عنـــد هيغل **التنكر التأملي** للقانون **الموسوي** القديم (العين بالعين) الذي طوره **كانط** باعتباره **النظرية الجزائية الشرعية الوحيـــدة** ولا يجعـــل هيغل المحاكمة الذاتية للمجرم اكثر من « فكرة ، اكثر من شرح تأملي فقط **للقانون الجزائي التجريبي الشائع** وهكذا يترك طريقة التطبيق لدرجـة تطور الدولة ، أي يترك العقاب كما هو وفي ذلك بالضبط يبدو اكثر نقدية من صداه النقدي. ذلك ان نظرية **جزائية** ترى في المجرم **انسانا** لاتستطيع ان تفعل ذلك الا في **التجريد** ، في الخيال ، بالضبط لان العقاب ، اي القسر ، هـــو ضد السلوك **الانساني** والى جانب ذلك فان من المستحيل تنفيذ ذلك . ان

الاعتباط الذاتي الصافي سوف يحل محل القانون المجرد لانه دائما يتوقف على الرجال الرسميين « الشرفاء المحتشمين » أن يكيفوا الجزاء المطبق مع شخصية المجرم وقد وافق افلاطون على ان القانون يجب أن يكون ذا جانب واحد ، ويجب ان يتجرد عن كل فردية ومن الجهة الاخرى ، فان العقاب في الشروط الانسانية لن يكون **بالفعل** أي شيء غير حكم يلفظه المتهم على نفسه ولن تكون ثمة محاولة لاقناعه ان **العنف من الخارج** الذي يمارسه عليه الآخرون هو عنف يمارسه على نفسه بنفسه وعلى العكس ، فسوف يرى في الناس الآخرين منقذيه الطبيعيين من الحكم الذي اصدره على نفسه ؛ وبكلام آخر ، فان العلاقة سوف تنقلب

يعبر رودولف عن هذه الفكرة العميقة – الغرض من ايقاع العمى برئيس العصابة – عندما يقول له

« كل كلمة تقولها ستكون صلاة »

يريد ان يعلمه الصلاة يريد أن يغير اللص الجبار الى **راهب** يقتصر عمله على الصلاة فقط فكم تبدو انسانية النظرية الجزائية المألوفة التي تقطع رأس الانسان عندما تريدان تدمره اذا ما قورنت بهذا الظلم المسيحي. وأخيرا من الواضح انه عندما يفكر التشريع الجماهيري الحقيقي جديا في أصلاح المجرم ، فانه لن يكون اكثر انسانية وواقعية من هرون الرشيد الالماني أن المستعمرات الالمانية الزراعية الاربع ومزرعة اوزولد التأديبية في الالزاس هي محاولات اكثر انسانية حقا بالمقارنة مع ايقاع العمى جزاء لرئيس العصابة .وكما يقتل رودولف **فلوردي ماري** بتسليمها لكاهن ، ولشعورها بالاثم ، وكما يقتل **شورينير** اذ يسرق منه استقلاله الانساني ويذلة الى درك الكلب ،كذلك يقتل رئيس العصابة بسمل عينيه بحيث يستطيع ان يتعلم **« الصلاة »**.

هذا هو ، بالمناسبة ، الشكل الذي ينطلق فيه الواقع « ببساطة » من « **النقد الخالص** » ليكون بالضبط **وتجريدا تافها** للواقع

ومباشرة بعد ان يوقــع رودولف العمـى برئيس العصابـة يـأتي الهر زيليخا ليظهرنا على **معجزة أخلاقية** .

يكتب مقررا فجأة يتعرف رئيس العصابـة على قـــوة الشرف والاحتشام ويقول لشوريمان « نعم ، استطيع آن أثق بك ، أنت لم تسرق شيئا قط »

ولسوء الحظ سجل **أوجين سو** شيئا عما قالـه رئيس العصابـة عن **شورينير** ، والذي يتضمن الاعتراف نفسه ، ولايمكن آن يكون مناثر العمى، ما دام ذلك القول قد قيل **قبل ذلك** . في حديث منفرد مع رودولف قال عن شورينير

الى جانب ذلك ، فهو غير قادر على خيانة صديق لا . ان فيـــه شيئا خيّرا آن له دائما أفكارا غريبة » ويبدو ان هذا ينسف معجزة الهر زيليخا الاخلاقية وسوف نرى الآن النتائج الحقيقية لعلاج رودولف **النقـــدي** .

نصادف أولا رئيس العصابة في اصطحابـه لامرأة تـدعى**شويت** الى مقاطعة بوكيفال لنصب كمين شرير لفلوردي ماري والفكرة التي تسيطر عليه هي ، طبعا ، فكرة **الانتقام** من رودولف . ولكن الطريقة الوحيدة التي بعرفها لتنفيذ الانتقام منه هي طريقة غيبية ، بالتفكير في « **الشر** » واجترآره لاغاظته ويخبر **شويت** عن سبب استدعائها فيقول ان رودولف انتزع بصري ولكنه لم ينتزع فكرة الشر »

« كنت ضجرا وأنا وحدي تماما مع أولئك الناس الشرفاء » .

عندما يرضي اوجين سو رغبته الرهبانية الحيوانية في **الاذلال** الذاتي للانسان الى درجة جعل رئيس العصابة يتوسل الى العجوز الشمطاء **شويت** والطفل المؤذي الصفير تورليلارد بالحثو على ركبتيه حتى لا يهجراه ، ينسى الاخلاقي الكبير ان ذلك هو ذروة الرضا الشيطاني بالنسبة **لشويت** وكما برهن رودولف للمجرم عن طريق **العنف بسمل عينيه** عن **القـوة الجسدية** التي أخبره من قبل انهـا غير موجودة ، هـكذا يعلم اوجين سو رئيس العصابة الآن ان يعترف بقوة **الحسية الكامنة** يعلمه كيف يفهم ان الانسان بدونها **غير انسان** ويصبح موضوع سخرية للاطفال ، ويقنعه ان العالم قـد استحق جرائمه اذ يكفي ان يفقد بصره حتى يسيء هذا العالم معاملتـه لقد سلبه آخر وهم انساني ، فحتى الآن كان رئيس العصابة يؤمن بتعلق **شويت** به لقد قال لرودولف انها ستلقي بنفسها في النار من أجلي » ويرتاح أوجين سو ، من جهة أخرى ، لسماعه رئيس العصابة يصرح يائسا من اعماقه

« **يا إلهي يا إلهي ! يا إلهي**

لقد تعلم « الصلاة » ! ويرى أوجين سو في « هذا الدعاء العفوي لنيل الشفقة من الرب ، شيئا من العناية الإلهية »

ان النتيجة الاولى لنقد رودولف هي هذه **الصلاة العفوية** .

وينبع من ذلك مباشرة **التفكير الارادي** في مزرعة بوكيفال ، حيث تظهر اشباح ضحايا رئيس العصابة له في حلمه .

لن نقدم وصفا تفصيليا لهذا الحلم فنحن نجـد رئيس العصابة الذي أصلحه النقد مقيدا في قبو « براس روج » أوشكت تقضمه الفئران ، نصف جائع نصف مجنون نتيجة الألم الـذي اصابه من **شويت وتورليلارد** ويجأر كالوحش **وتورليلارد** سلم **شويت** له فلنراقب المعاملة التي انزلها

بها انه بنسخ البطل **رودولف** ليس نسخا خارجيا ، بسمل **عيني شويت ،** وانما بنسخه **أخلاقيا** أيضا اذ يرفق العمل الجائر بتكرار كلمات رودولف الورعة والمنافقة وحالما تقع **شويت** في قبضة رئيس العصابة يظهر **« فرحا شريرا »** ويرتجف صوته غضبا

يقول آنت تتحققين من اني لا اجهز عليك دفعة واحدة التعذيب بالتعذيب يجب ان احدثك طويلا قبل ان اجهز عليك وسيكون هذا رهيبا بالنسبة اليك انت ترين قبل كل شيء منذ ذلك الحلم في مزرعة بوكيفال ، الذي اعاد امامي كل جرائمنا ، منذ ذلك الحلم الذي كاد يدفعني الى الجنون حدثتغير غريب فيَّ لقد صرت ارتجف رعبا من قسوتي الماضية اولا لن ادعك تعذبين المغنية* ، بيد ان ذلك لم يكن شيئا باحضاري الىهذا القبو وتركياتألم بردا وجوعا ، دفعت بي الى افكاري المرعبة آه انت لا تعرفين معنى ان يكون الانسان وحيدا... لقد طهرني الانفراد ت احسب انيكون ذلك ممكنا ـ وانه لبرهان على اني ربما كنت وغدا اقل من ذي قبل فياللفرح العظيم الذي اشعر به وانت في قبضتي ، ايتها الوحش لا لاحقق ثاري بل لانتقم لضحايانا نعم اكون قد قمت بواجبي اذا انا عاقبت بيدي شريكي في الجريمة انا ارتجف رعبا من ضحايا الماضي ومع ذلك الا تجدين ذلك غريبا ؟... ها انا اقدم على اقتراف جريمة رهيبة فيك دون وجل ولا تردد ، بل بهدوء مرعب خبريني خبريني هل تفهمين ذلك ؟ »

وفي هذه الكلمات القليلة يجتاز رئيس العصابة سلما كاملا من **الافتاء الاخلاقي .**

★ يقصد فلوردي ماري

كلماته الاولى كانت تعبيرا صريحا عن رغبته في الانتقام انه يريد ان يعاقب التعذيب بالتعذيب ، انه يريد الاجهاز على **شويت** ويريد ان يطيل نزاعها طويلا بموعظة والكلام الذي يعذبها به ، يالسفسطة العجيبة، هو موعظة حول الاخلاق انه يؤكد ان حلمه في بوكيفال قد اصلحه وفي الوقت نفسه يكشف التأثير الحقيقي للحلم بالتسليم على ان الحلم قد دفعه الى الجنون وانه سيجن فعلا ويقدم دليلا علىتهذيبههو انهرد التعذيبعن فلور دي ماري ان شخصيات اوجين سو – شورينير من قبل والآن رئيس العصابة – يجب ان يعبروا ، نتيجة افكارهم الخاصة ، عن الدافع الوجداني لافعالهم ، وهذا هو السبب في ان الكاتب يجعلهم يتصرفون بهذه الطريقة المعينة لا بغيرها يجب ان يقولوا باستمرار لقد اصلحت هذا الشأن او ذاك الخ وبما انهم لا يدخلون حياة مليئة حقا بأي مضمون ، فان واجبه يقضي بأن يشرح لنا لماذا تركه أوجين سو وراء الابواب المقفلة في دي ماري .

واذ قدم رئيس العصابة تقريرا عن التأثير المفيد لحلمه في بوكيفال فإن واجبه يقضي بأن يشرح لنا لماذا تركه أوجين سو وراء الابواب المغلقة في القبو يجب عليه ان يجد معاملة الروائي معقولة. يجب ان يقول لشويت : عندما زججت بي في القبو وتركت الفئران تقرضني ، والجوع والعطش يؤلماني ، فقد اكملت اصلاحي لقد طهرني الانفراد

ان الزئير الحيواني والرعب الوحشي ، والشهوة المخيفة للانتقام التي يستقبل بها رئيس العصابة **شويت** هي رد على الحديث الخلقي إنها تفضح اي نوع من التفكير شغله في زنزانته .

ويبدو ان رئيس العصابة قد تحقق من هذا ، ولكن بما انه **آخلاقي نقدي** ، فسوف يعرف كيف يوفق التناقض .

انه يفصح عن «السرور الذي لا يحد» الذي انتابه لدى وقوع شويت

في قبضته على انه دليل على اصلاحه ان شهوتة للانتقام ليست شهــوة **طبيعية** بل شهوة **اخلاقية** انه يريد آن ينتقم ليس لضحاياه الخاصين ، بل **لضحايــا شويت** المشتركة بينها وبينـــه وعندما **يقتلها** لا يكون قـــد اقترف **قتلا** ، انه يحقق **واجبا** وهو لا ينتقم لنفسه منها ، انــه **يعاقب** شريكته في الجريمة كقاض عادل انه يرتعد من جرائمه الماضية ومع ذلك يعجب لافتتائه الخاص ويسأل شويت اذا كانت لا تجد غرابة في اقدامــه على قتلها دون خوف ولا وخز ضمير وعلى الاسس الاخــلاقية التي لــم يكشفها يتأمل في الوقت نفسه في صورة الجريمة التي هو في طريقه الى اقترافها لانها جريمة مرعبة ، **جريمة بتفكير مرعب**

ان مما يناسب شخصية رئيس العصابة ان يقتل **شويت** ، وخاصة بعد الظلم الذي حاقه على يدها اما انه سيرتكب القتل لاسباب اخلاقية، واما آنه يمنح تأويلا آخلاقيا للجريمةالرهيبةوالتفكير المرعب واما انهلايزال نادماً على جرائمه السابقة عندما يقترف جريمة اخرى واما انه سيتحول من قاتل بسيط الى **قاتل بشعور مزدوج الى قاتل اخلاقي** ــ كل هذا هو النتيجة المجيدة لعلاج رودولف النقدي

تحاول **شويت** آن تتخلص من رئيس العصابة. ويلاحظ ذلك فيقبض عليها بسرعة ابقي هادئة يا **شويت** ، يجب ان انتهي من شرحي لك كيف اصبحت بالتدريج نادما سوف يكون ذلك كشفا مرعبا لك وسوف يظهر لك ايضا كم يجب ان اكون عديم الشفقة في الانتقام الذي انوي انزاله فيك باسم ضحايانا يجب ان آسرع وان فرحي بوجودك في قبضتي هنا يجعل دمي يغلي لدي متسع من الوقت لاجعل اقتراب موتك اشد رهبة باجبارك على الاصغاء الي انا آعمى ومكري يتخذ شكلا ، يتخذ جسدا ، كي يقدم لي شخوص ضحاياي مرئية وملموسة طوال الوقت ... انالافكارالتي تنعكس في ذهني مادية تقريبا. عندماتصاحب

الندامة كفارة ذات قسوة مرعبة ، كفارة تحول حياتنا الى ارق طويل مملوء بوساوس الانتقام او الافكار اليائسة عندئذ ربما تبع غفران الندم والتكفير

ويتابع رئيس العصابة بنفاق يفضح نفسه في كل دقيقة من حيث هو نفاق خالص **فشويت** يجب ان تسمع كيف وصل بالتدريج الى الندامة هذا الانكشاف سوف يرعبها ، لانه سوف يثبت لها ان من **واجبه** ان يكمل الانتقام الذي لا يعرف الشفقة ، ليس باسمه بل باسم ضحاياهماالمشتركة. وفجاة يقطع رئيس العصابة محاضرته التعليمية يقول انه يجب ان يسرع بمحاضرته لان فرحه بوقوعها بقبضته يجعل دمه يغلي في عروقه وذلك اساس اخلاقي يبرر قطع محاضرته ومن ثم يهدىء من فورة دمه مرة ثانية والوقت الطويل الذي يستخدمه ليقدم لهاموعظة اخلاقية لا يضيعه من اجل الانتقام بل سوف يجعل اقتراب موتها «اشد رهبة » وهذا اساس اخلاقي آخر ليطيل موعظته وبما ان لديه مثل هذه الاسس الاخلاقية ففي امكانه ان يستأنف بسلام نصه الاخلاقي حيث قطعه.

يصف رئيس العصابة بدقة حالة الانسان الغارق في العزلة عن العالم الخارجي . فبالنسبة اليه ، هو الذي يرى **مجرد فكرة في العالم المحسوس،** فان **مجرد الفكرة** تصبح من ناحية اخرى **كائنا محسوساً** ان اختلاقات دماغه تتخذ شكلا جسديا . ان عالما من الاشباح المحسوسة والملموسة يولد في فكره ذلك هو سر جميع الرؤى الورعة وفي الوقت نفسه الشكل العام للجنون عندما يكرر رئيس العصابة كلمات رودولف عن « قوة الندامة والكفارة المترافقة بالآلام الرهيبة » فانما يفعل هذا في حالة خبل ، في حالة نصف جنون ، وهكذا يثبت الارتباط بين الشعور المسيحي بالخطيئة والجنون وبالمثل ، عندما يعتبر رئيس العصابة تحول **الحياة الى كابوس** مليء بالاشباح كنتيجة حقيقية للندامة والكفارة ، فهو انما يعبر عن السر الحقيقي للنقد الخالص والاصلاح المسيحي الذي يقوم على تحويل الانسان

الى شبح وتحويل حياته الى حياة من الاحلام

وعند هذه النقطة يتحقق اوجين سو كيف ان **الافكار المفيدة** التـي يترك السارق الاعمى يثرثر بها لرودولف ، سوف تنهزم من جراء معاملة رئيس العصابة **لشويت** ، وهذا هو السبب في انه يجعـل رئيس العصابة يقـول :

ان التأثير المفيد لهذه الافكار عظيم بحيث سكن غضبي

وهكذا يتحقق رئيس العصابة آن هذا الغضب الاخـلاقي ليس شيئا سوى **الغضب الدنيوي .**

تنقصني الجرأة القوة الارادة لأقتلك لا ليس انا من يريق دمك سوف يكون ذلك جريمة (آنه يدعو الاشياء بأسمائها) ربمـا جريمة معذورة ولكنها مع ذلك جريمة .

وتجرح شويت رئيس العصابة بخنجر في الوقت المناسب .وباستطاعة اوجين سو الآن ان يتركه يقتلها دونما حاجة الى اي افتاء اخلاقي

لقد ندّت عنه صيحة الم ان الهوى الوحشي للانتقام ،للغضب، للغريزة المتعطشـة للدماء المستيقظة والمهتاجة على حين غرة من جراء هذه الهجمة ، حققت انفجارا مفاجئا مخيفا تمزق فيه عقله المهزوز من قبل. . .
ايتها الافعى لقد شعرت بنابك ستكونين **عديمة البصر مثلي**

وانتزع عينيها

عندما انفجرت طبيعة رئيس العصابة هذه الطبيعة التـي قنعتهـا عناية رودولف بأقنعة الرياء والسفسطة والتنسك فان **الانفجار** قدحدث بصورة اعنف واشد رهبة علينا ان نكون ممتنين لاوجين سـو لتسليمه بأن عقل رئيس العصابة كان مهزوزا جدا نتيجة الاحداث التي رتبها لـه رودولف .

لقد خمدت آخر ومضة لعقله في تلك الصرخة المـرعبة ، في تلـك الصرخة الصادرة عن انسان انـه يرى اشباه ضحايـاه) ان رئيس العصابة يثور ويجار **كالوحش المسعور** انه نعذب **شويت** حتىالموت».

ويهمس الهر زيليخا

لا يمكـن مـع رئيس العصابة ان يحدث ذلـك **التحـول**) السريع والسعيد كما وقع مع شوريمان »

وكما يرسل رودولف **فلور دي ماري** الى الدير ، يرسل أيضا رئيس العصابة الى مأوى العميان الى بيسيتري فقد شل اخلاقه تماما كما شل قوته الجسدية وهو على حـق لان رئيس العصابة ارتكب الاثـم الاخلاقي كما ارتكب الاثم الجسدي وطبقا لنظرية رودولف الجـزائية فان القوى الآثمة يجب أن تدمر ولكن اوجين سو لم يكمل بعد « الندامة والكفارة المصحوبين الانتقام الرهيب ويسترد رئيس العصابـة عقله ، ولكنه يبقى في بيسيسري خوفا من ان يهدم للعدالة ، **ويدعي** الجنون. وينسى المسيو اوجين سو ان كل كلمة قالها كان يجب ان تكون **صلاة** بينما هي أشبه بالعواء الملجلج وهذيان المجنون أو ربمـــا وضع المسيو أوجين سو بشكل ساخر مظاهر الحياة تلك على قدم المساواة مع الصلاة ؟

فكرة العقاب التي نفذها رودولف عندما اوقع العمى برئيس العصابة – عزل الانسان وعزل نفسه عن العالم الخارجي ومشاركة الجزاء القانوني بالتعذيب اللاهوتي – ومحققة بصورة حاسمة في **نظام الزنزانة** وهذا هو السبب في ان المسيو اوجين سو يمجد ذلك النظام

كم من قرون مرت قبل التحقق من أن هناك وسيلة **واحـدة فقط** للتغلب على الجذام الذي يتزايد بسرعة (أي الفساد الاخلاقيفيالسجون) والذي يهدد كيان المجتمع الا وهي العزلة »

ان المسيو سو يشارك الناس المحترمين رأيهم ، هؤلاء الناس الذين يفسرون انتشار الجريمة بتنظيم السجون. ففي سبيل اقصاء المجرم عن المجتمع الرديء ، يترك لمجتمعه الخاص.

يقول اوجين سو:

اعتبر نفسي محظوظا اذ امكن صوتي الضعيف ان يسمع بين كل اولئك الذين يطلبون باستمرار وبحق تطبيقا **مطلقا وكاملا** لنظام الزنزانة ».

وقد تحققت رغبة المسيو سو **جزئيا** فقط. ففي المناقشات التي دارت حول نظام الزنزانة في مجلس النواب هذا العام ، اعترف حتى انصار هذا النظام بأنه سيؤدي عاجلا ام آجلا الى الجنون عند المجرم. فكل احكام السجن لاكثر من عشر سنوات يجب ان تحول اذن الى احكام نفي.

ولو درس كل من توكيفيل وبومون قصة سو بامعان ، فلا بد انهما كانا سيفرضان حتما بالقوة التطبيق المطلق والكامل لنظام الزنزانة. اذا كان اوجين سو يحرم المجرمين العقلاء من المجتمع ليجعل منهم مجانين ، فانه يقدم للمجانين مجتمعا ليجعل منهم عقلاء.

تدل التجربة على ان العزل قاض للمجانين بقدر ما هو مفيد للمجرمين ».

لو ان مسيو سو وبطله النقدي رودولف لم يفقدا القانون ايا من اسراره من جراء **نظام الكفارة الكاثوليكي ، او نظام الزنزانة الميتودي** ★ ، فانهما ، من جهة اخرى ، اغنيا الطب بأسرار جديدة ، ومهما يكن من امر ، فان اكتشاف اسرار جديدة ، يتساويان في الجدارة والكشف عن الاسرار القديمة. ان النقد النقدي في تقريره عن عمى رئيس العصابة يتفق كليا مع المسيو سو.

★ – نسبة الى الميتودية (Methodism) المنهجية. وهي حركة اصلاح ديني قامت في انكلترا عام ١٧٢٩ (المترجم).

عندما اخبروه انه سيفقد نور عينيه لم يصدق ذلك

ان رئيس العصابة لا يستطيع ان يصدق بأنه سيفقد بصره لانــه في الواقع يستطيع ان يبصر بعد ان مسيو سو يصف نوعا جديدا من السواد العيني ويقدم تقريرا عن سر حقيقي لعلم امراض العين الجماهيري غير النقدي

إن الحدقة بيضاء بعد العملية ، **حالة ساد الجســم البلوري للعين** وحتى الآن يمكن ان يكون هذا بالطبع متسببا عن اذى وقع على غلاف الجسم البلوري دون تسبيب ألم كبير ولكن ليس دون ألم قطعا ولكن بما ان الاطباء يحققون هذه النتيجة بطريقة طبيعية فقط لا بطريقة **نقدية،** فان الملجأ الوحيد هو الانتظار حتى يحدث الالتهاب بعد الاذى والمضح الذي يعتم الجسم البلوري

وان معجزة **اعظم** وسرا **اعظم** من ذلك يحدثان لرئيس العصابــه في الفصل الثالث من الكتاب الثالث ان الرجــل الذي كف بصــره **يبصر** مرة ثانيــة

إن **شويت** ، ورئيس العصابــة وتوريلاند **شاهــدوا** الكاهن **وفلوردي مــأري** » .

واذا نحن لم نفسر رؤية رئيس العصابة هــــذه بأنها نوع من **معجزة المؤلف** ، على طريقة **نقد السينوبتيك** ، فلا بد أن رئيس العصابة قد اجرى عملية الساد وفيما بعد يعود أعمى مرة ثانية وهكذا استخدم عينيـــــه عاجلا جدا وتخريش الاشعة سبب لهما الالتهاب الذي ينتهي بشلل **الشبكية والعمى** العضال انه سر آخر لطب العين غير النقدي ، انه يكون في الامكان ان يحدث ذلك في ثانية **واحدة**

ب ـ المكافأة والعقاب (مع جدول)

يكشف البطل رودولف عن نظرية جديدة لصيانة المجتمع عن طريق **مكافأة الابرار ومعاقبة الاشرار** واذا نظرنا الى هذه النظرية نظرة غير نقدية لما بدت لنا الا نظرية مجتمع اليوم الذي نادراً ما ينسى مكافأة الابرار ومعاقبة الاشرار ولشد ما يبدو الشيوعي الجماهيري **أون** غير نقدي اذا ما قورن بهذا السر المتجلي انه يرى في المكافأة والعقاب فقط تكريسا للفوارق في المرتبة الاجتماعية والتعبير الكامل عن الانحطاط العبودي

ويمكن ان نعتبر كشفا جديداً قيام أوجين سو بجعل المكافآت من اختصاص العدالة ــ الملحق الجديد لقانون العقوبات ــ واذ لا نكتفي بتشريع **واحد** ، فانه يبتكر تشريعا **ثانيا** ولسوء الحظ فان هذا السر المتجلي هو ايضا تكرار للمذهب القديم، الذي شرحه **بنتام** بتفصيل في كتابه الآنف الذكر. ومن جهة اخرى فاننا لا نستطيع ان ننازع المسيو سو شرف تبرير وتطوير اقتراح بنتام بطريقة نقدية فترة تتفوق على بنتام نفسه وبينما يضع الانكليزي الجماهيري قدميه على أرض صلبة ، فان استنتاج أوجين سو يرتفع الى الاقاليم النقدية في السماء وتدور حجته كالتالي

إن التأثيرات المفروضة للغضب السماوي هي تتجسد كي ترعب الاشرار فلماذا لا تكون تأثيرات المكافأة الإلهية للابرار مجسدة بطريقة مماثلة ومتوقعة في الارض ؟ »

وفي النظرة **غير النقدية** تنقلب الامور راسا على عقب ان النظرية الإلهية السماوية في الاجرام جعلت النظرية الارضية مثالية تماما كما ان المكافأة الإلهية هي مجرد أمثلة للخدمة المأجورة الانسانية ومن الضروره المطلقة ان المجتمع يجب الا يكافىء كل الناس الابرار بحيث انه سيكون للعدالة الإلهية ميزة على العدالة الانسانية

يقدم مسيو سو في عرضه للعدالة النقدية وهي في المكافأة مثالا عن **العقائدية المؤنثة** التي يجب ان تكون لها صيغة وهي تشكلها طبقا لمقولات **ما هو موجود** هذه العقائدية التي انتقدها الهر ادغار في فلورا تريستان مع كل المعرفة الهادئة ولكن نقطة من قانون العقوبات الحالي الذي يحتفظ به المسيو أوجين سو يخطط نسخة مطابقة اضافية في **قانون المكافآت** المنسوح عنه حتى بجميع تفاصيله وحتى نقدم للقارىء فكرة أفضل عن هذه النقاط فسوف نقدمها مع نظيرها على شكل جدول انظر أدناه)

جدول العدالة التامة نقديا

العدالة القائمة	**العدالة النقدية للكلمة**
الاسم العدالة **الجرائمية**	الاسم العدالة **الفاضلة**
الوصف ترفع بيدها **سيفا** لتقصر الاشرار بمقدار رأس	الوصف ترفع بيدها **تاجاً** لتطيل الابرار بمقدار **رأس**
القصد معاقبة الاشرار ـ السجن ، العار ، الحرمان من الحياة يعطى الشعب علما بالعقوبة الرهيبة.	القصد مكافأة الابرار ـ الحرية، الشرف ضغط الحياة يعطى الشعب علما بالنصر الباهر **للابرار**
وسيلة اكتشاف الاشرار	**وسيلة اكتشاف الابرار**
التجسس البوليسي والمخبرون المكلفون بمراقبة الاشرار	التجسس الفاضل والمخبرون المكلفون بمراقبة **ابرار**
طريقة التأكد فيما اذا كان المرء شريرا	**طريقة التأكيد فيما اذا كان المرء**
محكمة العقوبات تبين الوزارة العامة وتشير الى جرائم المتهم طلبا للثأر العام .	**باراً محكمة فضيلة** تبين الوزارة العامة وتشير الى الاعمال النبيلة للمتهم من أجل الاقرار العام .

حالة المجرم بعد الحكم	حالة البار بعد الحكم
تحت مراقبة البوليس الاعلى . يطعم في السجن تتكبد الدولة النفقة	تحت رقابة المحبة الاخلاقية العليا يطعم في البيت تتكبد الدولة النفقات
التنفيذ : يعلق المجرم على المشنقة	**التنفيذ** تجاه مشنقة المجرم مباشرة تنصب قاعدة يقف عليها رجل الخير العظيم – مشجبة للفضيلة*

يصرح المسيو سو وقد اثاره منظر هذه الصورة

واحسرتاه هذه طوباوية ولكن افترض ان مجتمعا قد **نظم** بهذه الطريقة »

سيكون ذلك **تنظيما نقديا للمجتمع** وعلينا ان ندافع عن هذا التنظيم ضد مأخذ المسيو سو بانه لا يبرح طوباويا لقد نسي سو مرة ثانية « **جائزة الفضيلة** » التي تمنح كل عام في باريس والتي يشير اليها هو نفسه بل ان الجائزة نظمت بشكل مزدوج **جائزة مونتيون** المادية للاعمال النبيلة التي يقوم بها الرجال والنساء ، وجائزة روزير* للفتيات اللواتي يتمتعن بأخلاق طيبة فهناك حتى اكليل الزهور الذي يطالب به أوجين سو

وبقدر ما يتعلق الامر بالتجسس على الفضيلة ورقابة المحبة الاخلاقية العليا فان ذلك قد نظم منذ أمد طويل على يد اليسوعيين والى جانب ذلك فان كثيرا من الصحف مثل **صحيفة المناقشات** ، وصحيفة **القرن** وصحيفة **الاعلانات الصغيرة** في باريس قد اشارت وشجبت الفضائل والاعمال النبيلة لسماسرة باريس يوميا وبثمن باهظ دون أن نأخذ في

---

*المشجبة Pillory الة التعذيب ترفع بواسطتها القدمان (المترجم) .

* روزير فتاة فاضلة نالت اكاليلا من الزهور

حسابنا بيان وشجب الاعمال النبيلة السياسية التي لكل ضرب صجيفته الخاصة بهـــا

لاحظ العجوز **فوس** آن هوميرس افضل من آلهته ويمكن ان يكون رودولف سر كل الاسرار المنكشفة وان نجعل مسؤولا بالتالي عن افكار اوجين سو

وبالاضافة الى هذا يقول الهر آدغار في تقريره

والى جانب ذلك هناك عدة اماكن يقطع فيها اوجين سو السياق القصصي فيقدم او يختتم أحداثا وهي كلها نقدية »

ح ـ القضاء على الانحطاط في الحضارة والباطل في الدولة

ان **الوقاية** القضائية للقضاء على الجريمة وبالتالي علـى الانحطاط داخل الحضارة يقوم على الحراسة الوقائية التي تفرضهـــا الدولة على. اطفال المجرمين الذين أعدموا او الذين حكم عليهم مدى الحياة بريـد أوجين سو ان ننظم توزيع الجرائم بطريقة اكثر ليبرالية فلا يجـوز ان تكون لأية عائلة ميزة وراثية في الجريمة ، فالمناقشة الحرة في الجريمة يجب أن تنتصر على **الاحتقار**

ويقضي المسيو سو على « الباطـل في الدولـة » باصـلاح باب قانون **العقوبات** حول «مكائد الثقة» وعلى الاخص بتعيين **محامين** مدفوعي الاجور **من اجل الفقراء** ويلاحظ انه في بعض الاقطار مثـــل بيدمونت وهولاندا حيث يوجد محامون عن الفقراء فان الباطل ازهق داخـــل الدولة آن التقصير الوحيد للتشريع الفرنسي هو انه لم يشترط الدفع للمحامين ، ولم نقرر الخدمة المقصورة على الفقراء ، وهو نجعل الحـدود الشرعية للبؤس ضيقة جدا فكانما الباطل لا يبدا **في الدعوى** نفسها ،وكانمـا لم يعرف لزمن طويل في فرنسا ان **القانون** لا يقدم لنا شيئا ، بـل يقتصر على تكريس

ما هو لدينا ان التفاضل المسبق التافه سلفا بين **الحق** و **الواقع** يبدو انه لا يزال سرا من اسرار باريس بالنسبة للروائي

إذا نحن اضفنا الى التجلي النقـــدي لأسرار القانـــون ، الاصلاحات الكبرى التي يريد أوجين سو ان ينفذها في مجال ماموري التنفيـذ ، فاننا نفهم الصحيفة الباريسية « الشيطان (Satan) فهنـــاك نرى ان المقيمين في احدى مناطق المدينة ، يكتبون « للمصلح العظيم » انه لا وجود لنور الغاز في الشوارع بعـــد ويجيب المسيو سو انـــه سوف يعالج هذه المسألة في الجزء السادس من كتابه **اليهودي التائه** ويشكو قسم آخر في المدينة من نقص التعليم الابتدائي ويعد سو باصـــلاح التعليـــم الابتدائي اتلك المنطقة من المدينة في الجزء العاشر من **اليهودي التائه**

٤ ــ سر « وجهة النظر المنكشفة »

« لم يحافظ رودولف على وجهة النظر الرفيعة » (!) « انه لا يتهرب من تجشم العناء في ان يتخذ بملء الحرية **وجهة نظر** اليمين او اليسار والاعلى والادنى » (زيليخا)

إن واحدا من الاسرار الرئيسية للنقـــد النقدي هو **« وجهة النظر » والحكم انطلاقا من وجهة النظر** فبالنسبة للنقد كل انسان ، مثل اي منتوج للروح يتحول الى وجهة نظر

ليس اسهل من ان ننفذ الى سر وجهةالنظر عندما ننفذ الىالسر العام للنقد النقدي ، القائم في تسعير الهراء التأملي القديم

لندع النقد ، قبل كل شيء ، يشـــرح نظريته في وجهة النظر » على اسان رئيس اسرته الهر برونوبوير

« العلم ... لا يعالج قط فردا واحدا محددا ! ... وجهة نظر محددة

معطلة انه مع ذلك لن يفشل في **التخلص** من تحديدات اذا كانت جديرة بالعماء واذا كانت هذه تحديدات ذات اهمية انسانية عامة فعلا ولكنه بفهم هذه الحدود على انها **مقولة خالصة** و **تحديد للوعي الذاتي** ، وبالتالي تحاز الى صف اولئك الذين يملكون الشجاعة للارتفاع الى **عمومية الوعي الذاتي** اي الذين لا يرغبون بكل قوتهم ان يبقوا داخل ذلك الحد (الكتاب الثاني من انيكدوتا الصحيفة ٢٧

ان سر شجاعة بوير هذه هو فينوميتولوجيا هيغل بما ان هيغل هنا يضع **الوعي الذاتي** مكان **الانسان** فان الواقع الانساني الاشد تنوعا يظهر كشكل محدد ، كتحديد للوعي الذاتي ولكن مجرد تحديد الوعي الذاتي هو مقولة خالصة » ، مجرد « فكرة استطيع بالتالي ان ألغيها ايضا في التفكير الخالص واذللها ن خلال التفكير الخالص **في فينومينولوجيا هيغل** نجد الاشكال المغتربة للوعي الذاتي الانساني متروكة **كما هي** وهكذا فان كل هذا الكتاب ذي القـــوة التدميرية يؤدي الى **فلسفـــة محافظة اشد المحافظة** ، بحسب انه تغلب على **العالم الموضوعي** ، العالم الحقيقي حسيـا بمجرد تحويله الى شيء فكري ، الى تحديد **للوعي الذاتي** ، ولذلك فانه يستطيع ان يحل نقيضه الذي أصبـح اثيريا في أثير الفـكر الخالص ولذلك فان **الفينومينولوجيا** منطقية تماما عندما تحل في النهاية محل الواقع الانساني « المعرفة المطلقة » ـ **المعرفة** ، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لوجود الوعي الذاتي ، لأن الوعي الذاتي ينظر اليه باعتباره النمط الوحيد لوجود الانسان ، والمعرفة المطلقة للسبب الاساسي وهو ان الوعي الذاتي يعرف **نفسه وحده** ولن يعكره اي عالم موضوعي بعد الآن ان هيغل يجعـــل الانسان **انسان الوعي الذاتي** بدلا من ان يجعل الوعي الذاتي **وعيا ذاتيـا للانسان** ، للانسان الحقيقي للانسان الذي يعيش في العالم الموضوعي الحقيقي ، ويتحدد بواسطة ذلك العالم ان هيغل يجعل العالم يقف **على راسه** ولذلك فانه يحل **في الرأس** كل الحدود التي تبقى في الوجود من اجل

الحسية الشريرة ، من اجل الانسان الواقعي والى جانب ذلك فان كل شيء **يتنكر للحدود العامة للوعي الذاتي** – كل حسية البشر وواقعيتهم وفردية البشر وعالمهم – يعتبر بالنسبة اليه حدا بالضرورة ان كل **الفينومينولوجيا** ترمي الى اثبات شيء واحد وهو ان **الوعي الذاتي هو الواقع** الوحيد ، بل هو **كل الواقع**

ان الهر بوير قد اعاد مؤخرا تعميد المعرفة المطلقة ، النقد ، وتقرير الوعي الذاتي **وجهة نظر** – وهو اسم تتردد اصداؤه دنيوية وفي كتابه (انيكدوتا) نجد كلا الاسمين جنبا الى جنب وتفسر وجهة النظر على انها تقرير الوعي الذاتي

وبما ان « **العالم الديني بصبغته هذه** » يوجد فقط كعالم **الوعي الذاتي** ، فان الناقد ، هذا اللاهوتي بحكم مهنته لا يستطيع ان يلح على فكرة ان هناك عالما يتميز فيه **الوعي والوجود** ، عالما يستمر في الوجود عندما احذف وجوده في الفكر ، وجوده كمقولة او كوجهة نظر ، اي عندما اعدل وعيي الذاتي الخاص دون تغييرالواقع الموضوعي بطريقة موضوعية واقعية؛ وبكلمة اخرى ، دون تغيير واقعي **الموضوعي** وواقع الناس الآخرين ولذا فان **الهوية** الصوفية التاملية **للوجود والفكر** تتكرر في النقد علما ان الهوية لا تقل عن ذلك صوفية **للممارسة والنظرية** وهذا هو السبب في ان النقد يغتاظ من الممارسة عندما ترغب في ان تكون شيئا متميزا عن النظرية ويغتاظ من النظرية عندما ترغب في ان تكون شيئا آخر اكثر من انحلال **مقولة** محددة في « **عمومية الوعي الذاتي اللامحدود** » ونظريته الخاصة مقتصرة على تقرير ان كل شيء محدد هو نقيض عمومية الوعي الذاتي اللامحدودة وتافه بالتالي ، مثلا الدولة او الملكية الخاصة الخ يجب ان يبين على العكس كيف ان الدولة والملكية الخاصة الخ تغير الكائنات الانسانية الى تجريدات ، او انها منتوجات الانسان **المجرد** ، بدلا من كونها

واقع الافراد   واقع الكائنات الانسانية المحسوسة

واخيرا ان من نافلة القول انه اذا كانت **فينومينولوجيا** هيغل، بالرغم من خطيئتها الاصلية التاملية   تقدم بامثلة عديدة عناصر التشخيص الحقيقي للعلاقات الانسانية   فان الهر برونو وشركاه ، لا يقدمون من جهة اخرى الا كاريكاتورا فارغاً   كاريكاتورا يكتفي باشتقاق بعض التحديد من ممسوج للروح   او حتى من العلاقات او الحركات الواقعية   محولا ذلك التحديد الى تحديد للفكر   الى **مقولة**   وجاعلا تلك المقولة وجهة نظر لهذا الشيء المنتوج   للعلاقة ، والحركة حتى ينظر عندئذ الى هذا التحديد بحكمة ناضجة منتصرة من وجهة نظر التجريد ، من المقولة العامة والوعي الذاتي العام

كل الناس حسب راي رودولف يتبنون وجهة نظر الخير والشر ويحاكمون بحسب هذين المفهومين الثابتين

وبالمقابل فان وجهات النظر بالنسبة للهر بوير وشركاه هي وجهة نظر **النقد** او وجهة نظر **الجمهور**   ولكن كلا وجهتي النظر تحول الكائنات **الانسانية الواقعية** الى **وجهات نظر مجردة**

٥ ـ انكشاف سر الانتفاع بالدوافع الانسانية او كليمنص دي هارفيل

لم يكن رودولف حتى الآن قادراً على اكثر من مكافأة الابرار ومعاقبة الاشرار على طريقته   وسوف نرى الآن مثالا عن كيف **يجعل الاهواء** مفيدة و   يقدم بطبيعة كليمنص دي هارفيل الخيرة التطور المناسب

يقول الهر زيليخا   يوجه رودولف اهتمامه الى الجانب **المتمع** للاحسان ، وهي فكرة تشهد على معرفة الكائنات الانسانية لا يمكن ان تنشأ في نفس رودولف الا بعد ان مرت بالمحنة

والتعابير التي يستخدمها رودولف في حدثة مع كليمنص **«يستخدم الذوق الطبيعي»** و **«يجعله جذاباً» «لينظم مكيدة»** «**«ليستخدم نزعة الرياء والنفاق» «ليحول الغرائز العنيدة والمستبدة الى صفات كريمة»**. . الخ بصورة لا تقل عن **الدوافع** الفعلية التي تعزى على الاغلب هنا الى طبيعة المرأة، عن المصدر السري الذي يستمدمنه رودولف حكمته وهو **فورييه** لقد عثر بالمصادفة على عرض شعبي لمذهب فورييه

مرة اخرى نجد ان **تطبيق** هذه النظرية يخص رودولف بقدر تطبيق نظرية بنتام الذي شاهدناه أعلاه

ولا تجد المركيزة الشابة في الاحسان بحد ذاته ارضاء جوهرها الانساني، وهدف نشاطها، وبالتالي ملذاتها ان الاحسان على العكس، يوفر المناسبة الخارجية فقط، **الذريعة** فقط، **المادة** فقط من اجل نوع من اللذة التي يمكن ان تستخدم اي مادة اخرى كمضمون لها لقد جرى استغلال البؤس عن وعي لتزويد الشخص المحسن «بالظريف في الرواية، واشباع الفضول والمغامرة والمكائد ومتعة ميزته العصبية، وما اشبه ذلك».

ولذلك عبر ردولف دون وعي عن سر معروف منذ امد طويل وهو ان البؤس الانساني نفسه، الحرمان المطلق الذي يحمل على قبول الصدقات، يجب ان يستخدم **كلعبة** بين ايدي الارستقرارية المالية والثقافية لارضاء حبها الذاتي ومداعبة غرورها وامتاعها

ان جمعيات الاحسان العديدة في المانيا، وفي فرنسا، والعدد الجم لجمعيات الاحسان الدونكيشوتية في انكلترا، والحفلات الموسيقية والحفلات الراقصة، والمباريات الرياضية وحفلات الطعام للفقراء، وحتى التبرعات العامة للتعويض على ضحايا الكوارث، ليس لها هدف آخر غير الذي اشرنا اليه . وهكذا يبدو ان الاحسان قد نظم من زمن بعيد ليكون تسلية .

ان تحول المركيزة الفجائي الـذي لا داعي له لـدى سماعها كلمـة تسلية فقط تجعلنا نشك ان شقاءها سوف تستمر او بالاحرى ان هذا التحول فجائي ولا باعث له في المظهر فقط ، والسبب الظاهري لـــه هو فقط وصف الاحسان بانه تسلية . ان المركيزة **تحب** رودولف ورودولف يريد ان يتنكر **معها** ان يلعب وان ينخرط في مغامرات احسانية وفيما بعد عندما تقوم المركيزة بزيارة احسانية لسجن سان لازار ، تصبح غيرتها من **فلور دي ماري** واضحة وبدافع الاشفاق على هذه الغيرة ، نراها تخفي عن رودولف حقيقـــة سجن ماري وقـــد نجح رودولف بأحسن الاحوال ، في تعليم امرأة تعيسة ان تمثل ملهاة سخيفة مع كائنات تعيسة. ان سر الخير الانساني الذي دبره قد كشفه الانيــق الباريسي الـذي يدعو شريكته لتناول العشاء بعد حفلة الرقص بالكلمات التالية

آه مدام ، لا يكفي ان نرقص لمصلحة هؤلاء البولونيين الفقراء دعينا نقم بالخير الانساني الى النهاية فلنتناول العشاء الآن **لمصلحة الفقراء ! »** .

٦ ـ تجلي سر تحرر المرأة او لويزموريل

بمناسبة اعتقـال لويز موريـل يعوص رودولف في تامـلات يمكـن تلخيصها كالتالي

ان السيد يفسدالخادمة غالبا اما بالخوف او بالمفاجأة اوباستخدام ظروف اخرى تهيئها **طبيعة احوال الخدم** انه يدفعها الى البؤس والعار والجريمة **ولا يأخذ القانون هذا بعين الاعتبار** فالمجرم الذي يدفع بشكل عملي فتاة الى قتل طفلها **لا يعاقب** »

ان افكار رودولف لاتصل الى درجة جعل **حالة الخدم** موضوعا لنقده الكريم. ولكونه حاكما **صغيرا** هو نفسه، فهو مدافع **عظيم** عن حالة الخدم. وانه ليعمل اقل من ذلك علـى ان يستوعب الحالـة العامة لنساء المجتمع

الحديث على انها حالة غير انسانية ولما كان مخلصا في كل المجالات لنظريته السابقة ، فانه يعترض فقط على حقيقة انه ليس هناك **قانون يعاقب** الفاوي ويجمع الندم والكفارة مع التأديب

واحتاج فقط ان يبحث في تشريع الاخطار الاخرى والقوانين **الانكليزية** تحقق كل رغباته ان هذه القوانين تصل في رهافتها التي يطريها **بلاكستون** الى حد الاعلان عن ان اغواء العاهرة **معصية**

ويصرخ الهر زيليخا بصوت منغم

« هكذا » (!) « يفكر » (!) — « رودولف » (!) « الآن قارن هذه **الافكار** مع **اوهامك** عن **تحرر المرأة** فأنت تستطيع ان تشعر بواقع ذلك التحرر في هذه الافكار بيديك ، ولكنك عملي جدا في تربيتك ، وهذا هو سبب فشل محاولاتك »

وعلى اي حال يجب ان نشكر الهر زيليخا لكشفه سر ان الوقائع يمكن الشعور بها في الافكار باليدين اما بالنسبة لمقارنته المسلية لرودولف مع الرجال الذين راحوا ينادون بتحرر المرأة فان تلك **الافكار** يجب ان تقارن مع « الاوهام » التالية لفورييه

« الزنا والاغواءهما من رصيد الفاوي ، وهما من صفات الظرف ولكن يا للفتاة الفقيرة قاتلة طفلها يا لهول الجريمة اذا كانت تتمسك بالشرف فيجب عليها ان تزيل كل آثار اللاشرف ولكن اذا ضحت بطفلها لمستبقات العالم فان عارها يكون اعظم وتكون ضحية مستبقات القانون . . . هذه هي **الدائرة الاثيمة** التي ترسمها ميكانيكية الحضارة »

ليست الابنة الصغيرة سلعة معروضة للبيع لاول راغب يريد ان يحصل على ملكيتها الحصرية تماما كما ان في القواعد كل انكارين يساويان تاكيدا ، كذلك يمكن ان نقول انه **في عملية الزواج فان بغائين يساويان فضيلة »** .

ان التغير في مرحلة من مراحل التاريخ يمكن ان يحدده تقدم المراة نحو الحرية ، لان في علاقة المراة بالرجل ، علاقة الضعيف بالقوي نجد ان انتصار الطبيعة الانسانية على الظلم اكثر وضوحا ان درجة تحرر المراة هي المقياس الطبيعي للتحرر العام

ان اذلال جنس الانثى هو سمة اساسية للحضارة كما كان سمة للبربرية والفارق الوحيد هو ان النظام الحضاري يرجع الى نمط وجودي مركب وملتبس ومنافق ، كل نقيصة كانت البربرية تمارسها في شكل بسيط فلا احد يعاقب على ابقاء المراة عبدة اكثر من الرجل نفسه **(فورييه)** .

ان من النافل ان نقارن افكار رودولف بالتشخيص الفذ **للزواج** الذي قدمه فورييه ، او بمؤلفات القطاع المادي للشيوعية الفرنسية

ان النفايات الاشد تفاهة للادب الاشتراكي التي نجد عنها عينة عند هذا القصصي ، تكشف اسرارا لا تزال مجهولة بالنسبة للنقد النقدي.

٧ ـ تجلي اسرار الاقتصاد السياسي

آ ـ التجلي النظري لاسرار الاقتصاد السياسي

التجلي الاول الثروة تقود غالبا الى الفساد ، والفساد الى الدمار.

التجلي الثاني ان آثار الثروة التي رأيناها لتونا تأتي من نقص الثقافة عند الشباب الاغنياء

التجلي الثالث **الوراثة والملكية الخاصة** شيئان مقدسان لا انتهكان **ويجب** أن يكونا كذلك

التجلي الرابع الرجل الغني مضطر **اخلاقيا** ان يقدم حسابا للعمال عن استعمال ثروته . الثروة الضخمةهي وديعة وراثية ـ ملكية اقطاعية ـ

محصورة بالايدي الشهمة الماهرة الثابتة الذكية المكلفة التي ترى من واجبها في الوقت نفسه ان تجعل هذه الثروة مثمرة وتستخدمها بحيث ان كل ما يملك **سعادة** ان يكون في حقل التألق المفيد والساطع لتلك الثروة يجب ان يثمر ويحيي ويحسن

التجلي الخامس يجب ان تقدم الدولة للشباب غير المجربين **مبادىء** الاقتصاد الفردي يجب ان تجعل الثروة اخلاقية

التجلي السادس اخيرا يجب على الدولة ان تعالج المسألة الضخمة **لتنظيم العمل** ، يجب ان تقدم مثالا مفيدا **لتعاون رأس المال والعمل** ، للتعاون الشريف الذكي المقبول لصيانة رفاه **العامل** دون الاضرار **بثروة الغني** انه تعاون يوطد **روابط** العاطفة بين هاتين الطبقتين وهكذا تضمن الهدوء في الدولة **الى الابد** .

وبما ان الدولة لم توافق على هذه النظرية في الوقت الحاضر فان **رودولف** نفسه يقدم بعض الامثلة العملية ، التي تكشف السر عن ان معظم **العلاقات الاقتصادية** المعروفة جيدا والمنتشرة انتشارا واسعا لا تزال اسرارا بالنسبة للمسيو سو والهر رودولف ، والنقد النقدي

ب ــ « مصرف الفقراء »

يؤسس رودولف **مصرفا للفقراء** والنظام الاساسي لمصرف الفقراء النقدي هذا هو كما يلي

يجب ان نقدم المعونة للعمال الشرفاء ذوي العائلات خلال فترات البطالة يجب ان يحل مكان الصدقات ومكاتب الرهون يجب ان يكون تحت تصرفه دخل سنوي قدره ١٢,٠٠٠ فرنك وتوزع قروضا كمساعدة دون فائدة من ٢٠ الى ٤٠ فرنكا وفي البدء يمد نشاطه فقط الى **مديريات** باريس السبع حيث يعيش معظم العمال ان العمال والعاملات المستفيدين من هذه المساعدة يجب ان يحصلوا على شهادة من آخر مستخدم

لهم تشهد بحسن سلوكهم وتبين سبب انفكاكهم عن العمل وتاريخ هذا الانفكاك وهذه القروض تدفع بنسبة ١/٦ أو ١/١٢ من المبلغ حسب رغبة المدين بدءا من اليوم الذي يجد فيه عملاً مرة ثانية ويمكن ضمان الدين بتعهد المدين بكلمة شرف والى جانب ذلك يشهد عن اداء اليمين اثنان من العمال الآخرين وبما أن الفرض النقدي لمصرف الفقراء هو علاج سواة من اعظم السوءات المريرة في حياة العمال — **الانقطاع عن العمل** — فان المساعدة يجب أن تمنح فقط للعمال اليدويين العاطلين عن العمل اما المسيو جرمين مدير المؤسسة فيحصل على مرتب سنوي قدره عشرة آلاف فرنك

والآن لنلق نظرة جماهيرية على النشاط العملي للاقتصاد السياسي النقدي ان الدخل السنوي هو ١٢٫٠٠٠ فرنك والمبلغ المقترض هو من ٢٠ الى ٤٠ فرنكا للشخص الواحد ، اي بمعدل ٣٠ فرنكا وعدد العمال المحتاجين في المديريات السبع المقترض لهم رسميا على انهم محتاجون هو الآن على اقل تقدير ٤٫٠٠٠ ولذا ففي السنة ٤٠٠ فقط ، او عشر العمال المحتاجين في المديريات السبع يمكن ان يستلموا معونة ولو قدرنا **المدة التقريبية** للبطالة في باريس باربعة اشهر ، اي ١٦ اسبوعا ، فاننا نكون فعلا دون الرقم الرسمي ان ثلاثين فرنكا تقسم على ١٦ اسبوعا تعطي حوالي ٣٧ قرشا و ٣ سنتيمات في الاسبوع ، اقل حتى من ٢٧ سنتيما في اليوم والنفقة اليومية **للسجين الواحد** في فرنسا هي فوق ٤٧ سنتيما بقليل ؛ وحوالي ٣٠ سنتيما تنفق على الطعام وحده ولكن العامل الذي يدفع له المسيو رودولف اعانة يملك عائلة ودعنا ناخذ معدل العائلة على اساس رجل وزوجة وطفلين ، فذلك يعني ان ٢٧ سنتيما يجب ان تقسم على اربعة اشخاص ومن هذا المبلغ يجب ان نطرح اجرة السكن — وادنى اجرة هي ١٥ سنتيما في اليوم وهكذا يبقى ١٢ سنتيما ان كمية **الخبز** المتوسطة التي يحتاجها سجين واحد تكلف ١٤ سنتيما ولذلك ، فحتى لو اهملنا كل الحاجات الاخرى ، فان العامل واسرته لن يستطيعوا شراء ربع كمية الخبز التي يحتاجونها بالمساعدة التي حصلوا عليها من المصرف النقدي للفقراء انهم سوف يجوعون بالتاكيد اذا هم

لم يعودوا الى الوسائل التي رمى المصرف الى تجنبها ـ الرهون والشحاذة واللصوصية والدعارة
وحده لتمكين العمال من ان يعيشوا طوال العام

اما مدير مصرف الفقراء ، من جهة ثانية ، فانه في الاغلب ، رجل النقد الذي لا يرحم ان الدخل الذي يديره هو ١٢٫٠٠٠ فرنك ومرتبه هو ١٠٫٠٠٠ ولذلك فإن نفقات الادارة هي ٤٥ ٪ من مجموع المبلغ

ودعنا نفترض مؤقتاً ان المساعدة التي تقدمها مصرف الفقراء هـي مساعدة حقيقية ، وليست معونة وهمية في تلك الحالة فان مؤسسة سر الاسرار المتجلي تقوم على الوهم بأن توزيعا مختلفا للاجرة ضروري
واذا ما تحدثنا بالمعنى المألوف ، فان دخل ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ عامل فرنسي لا يعادل اكثر من ٩١ فرنكا للشخص الواحد ، ودخل ١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ الآخرين هو ١٢٠ فرنكا ، وان ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ على الاقـل لا يصل مدخـولهم الـى الحد الادنى للحياة

ان فكرة المصرف النقدي للفقـراء ، اذا ما اخذناها بعيـن الاعتبار ، بصورة معقولة ، تؤدي الى ما يلي خـلال الفترة التي يشتغل بها العامل يحسم من اجرته بقدر ما يحتاجه للحياة خلال فترة البطالة والامر سواء فيما اذا قدمت له مبلغا معينا خلال فترة بطالته ويعيده عندما يعود الـى العمل ، او يدفع مبلغا معينا عندما يعمل ، وانـا أعيده اليه عندما يكـون عاطلا عن العمل وفي كلا الحالين فانه يدفع لي عندما يعمل ما يأخذه مني عندما يكون عاطلا عن العمل

وهكذا يختلف **مصرف الفقراء** « الخالص » عـن **مصارف التـوفير** الجماهيرية في صفتين اصيلتين جدا ، في صفتين تقديتين جدا الصفة الاولى هي ان ذلك المصرف يقرض المال على انه رصيد ضائع (à fonds perdus) اعتمادا على الافتراض السخيف ان العامـل يستطيع ان يعيده اذا هـو

اراد ، وهو دائما يريد ان يعيده اذا استطاع والصفة الثانية هي ان المصرف لا يدفع فائدة على المبلغ الذي يدخره العامل وبما ان هذا المبلغ يتخذ شكل سلفة فان المصرف يعتقد انه يعمل لصالح العامل بعدم تكليفه باي فائدة له

ان الفرق بين مصرف الفقراء النقدي ومصارف التوفير الجماهيرية هو اذن ان العامل يخسر فائدته والمصرف يخسر رأس ماله

ح ـ مزرعة نموذجية في بوكيفال

يؤسس رودولف **مزرعة نموذجية في بوكيفال** واختيار المكان موفق جدا باعتبار انه لا يزال يمتعنا بذكريات العهود الاقطاعية في صورة العزبة الاقطاعية

وكل رجل من الرجال الستة الموظفين في هذه المزرعة يتقاضى ١٥٠ ريالا (Ecus) او ٤٥٠ فرنكا في السنة ، بينما لاتحصل النساء على اكثر من ٦٠ ريالا او ١٨٠ فرنكا وفيما عدا ذلك يحصلون على طعام وسكن مجاني وتتالف الوجبة العادية اليومية لسكان بوكيفال من طبق «هائل» من لحم خنزير ومثله طبق من لحم الضان ، واخيرا من قطعة لا تقل عن ذلك ضخامة من لحم العجل مشفوعة بنوعين من سلطة الشتاء ، وقطعتين كبيرتين من الجبنة والبطاطا وعصير التفاح الخ وكل رجل من الرجال الستة يقدم ضعفي عمل العامل الزراعي الفرنسي العادي

وبما ان مجموع الدخل السنوي المنتج في فرنسا عندما يقسم بالتساوي لن يصل الى اكثر من ٩٣ فرنكا للشخص ، وبما أن العدد الاجمالي للمواطنين العاملين مباشرة في الزراعة هو ثلثا سكان فرنسا ، فسيبدو مدى الثورة التي تحدثها المحاكاة العامة لمزرعة خليفتنا الالماني النموذجية ، وفضلا عن ذلك في انتاج الثروة القومية ايضا

وطبقا لما قيل فان رودولف انجز هذه الزيادة الضخمةفيالانتاج فقط

بجعله كل عامل يعمل ضعفي ما كان يعمله سابقا ويأكل ستة اضعاف ما كان يأكله من قبل

إن الفلاح الفرنسي مجد تماما ، والشغيلة الذين يعملون **ضعفين** يجب ان يكونوا **عمالقة فوق قدرة البشر** ، كما تشير الى ذلك صحون اللحم الهائلة » ولذا يمكننا ان نفترض ان كل رجل من الرجال الستة يأكل يوميا رطلا من اللحم*

لو ان اللحم الذي تنتجه فرنسا وزع بالتساوي فلن يكون هناك حتى ربع رطل للشخص الواحد في اليوم اذن من الواضح مدى الثورة التي ستسببها قدوة رودولف في هذا المجال ايضا

ان السكان الزراعيين وحدهم سوف يستهلكون من اللحم اكثر مما تنتجه فرنسا ، بحيث ان فرنسا نتيجة هذا الاصلاح النقدي سوف تحرم من المواشي كليا

ان خمس المنتوج الاجمالي ، الذي سمح به رودولف ـ طبقا لتقرير مدير بوكيفال الاب شاتيلان ـ العمال بالاضافة الى الاجر المرتفع والطعام الفاخر ، ليس اكثر من **ريعه العقاري** ان من المفروض طبقا للحسابات الوسطية انه ، بعد طرح نفقات الانتاج والربح على الرأسمال المنفق ، فان خمس الانتاج العام يبقى لملاك الارض الفرنسيين ، اي ان معدل الريع العقاري للمنتوج العام هو واحد الى خمسة مع انه مما لا ريب فيه ان رودولف ينقص ولا شك الربح على الرأسمال المنفق فوق كل نسبة عن طريق زيادة نفقات العمال بصورة تتجاوز كل الحدود ـ طبقا لشابتال (**الصناعة الفرنسية** الصفحة ٣٢٩ فان معدل الدخل السنوي للعامل الزراعي الفرنسي هو ١٢٠ فرنكا ـ ومع انه يهب كل ريعه العقاري للعمال، فان الاب شاتيلان يكتب في تقريره ان الامير ضاعف بذلك دخله وبهذا يحرض ملاك الارض غير النقديين على انشاء مزارع بالطريقة نفسها .

---

* بالطبع الرطل الانكليزي (المترجم)

وليست مزرعة بوكيفال النموذجيـــه سوى وهـــم حيالي ولي راسمالها المستر ارضا **طبيعية** لمقاطعة بوكيفال ، انها محفظة فورتونتس* السحرية التي يملكها رودولف

وفي هذا المجال يصرح النقد النقدي

منذ النظرة الاولى انت ترى ان الخطة الشاملة **ليست طوباوية** »

نقد النقدي وحده يستطيع ان يرى منذ النظرة الاولى في محفظة فورتونتس انها ليست طوباوية

ان النظرة الاولى هي نظرة عين الشيطان

٨ ـ رودولف « سر الاسرار المتجلي » .

الوسيلة العجالبية التي بواسطتها ينجز رودولف كل عملياته الانقاذية ومعالجاته الشافية ليست كلماته الجميلة ، وانما **ماله الجاهــز** وكذلك هم الاخلاقيون ، كما يقول فورييه فيجب ان تكون مليونيرا حتى تستطيع ان تقلدهم

الاخلاق هي العجز الموضوع العمل* فهي كل مرة تحارب فيها الجريمة تكون الاندحار حليف الاخلاق ورودولف لا يرتفع الى موقف الاخلاق المستقلة القائم على وعي **الكرامة الانسانيـــة** في اضعف الايمان بل العكس ، فان اخلاقه تقوم على وعي **الضعف الانساني** ، اخلاقه اخلاق **لاهوتية** ولقد تحرينا بالتفصيل الاعمال البطولية التي انجزهـــا **بأفكاره المسيحية الثابتة** التي بواسطتها يقيس العالم ، **وباحسانـــه ، وآخلاصه ، وانكاره الذاتي وكفاءته** ، وبـأناسه الصالحين والشريرين ، ومكـــافآته وعقابه ، وقصاصه الرهيب ، وعزلته وخلاص النفس عنده الخ لقد

*** فورتونتس شخصية وهمية في الاساطير الالمانية ومحفظته مليئة بالنقود دائما (المترجم)**

*** من كتاب فورييه « نظرية الحركات الاربع والمصائر العامة » .**

اثبتنا انها ليست سخيفة وكل ما يجب ان نعالجه هنا الآن هـــو السمة **الشخصية** لرودولف « سر الاسرار المتجلي » أو السر المتجلي « النقـــــد **الخـالص** »

ان التعارض بين الخير » و الشر يواجه هرقل النقـدي عندما كان في صباه بعد ، في شكلين مشخصيــن « **مورف** » و بوليدوري » ، وهما معلما رودولف الاول يربيه على الخير فهو خير والثاني يربيه على الشر فهو شر بحيث ان هذا المفهوم لا نكون مطلقا ادنى تفاهـة من المفاهيم المشابهة في القصص الاخرى ، فمورف ، الذي شخص «**الخير**» لا يمكن ان يكون « متعلما » او على الاخص «موهوبا فكريا» بصورة خاصة. ولكنه **شريف ، بسيط** ، وصموت انه سعر بأنه عظيم عندما يطبق على السر هذه الكلمات العنيفة مثل حمير أو بذيء و رتعب » من كل شيء **خسيس** واذا استخدمنا تعبير هيغل قلنا أنه نقيم الخير والحقيقة في أنغام متساوية ، اي في **نوتة واحدة**

اما **بوليدوري** فهو على العكس من ذلك معجزة في الذكـــاء والمعرفة والثقافة ، وفي الوقت نفسه ، في اللااخلاقية الخطيرة » ، وهو تتحلى بما لا ستطيع ان يسماه أوجين سو كعضو من اعضاء البرجوازية الفرنسيـة الفتية الورعة – « الشكلية **الاشد** هولا ونستطيع ان نحكم على الثقافة والطاقة الاخلاقية لاوجين سو وبطله من خوفهما الجنوبي من **الشكلية**

نقول الهر زيليخا مورف هـــو في الوقت نفسه الاثـم السرمدي للثالث عشر من كانون الثاني والفداء الابدي لذاك الاثم بفعل حبـــه الذي لا مثيل له وتضحيته الذاتية من أجل شخص رودولف »

وكما ان رودولف هو النهاية السعيدة (Deux ex machina)

ووسيط العالم فان مورف هو النهاية السعيدة ووسيط رودولف

« رودولف وانعتاق الجنس البشري ، رودولف وتحقيـــق الكمال

الجماهيري للبشرية ، كل ذلك بالنسبة لمورف وحدة لا تنفصل ، وحـــدة يكرس نفسه لها ليس كالتكريس الكلبي الغبي للعبد ، بل تكريس عن معرفة واستقــلال »

وهكذا فان مورف عبد مستقل متنور مثقف ومثـــل أي خادم من خدم الامير يرى في سيده تجسيداً لانعتاق البشرية **وغرون** يتملق مورف بهذه الكلمات «ايها الحارس غير الهياب» ويدعوه رودولف نفسه **الخادم النموذجي** ، وهو فعلا **خادم نموذجي** وينادي مورف رودولف باحترام بـ: « صاحب السيادة » عندما يكون منفرداً به اما بحضور الآخرين فيدعوه سيدي » بشفتيه ليحافظ على تخفيه ، ولكنه يقول « صاحب السيادة » في قلبه .

يساعد مورف في كشف النقاب عن الاسرار، ولكن من أجل رودولف فقط انه يساعد على تحطيم قوة السر

ولكن لكثافة النقاب التي يغلف به أبسط اشياء هذا العالم ان تظهر من محادثته مع المبعوث غرون ومن الحق الشرعي في الدفاع عـن النفس في حالة الضرورة يستنتج ان رودولف ، كقاض **للمحكمــة السريــة** ، كان مخولا ان يعمي رئيس العصابة ، مع ان الاخير كان في الاصفاد و « لا حول له » ووصف كيف سيتحدث رودولف عن اعماله « النبيلة » امام محكمة الجنايات والبلاغة والعبارات الجميلة التي سوف يستخدمها وكيف يترك قلبه الكبير يتدفق ، كان يمكن ان يكتب من قبل **طالب** بعد قراءة مسرحيــة **اللصوص** لشللر ان الشر الوحيد الذي يترك مورف للعالم حله هو فيمـا اذا كان قد سود وجهه بغبار الفحـــم أم بالدهان الاسود عندمـا لعب دور الفحــــــام .

سوف تخرج الملائكة ويفرزون الاشرار من الابرار » (متى ١٣، ٤٩)
« شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر ، ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح » (رسالة بولس الى أهل رومية ٢، ٩ ــ ١٠) .

ان رودولف يجعل نفسه واحدا من أولئك **الملائكة** انـه يخرج الى **العالم ليفرز** الاشرار من الابرار ، ليعاقب الاشرار ويجيز الابرار **وهكذا تغلغل** مفهوم الخير والشر عميقا في دماغه الهزيل بحيث انه يؤمن **فعـــلا** بالشيطان المجسد . ويريد الامساك بابليس حيا كما فعل **البروفسورساك** مرة في بون ويحاول من جهة اخرى ان يسمح على نقيض الشيطان وهــو **الله** • انه يحب ان يلعب قليلا دور العناية الإلهية وكما تتمظهر في **الواقع كل** الفروق اكثر فاكثر في الفرق بين **الغني والفقير** هكذا ايضـــا تنحـــل كل الفروق الارستقراطية في الفكرة في التعارض بين **الخير والشر** هذا التمييز هو الشكل الاخير الذي يمنحه الارستقراطي لأوهامه ويصنف رودولف نفسه على انه صالح ويعتقد ان الشرير موجود ليعطيه الرضا الذاتي عــن امتيازه فلنلاحظ بعين الاعتبار تسجيله الخير بشكل اكثر دقة

ان الهر رودولف يمارس الاحسان والخلاعة على غرار خليفة بغداد في **الف ليلة وليلة** انه لا يستطيع ان يعيش هذا النوع من الحياة دون امتصاص دم مقاطعته الصغيرة في المانيا حتى النقطة الاخيرة مثل الهامة* وكما يخبرنا المسيو سو ، فقد كان يجب ان يكون بين الامراء الالمان الذين كانــوا ضحايا الوساطة ، لو لم ينقذه مركيز فرنسي من التنازل الاجباري ويقدم لنا هذا فكرة عن حجم اراضيه . ونستطيع ان نكمل فكرة اعمق عن رودولف وكيف يطري نقديا **وضعه الخاص** عن طريق واقع انه ، وهو الامير الالماني القاصر ، يعتقد انه من الضروري ان يحيا في باريس نصف متنكر حتى لا يحاول ضجة . وقد أخذ **مستشاره** خصيصا معه لعرض نقدي هو أن يظهر بواسطته على الجانب المسرحي والصبياني للسلطة الحاكمة . وكان الامير الالماني الصغير احتاج ممثلا آخر للجانب المسرحي والصبياني للسلطة الحاكمة غيره وغير مرآته وقد نجح رودولف في اغراق بطانته في **سوء الفهم الذاتي النقــدي** نفسه وهكذا فان خادمه **مورف** ومبعوثه **غرون** لم يلاحظا كيف يهزأ منهما المحامي

---

* طائر خرافي يخرج ليمص دماء النائمين (المترجم) .

الباريسي المسيو بادنيو عندما ندعي ان نأخذ عملهما الشخصي على انه شأن من شؤون الدولة ويثرثر هازئا عن العلاقات السرية التي يمكن ان توجد بين معظم المصالح المختلفة ومصائر امبراطوريات يقول مبعوث رودولف « نعم لقد كان من الصفاقة بحيث انه كان يقول لي أحيانا كم هناك من تعقيدات في سياسة دولة شعبها لا يعرف عنها شيئا ! من يعتقد، ايها الهر بارون ، ان الملاحظات التي سلمتك إياها سيكون لها تأثيرها ولاشك على مجرى الشؤون الاوروبية ؟ »

ولم يجد المبعوث ومورف من الصفاقة ان التأثير على الشؤون الاوروبية يعزى اليهما ، ولكن بادنيو يجعل بهذه الطريقة حرفته الدنيئة مثالية

فلنتذكر أولا مشهدا من مشاهد حياة رودولف البيتية ان رودولف يخبر مورف انه كان يملك لحظات من الكبرياء والنعمة » وبعد ذلك مباشرة سيستشيط غيظا لان مورف لا يريد ان يرد عن سؤال طرحه «إني آمرك ان تتكلم » ولا ينصاع مورف يقول رودولف «أنا لا أحب الصمت» وينساق مع الابتذال وينوه بانه يدفع لمورف لقاء كل خدماته ولا يعود اليه هدوؤه حتى يذكره مورف بالثالث عشر من كانون الثاني وان طبيعة مورف الخانعة تؤكد ذاتها بعد دقيقة من النسيان ويقتلع « الشعر » الذي لا يقتنيه لحسن الحظ وييأس لانه كان فظا مع سيده الرائع الذي سماه « الخادم النموذجي » و العجوز الطيب مورف المؤمن »

بعد هذه العينات عن الشر يكرر رودولف فكرته الثابتة عن الخير والشر ويعلن عن التقدم الذي يحققه في الخير. وهو يدعو الصدقة والشفقة المغريات الطاهرة الورعة لروحه الجريحة وان يكون من قبيل الهول والعقوق والدنس ، ان تذل تلك الصفات مع الكائنات الحقيرة المرفوضة وبالطبع ان الصدقات والشفقة هي مغريات لروحه وهذا هو السبب في انه يكون من الدنس تدنيسها فسوف يكون ذلك « إيحاء بالشك في الله ، ومن

يهب يجب أن يجعل الناس تؤمن به » فتقديم الصدقات آلى امرىء منبوذ هو عمل لا يمكن التفكير به .

يعتبر رودولف اي حركة لنفسه ذات اهمية مطلقة وهذا هـــو السبب في انه يلاحظ هذه الحركات باستمرار ويقدرها

وهكذا فالاحمق يعزي نفسه بقدر ما يتعلق الامـر بمورف بتحقيقه تأثره بفلوردي ماري لقد تاثرت حتى ذرفت الدمـوع ، واتهمت بأنني صجر ، قاس ، جلف وبعد ان يثبت طيبته الخاصة ، يزداد ضعفا على الشر وعلى فساد أم ماري المجهولة ، ويقـــول بكل ما يملك من وقار لمورف انت تعلم ان بعض الثارات عزيز علي ، وان بعض الآلام غالية عندي واثناء حديثه يصطنع ضحكات شيطانيه تدب الرعب في قلب خادمه الامين فيصرخ من الخوف «واحسرتاه يا صاحب السيادة هذا السيد العظيم يشبه اعضاء « انكلترا الفتاة* » الذين هم ايضا يرغبون في اصلاح العالم منفذين اعمالا عظيمه نبيلة ، وهم ايضا مثل هذا السيـــد العظيم عرضه لتوبات هستيرية

وأننا نجد اولا في طبيعة رودولف المغامرة تفسيرا للمغامرات والاوضاع والتنكر وفضوله » « لا يرتوي » وهو يشعر بالحاجـــة « آلى الاحاسيس والتنكر وفضوله لا يرتوي وهو يسعر بالحاجة الى الاحاسيس القوية المثيرة » ، وهو « تواق للهيجانات العصبية العنيفة » .

وطبيعته هذه يردفها ميله الى أن يلعب دور العناية الإلهيـــة وينظم العالم وفق افكاره الثابتة .

وموقفه من الاشخاص الآخرين يتحدد إما بفـــكره ثابتة مجـردة او بدوافع شخصية عرضية تماما

---

* مجموعة من حزب التوريين وقفوا ضد مصالح الطبقه في البيان الشيوعي تحت عنوان الاشتراكيه الاقطـ (المترجم)

فهو يحرر الطبيب الزنجي دافيد وحبيبته ، مثلا ، لا بدافع العاطفة الانسانية المباشرة التي توحيان بها اليـــه ، لا ليعتقهما ، بـل ليلعب دور العناية الإلهية امام و بلز المستعبد وليعاقبه على عدم ايمانه بالله وبالطريقة ذاتها يبدو له رئيس العصابـة مرسلا من قبـل الله ليطبق عليـــه نظريته الجزائية التي تساها منذ مدة طويلة وحدث مورف مع المبعوث يقدم لنا فرصة بحث بعمق من جانب آخر في الدوافع الشخصيـة الصافية التي تحدد احصال رودولف النبيلة

ان اهتمام الامير بالوردي ماري يقوم ، كمـــا نقــول مورف ، ((الى جانب)) السفقة التي تستدرها الفتاة المسكينة منه ، على حقيقة ان الابنة التي سبب فقدها ألما مريرا له، يمكن ان تكون في مثل سنها وعاطفة رودولف تجاه المركيزة دي هارفيل لها الى جانب مزاجه الخيري ، اساس شخصي هو انه لولا المركيز الفدنم وصداقته للامبراطور الكسندر ، لشطب اسم والد رودولف من صف الحكام الالمان

وحدبه على مدام جورج واهتمامه بابنها جرمان له الباعث نفسه ان مدام جورج تنتمي لاسرة هارفيل

مدام جورج تدين بحدب سموه الذي لا تنقطع لفضائلها ومصائبها افل منها بهذه القرابة »

ويحاول مورف المدافع عنه ان يقنع التباس دوافع رودولف بتعابير من ال قبل كل شيء و الى جانب ذلك و ليس اقل من

ان كل خلق رودولف يمكن ايجازه بالنفاق الخالص » الـذي تدير به كي يرى ويجعل الآخرين يرون في انفجارات انفعالاته الشريرة انفجارات على أهواء الاشرار بطريقة مشابهة لتلك التي تقدم بها النقد النقدي غباواته الخاصة على انها غباوات الجمهور ، وشعور المريض الحاقد ضـــد تقـدم العالم خارجا عنه على انه الشعور الحاقد للعالم خارجا عنه ضد التقدم ،

وأخيراً انانيته الخاصة التي تحسب انها ابتلعت الروح بأسرهـا في ذاتها ، على انها النقيض الالماني للجمهور تجاه الروح

سوف نتأكد من نفاق **رودولف** « الخالص » في موقفـه مـن رئيس العصابة ، من الكونتيسة ساره **ماكريغور** ، ومن كاتب العدل **فيرالد**

وحتى يوقع **رئيس العصابة** في شرك وبأسره ، يقنعـه رودولف ان تقتحم شفته واهتمامه في هذا هو اهتمام شخصي محض ، وليس اهتماما انسانيا الحقيقة ان رئيس العصابة يملك حقيبة الكونتيسة ماكريغور ، ويريد رودولف حيازة هذه الحقيبة لانها ذات اهمية بالغة بالنسبـة اليه وعن حدث رودولف مع رئيس العصابة **وجهاً لوجه** يقول المؤلف بوضوح

كان رودولف قلقا جدا اذا ترك هذه الفرصة للاستيلاء على رئيس العصابة تفلت منه ، فان على الارجح لن يجد فرصة اخـرى ، فسيهرب اللص بالاسرار التي كان رودولف حريصا على اكتشافها

مع **رئيس العصابة** تحصل رودولف على حقيبة الكونتيسة ماكريغور ، وهو يأسر رئيس العصابة بدافع الاهتمام الشخصي المحض ، ويعميه بدافع من الهوى الشخصي

وعندما يخبر شورينير رودولف عن صراع رئيس العصابة مع مورف ويقدم تبريرا لمقاومته الواقعة التالية وهي انه عرف ما كان مخبوءا له ، يرد رودولف بنظرة كئيبة ، وقد تقلصت سماؤه بتعبير وحشي تقريبا سبق ان تحدثنا عنه لا يعرف وتبرق في ذهنه فكرة الانتقام ، فيتعجل المتعة الوحشية التي يوفرها له العقاب البربري لرئيس العصابة

ولدى دخول الطبيب الزنجي دافيد الذي ينوي رودولف استخدامه أداة **لانتقامه** يصرخ بغضب **بارد ومركز** الانتقام الانتقام

وكان الغضب البارد المركز يغلي في داخله وعندئذ يهمس بخطته في

اذن الطبيب ، وعندما يجفل هذا الاخير يجد رودولف على الفور دافعا نظريا خالصا يحله محل الانتقام الشخصي يقول أنها فقط مسألة « تطبيق فكرة طالما برقت في ذهنه النبيل ، ولا ننسى ان نضيف بتملق سوف يكون امامه بعد امل لا يجد للكفارة انه يحتذي مثال محكمة التفتيش الاسبانية التي عندما تحوّل ضحيتها المحكوم عليه بالموت حرقاً الى القضاء المدني تضيف نفاقا طالبة العفو لهذا الخاطىء النادم

وبالطبع عندما يجري استجواب رئيس العصابة ، وعندما ينفذ الحكم ، فان سموه يجلس وراء مكتب مريح مرتدياً رداء المرافعة الاسود الغامق ، وتبدو سيماؤه شاحبة ، وحتى يقلد محكمة العدل باخلاص اكثر يجلس وراء طاولة يعرض عليها ملفات القضية عليه الآن ان يسقط تعابير الغضب والانتقام التي لجأ اليها عندما أخبر شورنير والطبيب بخطته لسمل عيني رئيس العصابة ، عليه ان يظهر الموقف الوقور الهزلي جدا للقاضي العالم ، الذي اكتشف نفسه ، الهادىء ، الحزين ، الرابط الجأش

وحتى لا يدع مجالا للشك في ذافع العمى « الخالص يعترف مورف البليد للمبعوث غرون

أن الانتقام المريع من رئيس العصابة كان المقصود منه بشكل رئيسي الانتقام من السفاك »

ويقول رودولف وجها لوجه مع مورف

كرهي للاشرار اصبح قويا وحقدي على سارة يتضاعف انه وُلا شك يتضاعف بنسبة الألم الذي سببه لي موت ابني

يخبرنا رودولف كم اصبح كرهه للاشرار شديدا ومن نافلة القول ان حقده نقدي ، خالص حقد أخلاقي ، حقد على الاشرار لانهم اشرار هذا هو السبب الذي يجعله يعتبر هذا الحقد تقدمه الخاص في مجال الخير.

وعلى اي حال فانه في الوقت نفسه يفصح عن نمو الكره الاخلاقي على انه ليس سوى تبرير مراء ، يرغب عن طريقه ان يعتذر عن نمو كراهيته الشخصية لسارة . وليس تخيله الاخلاقي لكرهه المتفاقم للاشرار سوى قناع يخفي وراءه حقيقة نموحقده على سارة. ولهذا الحقد اساس شخصي وطبيعي تماما ، وله ايضا كربه الشخصي الخاص الذي هو ايضا مقياس لحقده . لا شك في ذلك !

وان ما يبعث على مزيد من الاشمئزاز هو النفاق الذي نراه في زيارة رودولف للكونتيسة ماكريغور التي تحتضر

وبعد ان ينكشف السر في ان فلوردي ماري هي ابنة الكونتيسية ورودولف ، يصعد رودولف الى سارة ، « يبدو عليه الوعيد والقسوة وتتوسل اليه طالبة الرحمة

يقول : « لا رحمة ... عليك اللعنة .. انت ، عبقريتي الشريرة العبقرية الشريرة لجنسي »

هكذا اذن يريد ان ينتقم ل « جنسه » ويستمر في حديثه فيخبر الكونتيسة كيف انه تكفيرا عن محاولة اغتيال ابيه ، اخذ على عاتقه حملة عالمية في سبيل مكافأة الابرار ومعاقبة الاشرار انه يعذب الكونتيسة وينساق مع نفسه وغضبه ، ولكنه في عينيهينفذ المهمة التي اخذها على عاتقه بعد الثالث عشر من كانون الثاني وهي « مطاردة الشر »

ولدى مغادرته الغرفة تصرخ سارة « الرحمة ، اني احتضر ! »،

« ويجيب رودولف بغضب مرعب موتي عليك اللعنة »

ان الكلمتين الاخيرتين «بغضب مرعب» تفضحانلنا دوافعه الاخلاقية النقدية الخالصة اذن كان الغضب يدفعه لامتشاق سيفه ضد أبيه ، ابيه المبارك ، كما يدعوه الهر زيليخا ، وبدلا من مكافحة الشر في نفسه

يكافحه ، كما يفعل النقد الخالص ، في الآخرين

وفي النهاية يلغي رودولف بنفسه نظرية الجزاء الكاثوليكية التـــي وضعها لقد اراد ان يبطل عقوبة الاعدام ، ان يحول العقاب الى كفارة ، القاتل ينتقي ضحاياه ويستثني أقرباء رودولف انه يتبنى عقوبة المـــوت حالما يقتل احد انسبائه انه يحتاج الى مجموعة مزدوجة من القوانين الاولى لشخصه الخاص ، والثانية للمدنسين

ويعلم من سارة «انجان فيراند كان سبب موت **فلور دي ماري»** فيقول لنفســــــه

« لا ، هذا لا يكفي ، يا لها من رغبة ملحاح للانتقام ! كم انا متعطش للدم ، ما هذا الغضب الرزين الهـــادىء الـى **أن عرفت أن ابنتي** كانت « ضحية من ضحايا الوحش كنت اقول في نفسي لن يكون موت هذا الرجل مجديا . . . الحياة بلا مال ، الحياة بلا ارضاء هواه الضـاري سوف تكون عذابا طويلا مضاعفا ولكنها ابنتي سوف أقتل هذا الرجل

ويندفع لقتله ولكنه يجده في حالة تجعل القتل أمرا غير مجد

رودولف « الطيب اذ تحرقه الرغبة في الانتقام والعطش للدم مع غضب رزين هادىء ، مع نفاق يبرر كل دافع شرير بفتواه ، فـان لديه كل الاهواء **الشريرة** التي من اجلها يسمل عيون الآخرين . ان المصادفة السعيدة التي جعلته يملك المال والمقام الاجتماعي وحدها تنقذ هذا الرجل « الطيب » من سجن **الاصلاحية** .

وحتى تعوض «سلطة النقد» عن التفاهة الكاملة لهذا الدونكيشوت، تجعله « قاطنا طيبا » و « جارا طيبــا » و « صديقا طيبا » و « أبا طيبــا » و « برجوازيا طيبا » و «مواطنا طيبا » و « أميرا طيبا » وقس على ذلـك ، تبعا لسلسلة مدائح الهر زيليخا وذلك اكثر من **كل النتائج** التي **حققتهـا الانسانية في كل تاريخها** وهذا يكفي بالنسبة لرودولف لانقـاذ « العالم » مرتين من « الدمار » !

الفصل التاسع

الدينونة النقدية الأخيرة

إن النقد النقدي قد انقذ عن طريق رودولف العالم مرتين من **الدمار** بحيث يمكنه ان يرسم هو نفسه **نهاية العالم**

وانا رأيت وسمعت ملاكا قويا ، هو الهر هرزل ، يطير من زوريخ عبر السموات ويحمل في يده كتابا صغيرا مفتوحا يمثل الرقم خمسة **للصحيفة الادبية الالمانية** ؛ ووضع قدمه اليمنى على الجمهور ، وقدمه اليسرى على شارلوتنبرغ ، وصرخ بصوت عال كالاسد حين يزأر ، وارتفعت كلماته مثل حمامة ـ زق ـ زق ـ الى اقاليم الحنان والمظاهر الراعدة **للدينونة النقدية الاخيرة** .

« وعندما يكون **الجميع** ، في النهاية ، متحدين ضد النقد ـ **الحق الحق اقول لكم** * ـ ليس بعيدا ذلك الزمن الذي فيه كل العالم ينحل ـ **لقد خول له ان يحارب الروح القدس** ـ ويتحلق حول النقد للانقضاض الاخير ؛ وعندئذ سيقر الجميع بجرأة النقد وأهميته نحن لا نهاب النهاية **فكل** شيء ينتهي بتصفية حسابنا مع الفئات المختلفة ـ **وسنفرزهم كما يفرز الراعي الخراف عن الماعز** ، **وسوف تكون الخراف عن يميننا والماعز عن** شمالنا ـ ونقدم البينة العامة على بؤس الفرسان المعادين ـ **انهم ارواح شريرة** ، **انهم يخرجون مع زفير العالم ويتجمعون ليحاربوا اليوم العظيم للرب القدير** ـ وكل من على البسيطة سوف يأخذه العجب »

---

* كلمات تهكمية من ماركس (المترجم)

وعندما صرخ الملاك ، دوت سبعة رعود بصوتها

Dies irae, dies illa
Soluet saeclum in favilla
Judex ergo cum sedebit
Nili inultum remanebit
* Quid sum, miser, tunc dicturus ? etc.

ستسمع بحروب واشاعات حروب . كل هذا يجري أولا . ذلك انه سيقوم مسحاء دجالون وانبياء كذبة : السيد **بوش والسيد رو من باريس، الهر فريدريك رومر والهرتيودور رومر من زوريخ** ، وسوف يقولون : **هو ذا المسيح** ! ولكن تظهر عندئذ علامة الاخوين **باوير** في النقـــد وستتحقق كلمات الكتاب المقدس في **مؤلف بوير** * .

اذا قرنت الثورين معا

سارت الفلاحة بصورة افضل

خاتمة تاريخية

ليس العالم كما علمنـــا اخيراً هو الـــذي يلاقي يومه الاخـــير وانما **الصحيفة الادبية النقدية** .

كتب في ايلـــول وتشـــريـــن أول ١٨٤٤
وظهر ككتاب في فرانكفورت ١٩٤٥ موقعا
من فريدريك انجلز وكارل ماركس

* ترجمة هذا المقطع
يوم الغضب سيحول العالم الى رماد
وعندما يعتلي القاضي منصته ، سيخرج الى النور كل ماكان مستترا
ولاشيء يبقى مخبوءا
فماذا أقول أنا العبد البائس ؟... الخ (من ترنيمة كاثوليكية عن الدينونة الاخيرة).
* تورية لفظية في الالمانية Bouerswerk تعني حرفيا « عمل الفلاح » .

المشتمل

هذا الكتاب

العائلة المقدسة هي أول عمل مشترك لماركس وانجلز ، وقد كتباه عام ١٨٤٤ ، بعدما انتقلا من المثالية الى المادية ، ومن الديموقراطية الثورية الى الشيوعية ، وهو يعكس التقدم الذي تحقق في تكوين المفهوم المادي الثوري عن العالم لدى المؤلفين .

وينتقد ماركس وانجلز في هذا الكتاب بعنف لا هوادة فيه الآراء الذاتية للمدرسة الهيغلية الشابة من وجهة نظر المادية المناضلة ، وينتقدان في الوقت نفسه آراء هيغل المثالية ، مع تمسكهما بالعنصر العقلاني في جدليته .

لكن ماركس وانجلز يصوغان في **العائلة المقدسة** عددا من الموضوعات الاساسية لمادية الجدلية والمادية التاريخية سوف يطورانها في مؤلفاتهما اللاحقة : الدور الحاسم لنمط الانتاج في تطور المجتمع ، دور الجماهير الشعبية في صنع التاريخ ؛ دور الطبقة العاملة التي تستطيع ، من جراء وضعها في المجتمع الرأسمالي ، أن تحرر نفسها والتي يجب أن تحرر نفسها وأن تقضي في الوقت نفسه على جميع الشروط غير الانسانية للمجتمع البورجوازي ؛ واخيرا وليس آخرا أن الشيوعية هي الخاتمة المنطقية للفلسفة المادية ؛ وحتمية انتصار الشيوعية لان الملكية الخاصة في حركتها تسير نحو سقوطها الذي لا مفر منه .

ولقد حدد انجلز أهمية **العائلة المقدسة** في تاريخ الماركسية حين كتب في **لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية** ما يلي : « ولم يكن بد من استبدال علم البشر الواقعيين وتطورهم التاريخي بعبادة الانسان المجرد التي تؤلف مركز الدين الفيورباخي الجديد . وهذا التطور اللاحق لوجهة نظر فيورباخ بصورة تتجاوز فيورباخ نفسه قد أخذه ماركس على عاتقه ، عام ١٨٤٥ ، في كتابه **العائلة المقدسة** »

التوزيع في الاقطار العربية

دار دمشق ــ دمشق ــ شارع بور سعيد ☏ ١١١٠٤٨ ١١١٠٢٢

الثمن ١٨ ليرة